هادي العلوي

فصول عن المرأة





فصول عن المرأة

هادي العلوي

فصول عن المرأة

المرأة في الجاهلية

المراة في الإسلام

المرأة في الصين

قاموس المرأة - مستل من مخطوطات المعجم العربي المعاصر

دار الكنوز الأدبية

هادي العلوي
فصول عن المرأة
الطبعة الاولى ١٩٩٦

دار الكنوز الادبية
ص .ب./ ٧٢٢٦ ـ ١١ بيروت / لبنان

الإهداء

إلى هَذية بنت الحاج عباس البغدادية

في كل حركة انتصار للفقيرات يكون صوتك هو الأصل

فمنك عرفت كيف تواجه المراة الجوع بالكرامة

وكيف يزيدها الفقر قوة على الحياة

إليك يالم الرزايا

اهدي هذا الحديث المنتصر للمراة اماً واختاً وزوجة وسيدة في مجتمع حر متساوي خارج عبودية القانون وظلم الاقتصاد وانحلال الغرب.

هادي

مفتتح

تتناول هذه الفصول وضع المرأة في الجاهلية والإسلام من خلال موضوعتي الحريات والحقوق وتفاوتها مابين العصرين ومقدار ماحصلت عليه النساء من مكاسب ومافقدته من حريات في الإسلام بالنسبة إلى الجاهلية. ويستعرض الكتاب مواقف الفقهاء والمفكرين من قضايا المرأة وتطور الأحكام المتعلقة بها في الشرع مابين صدر الإسلام المحكوم بالتأثير الجاهلي المباشر والعصر العباسي حيث اكتمل المجتمع الإسلامي في نظامه الأبوي الذكوري المعقد. واتجه الكتاب إلى الدراسة المقارنة في بعض مفاصله لكي يُظهر المسرى الطبيعي والمتورخ لقوانين المرأة في الإسلام والأفكار المتعلقة بها. وتنتهي فصول الكتاب من ثم إلى المشروع الناجز لتحرر المرأة في الصين الشيوعية كمحطة بارزة في تاريخ النضال النسوي تقف خارج الذكورية الحاكمة في الحضارات القديمة والإباحية الجنسانية لحضارة الغربيين الحديثة.

الحق بالفصول قاموس للمرأة والعائلة ومايتعلق بهما مستل من مخطوطات "المعجم العربي المعاصر" للمؤلف.

وليس لهذا الكتاب علاقة بالمؤتمر الامريكي للمرأة المنعقد في بيجينغ مع تحرير هذه الفصول، وإنما جاء التوقيت على جهة الصدفة

هادي العلوي

دمشق / اوائل تشرين الأول ١٩٩٥م

أوائل جمادى الأولى ١٤١٦هـ

فواتح لغوية:

مرأة مؤنث مرء. ومرء في السامية القديمة: **مرا ومؤنثه مراة** ويعني السيد المولى. وورد في نص آرامي: "مراي ملك آشور" أي مولاي ملك آشور. وهو في السريانية **مار** ويلقب به شيوخ الدين: مار فلان بن فلان... وتطور معناه ولفظه في العربية إلى **مرء ومرأة** ويعني الرجل وأنثاه. وليس له جمع من جنسه. ومرأة لها عدة صيغ فإلى جانب مرأة نقرأ **إمرأة ومرة ومراة**، والأخيرة على اللفظ السامي القديم. والمرة والمراة هما الدارجان في لغة الكلام المعاصرة والأولى أشيع وتستعمل الثانية في النسبة غالباً. يقول المصريون **مراتي** وكذا يقولها عرب بخارى المعاصرون. ويقول غيرهم مَرْتي. والمرة وردت في الشعر كقول أبو طاهر القرمطي يسخر بالعباسيين:

يابني العباس من ينصركم   أصبيٌ أم خصيٌّ أم مَرَة؟

يشير إلى تحكم نساء البلاط والخصيان بالخليفة.

وتدخل ال التعريف على المرأة والمرة ولاتدخل على إمرأة إلا في الشواذ. وجمع المرأة نساء ونسوة ونسوان. والنسبة إلى الجمع نسائي ونسوي ونسواني. والنسوان هي الدارجة في لغة الكلام المعاصرة. وينسب إليها بعض المفردات فيقول العراقيون: **نسيناوي** لمن يتدخل في أمور النساء ويقول أهل الشام **نسونجي** لزير النساء.

اللغات السامية من أكثر اللغات تمييزاً بين المؤنث والمذكر ويتقاسم التأنيث والتذكير مفرداتها وأدواتها بالمناصفة. وليس ذلك بسبب الحاجز الاجتماعي بين الجنسين كما يزعم الأكاديميون الغربيون الذين يبحثون في أمور الشرق بأسلوب الصحف الشعبية في بريطانيا، إنما يرجع إلى المكانة التي تمتعت بها المرأة في

الحضارات السامية. وقد انبثقت هذه الحضارات من مجتمعات الهلال الخصيب والعربيا المشاعية فحملت من منظومات المرحلة السابقة الشيء الكثير فيما يخص الاقتصاد والمجتمع ومنها احتفاظ المرأة بمكانة انعكست في التشريع كما انعكست قبل ذلك في بروز التأنيث في لغاتها. ولاتعكس اللغات السامية ماتعكسه اللغات الأوروبية من ذكورية طاغية لظهور الأخيرة في مجتمعات أبوية مكتملة. فالرجل في اللغات الأوروبية هو الإنسان والإنسان هو الرجل والمرأة مشتقة من الرجل man-wo وإذا أريد في الإنجليزية مثلاً أن يشار إلى كاتبة قالوا: woman writer لأن الأصل فيها هو المذكر "كاتب" ولإجراء التأنيث يجب إلحاق اسم المرأة: "كاتب امرأة" . وهكذا : عالم امرأة، وفنان امرأة ، وعامل امرأة...الخ وبسبب توحيد الإنسان في الرجل عند الأوروبيين يقع مترجمونا في التباسات كثيرة عند النقل من إحدى اللغات الأوروبية فيثبتون كلمة رجل في مصطلح قد يكون مشترك بين الجنسين والمقصود به الإنسان لاالرجل. وتطغى الذكورية على الترجمات فيقولون: رجال العلم ورجال الأعمال ورجال الدولة نقلاً حرفياً عن اللغات الأوروبية. والإنسان في العربية من "المستوي" حسب اصطلاح اللغويين إي الذي يستوي فيه المذكر والمؤنث فيقال: هو إنسان وهي إنسان، هذا إنسان وهذه إنسان. ولايجوز تأنيثه إلى إنسانة. ووردت في الشعر لكن الشعراء ليسوا حكام جيدين على اللغة لأنهم يخضعون لدواعي الوزن والقافية. وقد عالجت هذه المشكلات في مقدمات "المعجم العربي المعاصر". ولاتزال الذكورية تفرض بعض تأثيراتها على الغربيين رغم امتلاك المرأة كامل حريتها وكامل حقوقها في الغرب بعد الثورة الرأسمالية. ومن مظاهرها تلقيب الزوجة بلقب الزوج وفيه إقرار رسمي بتبعية المرأة للرجل. وأخذت به عندنا فئات المثقفين والساسة وهم في جملتهم متأهلين في الثقافة الغرباوية، وتقبلته نساؤهم ولم ينتبه إلى دلالته السلبية غير نوال السعداوي التي استنكرته في كتاباتها النسوية وشنّعت على من تقبل به من نسائنا. ونأمل الإقلاع عن هذه العادة السيئة وأن تتولى النساء بأنفسهن إبطالها ورفضها. كانت بعض النساء في مصر قد تضايقن من نون النسوة ودعون إلى إخراجها من اللغة فكتب أحدهم قصيدة يذكر فيها هذا المطلب قال فيها:

هــلا أتــاك حــديــثــهــنَّ   الــنــون لــيــســت نــونهنَّ

الــنــون تخدش ســمــعــهــنَّ   ومــاأرق شــعــورهــنَّ

وهذا من التخليط في المطالب ذلك أن حذف نون النسوة يعني تذكير النساء وإلحاقهن بالرجال فقد وقعن فيما هربن منه. ورغم أني أرى أن نون النسوة يجب أن تعالج في لغة الكتابة كما عولجت في لغة الكلام لتخفيف نطقها فإن حذفها تماماً سيكون لصالح الرجال وحدهم(*).

قلنا أن التأنيث والتذكير متعادلان في اللغات السامية. ونجد العربية، وهي أكمل اللغات السامية وأحدثها، تؤنث الكثير من مظاهر الطبيعة والمجتمع الكبرى كالشمس والسماء والأرض والحرب والسلم والقبيلة والدولة والحكومة والسوق.. وتؤنث جموع التكسير كلها وإليه يشير القول المشهور لأحد النحاة:

لاابـالي بـجـمـعـكـم كـل جمعٍ مـؤنـثٌ.

وتتناصف أعضاء الجسم تذكيراً وتأنيثاً. وهكذا جملة القاموس العربي. ويستعمل لتمييز المؤنث نفس العلامة السامية وهي الهاء والتاء المربوطة ويزاد عليها الألف المقصورة والألف الممدودة ويسمى هذا مؤنث لفظي. وهناك مؤنث بلا علامة. وهذا النمط يجوز تذكيره وتأنيثه إلا في المشهورات كالشمس والأرض.



* يندرج هذا المطلب في باب الالتحاق بالقوى أو المتفوق لنشدان التحرر أو التقدم. إن المطالبة بحذف نون النسوة تقوم على افتراض المطابقة بين الذكورة والتحرر فلكي تتحرر المرأة يجب أن تلتحق بالرجل بوصفه مصدر القوة والحرية. وهذا كالمطالب التي يطرحها مثقفو الحداثة بالاندماج في الغرب حتى يتخلص العرب والشرقيون من أنوثتهم الحالية فيصبحوا أحرار.

فـي الجاهليـة

المجتمع الجاهلي في الأصل هو مجتمع البداوة المحكوم بالنظام القبلي. وحياته الاقتصادية منظمة بأصول المشاعية الآسيوية ويتداخل فيه دور الفرد ودور الجماعة فتظهر فردية الجاهلي في حريته القائمة على انعدام الدولة أي انعدام مؤسسة قمعية تتحكم في سلوكه وخياراته، وتظهر في نفس الآن جماعيته المقننة بالنظام القبلي؛ فهو عضو في القبيلة وخاضع في فرديته لأصول الحياة الجماعية المتمثلة في التملك المشاعي وللأساس الجماعي الذي تتحرك عليه القبيلة في مجمل حياتها الداخلية كما في علاقتها مع القبائل الأخرى. ومن مظاهر هذا التداخل بين الفردي والجماعي الفخر المزدوج للشعراء بأنفسهم وبقبائلهم فالشاعر الجاهلي الذي قصيدة الفخر عمدة عمله الشعري يعدد مآثره الشخصية ومآثر قبيلته على السواء فهو ابن القبيلة لكنه أيضاً ابنها الحر، وهو جزء في جماعة لكنه فرد، كائن جزئي، أيضاً.. ويتحرك الفرد الجاهلي من وراء منظومة القيم الجاهلية في عمومها ويحرص على التكامل معها ولكن ضمن فرديته نفسها. وفي هذه الحدود الحرجة تتفاوت الاستجابة للمتعارضات وتتدرج الشخصية في اكتمالها تبعاً لوضع الفرد، الفرد كذات، أي كتكوين نَفسْجسمي يرجع إليه أصلاً محكم التكامل بين الفردي والجماعي في أفراد واختلاله في أفراد يفتقرون إلى المقومات النفسجيمية التي تساعدهم على استحضار استجابات قوية للمحيط*. ويمكننا من قراءة نصوص الجاهلية وأخبارها أن نقف على خليط من القرارات البشرية يتحدد تفاوتها في تفاوت استجابتها لمنظومات القيم ودرجة

* من هنا تكون التوعية التي تأخذ شكل الحكمة والمثل والنصيحة والموعظة لما يراد به بناء الشخصية وفق منظومة القيم الحاكمة في المجتمع. وكان لها حيز واسع في الثقافةالجاهلية.

استيعائها لظروف حياتها الاجتماعية بتعارضاتها المتعددة. والثابت الأكبر في هذا الموروث الواسع هو القيم التي يرى الفرد الجاهلي نفسه ويراه الآخرون من خلالها. ويستندالهجاء الجاهلي كما المدح والفخر بل الغزل إلى حد كبير، إلى المنظومة نفسها ويكون المدح والهجاء بقدر القرب أو البعد عنها. ولننظر في هذه الشتيمة المنثورة لأحدهم:

إنكم لتعصرون العطاء

وتعيرون النساء

وتبيعون الماء

البخل (شدة الحرص على المال الشخصي) ضعف الغيرة (عدم الحرص) على المرأة، ثم بيع الماء: الخرق الأكبر للأصول المشاعية الحاكمة. والجاهلية تقوم في أصلها على شيوعية المال دون شيوعية النساء: ومن هنا يأتي ذمه لهم بإعارة المرأة وصيانة المال. وهذه مرحلة متقدمة في استيعاء الشيوعية والوصول إلى نصابها الأم. لأن المرحلة المبكرة من المشاعية تقترن بشيوعية النساء أيضاً. وقد وُجدت بعض مظاهرها في أشكال الزيجات الجاهليةكما سنشرحها، واستمرت إلى نهاية العصر الجاهلي لكنها لم تكن نظام شامل للعائلةالجاهلية وإنما كانت بقايا شيوعية نساء قديمة تفرقت في بطون وأفخاذ وعشائر وغالباً على شكل ممارسات فردية. وفي مجرى تطور غير مقنن فإن بقايا طور سابق تتشبث عادة بالبقاء عن طريق هكذا بقايا وممارسات. وفي الطور اللاحق، نهايات العصر الجاهلي، كانت المرأة قد تحصنت وانفصلت عن شيوعية النساء، واستقر نظام العائلة الأبوية كمنحى غالب في المجتمع الجاهلي.ولم يصلنا عن هذا الطورمن شخصياته الأدبيةوالاجتماعية من يرجع نسبه القريب إلى زيجة ذات أصل مشاعي سوى زياد بن أبيه المفترض أنه ولد لمومس وإن كان الظن قد ينصرف إلى أن سمية لم تكن مومس بل مراهطة.

وضع المرأة الجاهلية يتعين ضمن الوقائع التالية:

١ ـ حريتها كفرد غير محكوم بدولة. وكانت سافرة مع غطاء الشعر التقليدي الذي يستعمله الرجال أيضاً، إنما محتشمة على النهج السائد في حضارات الشرق، وتختلط بالرجال وتسافر وحدها ولايمنعها من ذلك سوى شرط الأمان في الطريق. وكانت تركب الخيل ولو أن الفارسات قلةبحكم الفارق البيولوجي مع الرجل. ولم

تخضع في تحركها لشرط المحْرَم وكان لها أن تساير الرجل الغريب أو تستقبله في منزلها مع غياب أهلها وهي ملزمة بأداء حقوق الضيافة لمن ينزل عليها من الرجال إن كانت وحدها، وتعفى منه إذا وجد الرجل من أهلها في المنزل.

٢ ـ وكان لها موقع في الحياة الثقافية. وقد ظهر من الجاهليات شواعر كبيرات وحكيمات وكاهنات. ومن طرائف الصاحب بن عباد أن أبو بكر الخوارزمي وفد عليه فاستأذن عليه من حاجبه وكان الصاحب يعرف بوصوله فأراد مناكدته فقال للحاجب قل له أن مجلسي لايدخله إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب. فقال الخوارزمي للحاجب: قل له هذا من شعر الرجال أم من شعرالنساء؟ فقال الصاحب: ينبغي أن يكون أبا بكر الخوارزمي قل له فليدخل! وكانت الخنساء خاتمة شواعر الجاهلية العظام. وفي خبر عن بشار بن برد أنه قال مرة:مامن شعر تقوله امرأة إلا بان فيه الضعف. فاعترضه أحد جلسائه: والخنساء؟ فقال: تلك كانت لها أربع خصى! ومن بين الشعر الكثير في السيرة، وهو امتداد للشعر الجاهلي،نقف على قصيدتين هما في الذروة منه: قصيدة عبد الله بن الزِبَعْرى في التشفي بقتلي أُحُد من المسلمين، وقصيدة لامرأة من قريش يوم فتح مكة تناشد النبي محمد أن يحمي قريش من سعد بن عُبادة. وتكشف القصيدة أن مكة لم يكن فيها في تلك اللحظة شاعر بقوة هذه المرأةولاعبد الله بن الزِبَعْرى الذي خاطب النبي معرباً عن توبته وندمه بأبيات باردة ركيكة...

٣ ـ وكانت تملك حق الطلاق كما يملكه الرجل.

٤ ـ وكان لها الحق في إقامة علاقة حب مع رجل تختاره وتخلو به بشرط عدم المساس بجسدها. والحب الجاهلي يتحدد بلقاء منفرد للحديث والغزل وأقصى مايسمح به التقبيل كما تقول امرأة سئلت عن الحب ماهو؟ فأجابت:"مص الريقة ولثم العشيقة والكف عما دون ذلك". وكانوا يقولون أن للصديق مافوق السرة وللزوج ماتحتها. ولايفهم من هذا اجتماع الزوج والصديق، فالصداقة حق مخصوص للأيّم (التي لازوج لها) ولايجوز لها اتخاذ أكثر من صديق في وقت واحد والتي تخالف هذا الشرط تسمى **الضَنُوط** وهي التي يكون لها صديقان أو أكثر. ويُسمى فعلها **ضَمْد**. وعليه قول أحدهم يخاطب صديقته وقد جمعته مع آخر:

تريدين كيما تضمديني وخالداً وهل يُجمع السيفان ويحكِ في غمد؟

وأخطأ الشيخ الجليل عبد الله العلايلي في وضع ضَمد مقابل تعدد الأزواج في معجمه "المرجع" فالضمد لتعدد الأصدقاء أما تعدد الأزواج فله اصطلاح آخر سنأتي عليه بعد قليل.

وقد استمرت المرأة العربية تمارس هذا الحق إلى وقت متقدم من الأوان الأموي.

٥ ـ لكن المرأة الجاهلية كانت محرومة من نصيبها في الإرث، الذي يوزع حسب مشيئة الأب على الأبناء ومن غير حصص مقننة للأبناء أنفسهم. وإذا مات الأب عن بنات ولم يكن له وريث من الذكور ذهب ميراثه إلى من يبادر للاستيلاء عليه من الإخوة والأعمام وأبناء العم.

٦ ـ وكان الزواج الضرائري عادي وغير خاضع لحد أعلى من الزوجات.لكن النساء من فئات معينة تقع ضمن قبيلة أو عشيرة أو بطن أو فخذ كن يتزوجن أكثر من رجل واحد. وهذا الزواج يسميه الجاهليون "نكاح الرهط" والرهط من الرجال مابين ثلاثة إلى تسعة.وقد وردت أخبار عن نساء كان لهن تسع أزواج في وقت واحد.. ومر بنا في السطور السابقة احتمال أن تكون سمية أم زياد مراهطة لامومس. على أنه كان من النوادر ويقتصر على أوساط معزولةفهو من بقايا شيوعية النساء التي ترجع إلى طور مبكر من الجاهلية. والمراهطة قديمة وهي من لوازم المشاعية الصرفةالمتصلةبيواكير المجتمع البدائي ويؤخذ من المدونات الرافدانية الغابرة أنها منعت بقرار من الملك السومري اوركاجينا المتوفى عام ٢٣٧١ق.م. ومنعها في ذلك الزمن البعيد لايعني أنها انتهت فالأمر يتعلق بتطور مجتمع معين من حالته البدائية إلى النظام الأبوي بينما تكون مجتمعات أخرى معاصرة أو لاحقة في حالة بدائية خالصة. ووجود بقايا المراهطة في الجاهلية دليل على ذلك. وقد اختفت نهائياً مع انتشار الإسلام في العربيا .

٧ ـ ومن الزيجات السفاحية عند الجاهليين نكاح المقت وهو استيلاء الإبن على زوجة أبيه بعد موت الأب. وكان شائعاً. واستيلاؤه عليها يعني وضعها تحت وصايته يتزوجها إن شاء أو يزوجها لآخر ويستولي على مهرها.

وبإجمال، كانت المرأة الجاهلية تتمتع بالحرية التي يتمتع بها الرجل في مجتمع بلا دولة ولاشريعة. لكن حقوقها كانت قليلة. وكانت الجنسوية تحكم علاقة الجنسين: التحيز ضد الأنثى، العاجزة عن فرض المساواة مع نمو النظام الأبوي

وتراجع سلطتها. وقد تعقدت كراهية الأنثى بتأثير حالة الغزو السائدة في المجتمع الجاهلي مما يعكسه القرآن بهذه الآيات:" وإذا بشّر أحدهم بالإنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم. يتوارى من القوم من سوء مابشر به: أيمسكه على هَوْنٍ أم يدسه في التراب؟" وظهرت بنتيجته عادة الوأد أي دفن المولودات عند ولادتهن. وسبب الوأد الهروب من عار السبي إذ كان من المعتاد أن تؤسر المرأة صغيرة أم كبيرة وتصبح في حكم الجارية لآسرها. ورغم أن المرأةفي الريف والبوادي العربية هي أكثر حرية من زميلتها في المدينة فإن الشعور بالعار مما يجري عليها من الرجال يكون عند البدووالفلاحين أشد منه عند أبناء المدن. ولاتزال عادة "غسل العار" سائدة عندهم حيث يقدم ولي المرأة من أب أو أخ على قتلها إذا اتهمت بعلاقة غير شرعية. والجاهلي يتحسس لهوان المرأةفي علاقتها مع الجنس الآخر وهو يرفض حتى الزواج الشرعي لابنته أو أخته من رجل غير عربي. وقد رد النعمان بن المنذر طلب كسرى برويز أن يزوجه من إحدى بناته مع أنه كان ملكاً صغيراً يدير مملكة تابعة لكسرى. وذكر أبو الفرج في اغانيه أن هذا الرد من النعمان كان سبب تنكيل كسرى به وهو قد يكون سبب مباشر لسبب أكبر إذ كان كسرى يتخوف من طموح النعمان إلى إنشاء مملكة عربية مستقلة عن امبراطوريته. ويعبر عن هذا النزوع "زواج الأكفاء" وسيأتي الحديث عنه.

ومن مظاهر عقدة المرأة عند الجاهليين مسألة البكارة. وهي مشتركة مع كثير من مجتمعات آسيا. ومن المعتاد أن يطلّق الرجل زوجته إذا لم يجدها عذراء إذ يفترض أنها كانت على علاقة غير شرعية مع رجل آخر. وفي دعائم الإسلام "للداعية الإسماعيلي النعمان بن حيّون أن رجلاً جاء إلى علي بن أبي طالب وقال له: إني تزوجت امرأة عذراء فوجدتها غير عذراء، فقال له علي: إن العذرة تذهب من الوثبة والقفزة والحيض والوضوء وطول التعنيس.. (٢/٢٣١). لكن تخريجات علي لم تحمل محمل الجد حتى اليوم.

وكانت المرأة من أسباب الحرب باعتبار هذه العُقَد. بينما كان وجود النساء مع المقاتلين ضروري لدعم المعنويات لأن الفرار في المعركة يكون عندئذ عار مزدوج: فرار من الحرب، وترك المرأة للعدو. وفي معركة فتح البصرة كان عدد العرب قليل بالقياس إلى الجيش الساساني فخرجت النساء تقودهن زوجة عتبة بن غزوان وهي ترتجز:

فاستقتلوا حتى أزاحوا الجيش عن مواقعه واستكملوا فتح البصرة بأقل كلفة. وفي الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٧ كانت قبيلة الدِلَيم، مواليةللأنجليز ثم انقلبت عليهم بسبب امرأة، فقد تحرش الجنرال البريطاني ليتشمان بكنة شيخهم ضاري المحمود فشكته إلى عمها فامتشق سيفه وخرج يبحث عن الجنرال. وكان يملك بندقية لكنه آثر استعمال السيف. ووجد الجنرال قد توجه إلى بغداد وهو في الفَلّوجة فلحقه إلى هناك ودخل عليه مكتبه فأهوى على رأسه بالسيف فقطعه بضربة واحدة.وجرت أحداث كبرى على إثر ذلك وخسر الأنجليز ولاء القبيلة التي لم تشارك أول الأمر في مقاومة الاحتلال لأنها من القبائل السنية. وكان فقهاء السنة قد تعاونوا أوتهاونوا مع الاحتلال فلم يصدروا الفتوى الشرعية لتحريك قبائلهم في هذا الاتجاه. وكانت القبائل العراقيةفي ذلك الوقت شديدة الارتباط بالمرجعية الدينية.

وليست هذه غيرة على المرأة كذات بل غيرة على الرجولة لأن الجنسوية تحكم كما قلت علاقة الجنسين، والمساس بالمرأة يفسر على أنه تحدي لرجولة الرجل، وقد ساعد ذلك على وضع حدود فاصلة صلبة مابين شيوعية النساء وشيوعية الأموال في النظام القبلي منذ الجاهلية ضمن المعادلة التي تجمع صيانة المرأة إلى ابتذال المال. ونقف كثيراً على هكذا مركّبات في الهجاء كقول دعبل الخزاعي يهجو شاعر آخر:

قل لابن خائنة البعول — وابن الجوادة والبخيل

يعني: ابتذال جسد المرأة وصيانة المال. كما يزعم الشاعر الذي يكرر بلغته الخاصة به تهمة "بيع الماء وإعارة النساء" وهذا بخلاف الوضع الطبيعي: ابتذال المال وصيانة الجسد.

وتبقى المرأة مع كون المعادلة واقعية ومأخوذة في منظومة القيم موضوع للفعل لاذات فاعلة لأن الفعل هو للرجولة في جنسويتها التي تتعامل مع عنصر السلب الحاكم في المرأة. وكان هذا هو الوضع الغراري للمرأة الجاهلية: كائن يحرّك ولايتحرك. وتحريكه ليس بالإلهام الأنثوي المشترك في علاقة الجنس الموجب بالجنس السالب عند عامة البشر إنما هو بالتعارض القائم مابين شيوعية المال

وشيوعيةالنساء. والحروب الجاهلية تذكيها المرأة بهذا السلب المحرك للموجب الرجولي متداخلاً في النادر مع/ أو منفصلاً في الغالب عن أنوثة هيلين الطروادية.. وكان التنافس على المرأة أقل إثارة للنزاع والقتال من عقدة العِرض.

العائلة الجاهلية أبوية في العموم وتعيش الزوجة في بيت الزوج. ووجد مع ذلك نكاح العُمْرة وهو انتقال الزوج إلى بيت الزوجة، ويمكن اعتباره من بقايا الزواج الأمومي والعائلة الأمومية. ولاتزال تحدث حالات من هذا القبيل لكنها غير تابعة للتقاليد التي استقرت على أبويتها الصارمة منذ الإسلام إنما هي أمور خاصة وشخصية جداً ترجع إلى ظروف عائلية أو اقتصادية. ويسمي العراقيون الرجل الذي يعيش مع أهل زوجته **قْعَيدي** على التصغير المشعر بعدم الاحترام. وفي حال استقلال الزوج عن أهله يعيش الزوجين في بيت مستقل وهذا حين يبلغ الإبن مبلغ الرجال ويعتمد على نفسه في تدبير حياته. ويشار إلى ذلك بقولهم: "بنى بأهله أو بنى بها"، ويراد به حسب تفسير الأصمعي بناء بيت للزوجية وهذاهو البيت الشرعي في الفقه. وينشأ الأولاد مع أبويهم والمسؤولية عنهم مشتركة بينهما. والقيمومة للرجل وهو الذي يقرر مصير الأولاد ويتولى تزويجهم باختياره وتبعاً لحساباته الخاصة به. والزواج أباعدي وأقاربي ويسمى الأباعدي **تفشُّل** والأقاربي: **إضواء** ولاعلاقة للتفشل بالفشل ولم أعثر له على أصل في العربية ولا في الساميات القريبة. أما الإضواء فاختصوه بزواج الأقارب لأن النسل الناتج عنه يكون **ضاوي** أي ضعيف النمو. و"أضوى فلان" ولد له ولد ضاوي لزواجه من قريبة. ومنه الحديث النبوي:"اغتربوا لاتضووا". ولاهتمام الجاهليين بسلامة النسل جنحوا إلى التفشل. وعانت المرأة بسبب ذلك من مشكلة الغربة فهي فضلاً عن نزوعها للأهل كثيراً ماتتعرض لسوء المعاملة لكونها غريبة عن أهل الزوج. وقد ضربوا المثل بمرآة الغريبة في الوضوح والصفاء، وفسروه بأن الغريبة تعنى دائماً بشكلها وزينتها حتى تظهر لأهل الزوج بمظهر لائق وتتجنب العيوب والمذام ولذلك تختار أفضل المرايا(*).

---

* ...كقول الشاعر يصف وجه حبيبته:

"ووجه كمرآة الغريبة أسجح"

والوجه الأسجح الطويل في اعتدال واستواء.

ولم يعرف الجاهليون سفاح القربى فالزواج محرم بالقطع من الأخت والأم والبنت وكان مسموحاً به عند جيرانهم الفرس. ومارسوا نكاح المقت، وقد بيناه.

وعانت المرأة الجاهلية من "العَضْل" وهو المنع من الزواج من جانب الأب أو الأخ. وعرفت هذه العادة عند الفقهاء بالعُضْرة وهي محرمة عندهم. إلا أنها لاتزال في البوادي والأرياف. ويسميها العراقيون نهوة فَعلة من النهي وتسمى في بوادي الشام ونواحي الشمال الفراتية حَيار (فعال من الحيرة) وتكون هذه من قريب المرأة إذا أرادها غريب فينهى عنها ليتزوجها هو وإذا رفضته تمنع من الزواج وهذا هو العضل أو العُضْرة.

وتشددوا في "زواج الأكْفاء" ويعني زواج العربية من العربي وعدم السماح بزواجها من أعجمي. ويشمل مابين العرب زواجها من عشيرة أو قبيلة أدنى مكانة. وقد تمسك به الأمويين بعد الجاهليين فيما يخص العربية وسعوا لجعله حكماً شرعياً وقال به بعض الفقهاء الموالين لهم لكن المعارضة رفضته، وأبطله عمر بن عبد العزيز في خلافته. على أنه استمر عملياً حتى اليوم، (من النادر في هذا العصر أن تتزوج عربية من أجنبي ولاسيما أوربي) وقد اتسع مداه بعد الإسلام فامتد إلى الزواج من رجل على غير دينها. وتمنع المسلمة العربية من الزواج من مسيحي عربي، وهو محرم شرعاً. كما تمنع المسيحية العربية من الزواج من مسلم عربي وتكون عقوبتها الطرد من الأسرة. في حين يسمح المسيحيون الغربيون بزواج بناتهم من عرب مسلمين أو مسيحيين، لأن الغربيين مع تعصبهم العنصري لايدققون في أمور الزواج*، وعنصريتهم تفعل في متون أوسع عالمية الأفق.

وزواج الصغيرة مألوف في الجاهلية ويسمى "الاهتجان" وهو الزواج قبل البلوغ بالنسبة للبنت و"الالتباء" بالنسبة للولد، والمقصود بالأخير تزويج الولد صغيراً بعد البلوغ، والغرض منه تكثير نسله. وزواج الصغيرة البالغة من المسن مألوف أيضاً

---

* يمارس زواج الأكفاء عند الغربيين على أساس طبقي إذ يمنع زواج المرأة من أسرة ارستقراطية من رجل عامي كما تمنع الأميرات من الزواج إلا ممن يجري في عروقه دم ملكي.

لكن السائد في الزيجات تقارب العمر.

والزواج الجاهلي مرتب، وأمر البنت بيد والدها فإن مات فبيد إخوانها أو أعمامها، ومنهم يخطبها الخاطب. ولم أقف على صيغة عقد زواج جاهلي إلا أنه يتضمن المهر وشروط من أحدهما أو كلاهما. ومن المعتاد أن تكون الخطيبة معروفة لخاطبها وأن يكون قد رآها وحادثها لأنها غير محجوبة ولامحجَّبة. والمهر في الغالب من الأنعام (الإبل خاصة) وقلما يستعمل النقد إلا في المدن التجارية مثل مكة. ومنه سمي المهر "سياق" أخذاً من قولهم ساق إليها مهرها أي ساق إليها الإبل التي اتفقوا على أن تكون مهرها. والكلمة لاتزال في اللهجات العراقية بلفظها الجاهلي، وتطلق على المهر عموماً وهو نقدي في الوقت الحاضر طبعاً. وكانوا يُعنون بالزفاف وتقام له حفلات غناء ورقص يقدم فيها الطعام والشراب. والوليمة أساسية في العرس الجاهلي. لكن العروس الجاهلية لاتبالغ في الزينة والملابس المزركشة. ومحاسن المرأة كما يكشف عنها الشعر الجاهلي هي جمالها الأصلي مع رائحتها الطيبة وكانت العناية بالتعطر أكثر من العناية بزركشة الملابس. ويختلف الجاهليون في ذلك عن الشعوب الزراعية التي تبالغ في التلوين والزينة. ومن ملاحظات ابن الراوندي عن ملابس أهل الجنة من السندس والاستبرق وأساور الفضة والذهب أنها تجعلهم يشبهون عروس الأكراد أو النبط. وابن الراوندي يصدر هنا رغم فارسيته عن ثقافة عربية تنفر من البهرجة.

لم يكن للمرأة الجاهلية دور مرموق الى جانب الرجل شأن المرأة في أي من الحضارات الغابرة. وقد تكون الكاهنات ابرزهن في هذا المضمار وهن نساء يملكن ثقافة سحرية وشخصية مؤثرة في العوام وكن يجمعن بين وظيفة العّراف وحّلال المشاكل وتفاوت فعلهن ما بين الاصلاح والتخريب تبعاً للخصال الشخصية للكاهنة الفرد. وكان للنساء موقع في الطب وذكرت مصادر السيرة طبيبة من بني اسلم تدعى رُفيدة اتخذت لها خيمة في المسجد الأول لمداواة المسلمين وجرحاهم في حروب العهد النبوي. وكانت في نفس الوقت ترعى ذوي الحاجة من أهل يثرب أو الوافدين عليها. وفي خيمتها عولج سعد بن مَعاذ الذي اصيب بسهم قاتل في معركة الخندق. على أن الموقع الأرمق لهن كان في الشعر وقد برز الى جانب الخنساء شواعر مثل جليلة وخِرنْق وكبشة وهي أخت عمرو بن معدي كرب وكانت ناقدة للشعر يحضر الشعراء اليها فيقرأون لها

قصائدهم لتقييمها.

وبالرجوع الى الأوان القبجاهلي نقرأ في المدونات الآشورية عن ملكات عربيات حكمن في انحاء من العربيا منهن شمس وزبيبة. والمعلومات عنهن لا تتعدى ذكرهن في تلك المدُّونات. وينبغي التنبيه الى كلمة عرب في اللغات السامية فهي تختلط بمفهوم البادية والبدو وما تزال الكلمة تستعمل في لغة الكلام للأشارة الى أهل الريف . فالعامي من العراق يقول رحنا للعرب ويريد رحنا للريف، والواحد من أهل الريف عندهم هو العُربي بضم العين وجمعه عُرْبان. وهذه الكلمة وردت في لغة العصر الاسلامي واستعملت لنفس المعنى. وهي ما كان يعنيه ابن خلدون في الفصل المعنون من المقدمة "في ان جيل العرب في الخِلْقة طبيعي" فجعلهم جيلاً أي طوراً من أطوار المجتمع البشري. وهذا يعني أنه قصد بهم البدو أو الأعراب*. أما العرب كأمة فهم موجودون في جميع الأطوار وليسوا جيلاً واحداً.

ومن هنا لا يمكن اعتبار اهل الاوان القبجاهلي عرب بالمعنى الحاصر للامة التي تكونت وتبلورت في غضون العصر الجاهلي. ولم تكن لغة اولئك الشعوب الذين ذكرتهم المدونات الآشورية هي لغة الجاهليين وينبغي الشك في قراءة اسماء مثل شمس وزبيبة فهي قد تكون شمسو او شمشو وقد تكون زبيبة بالألف لا بالهاء أو زبيبو. وهذا ما تهدينا اليه النقوش الثمودية والصَفَوية ونقش النّمارة الاحدث والأقرب الى الجاهلية وهي لا تنطق بعربية المعلقات وتختلط بالنبطية التي شكلت المرحلة الوسطى بين الآرامية وعربية الجاهليين.

يأخذنا ذلك الى قضية زنوبيا التي تسميها المصادر العربية الزبّاء، ويسميها بعضهم زينب ويسميها الرومان زنّوبيا وهي تحريف لاسم زينب لكنْ زينب بلفظها الذي يجب أن يكون مختلف بعض الشيء عن لفظها الحالي ولعلها من صيغ اسمها الأصلي وهو الزبّى. والمؤرخون من العرب والرومان متفقون على انها عربية من جهة الأب. وادعت هي لها نسب يصل الى كليو بطرا المصرية. و"عروبتها" تُفهم على الشرط الذي بيناه. وزمنها يقع في العصر الجاهلي الأول - القرن الثالث الميلادي - حيث كانت اللغة العربية هي اللغة الموزعة على الثمودية

---

* العَرَبة في العبرية هي الصحراء.

والصفوية ولغة التّمارة والمختلطة بالنبطية. اما تدمر فكان اهلها خليط من الآرامي والنبطي والعربي ـ العربي بشرطه الذي اوردناه، واسمها عندهم تدمور أو تدمورو. وعند الجاهلين تدمر. ونورد هذا النقش من عهد الزباء لمقارنته مع العربية الجاهلية:

صَلْمت سفتيميا بت زبّى نهيرتا وزدقتا، ملكتا سفتيميوا زَبْدا رب حيلاربا وزبّى رب حيلا دي تدمور قرطسطوا أقيم لمرتهون بـ يرح آب دي شنة

صلمت (صنم ـ تمثال) سفتيميا(اسم علم) بت زبى (الزباء) نهيرتا(الفاضلة) وزدقتا(الصِدّيقة) ملكة ابناء سفتيميا (وهما) زبدا رب حيلا(قائد الجيش) ـ الحَيْل القوة ـ الأكبر (ربا) وزبّى قائد الجيش التدمري، وأن قرطسطو(القائدان) أقاماه لسيدتهم (امرأتهم ـ والمرأة في غير العربية هي السيدة والمرء(مرا)السيد بـ يرح(شهر ـ ورخ ـ تاريخ) آب دي شنة(لسنة) كذا..

هكذا فالزباء ـ وهوأسمها الأصلي كما يتبين من النص التدمري ـ ليست عربية بالمعنى الدال على الامة التي تكونت في العصر الجاهلي المتأخر. لكن هذه الشخصية التاريخية تتوج البدايات الأولى لنشوء الأمة العربية من وراء صراع هائل يذكرنا بصراع هاني بعل ضد روما القديمة خاضته الزباء ضد روما الميلادية التي كانت تحتل بلاد الشام.وكانت تدمر دويلة حاجزة تحت الحماية الرومانية وكان آخر ملوكها أدينت الذي سماه الجاهليون أُذينة يصانع الرومان ويخدم مصالحهم فلما مات استولت زوجته على الحكم. وكانت كما يدل تطور الأحداث قد وضعت خطة لاقامة دولة حقيقية مستقلة وتصفية الاحتلال الروماني لسوريا. وتحالفت لهذا الغرض مع القبائل العربية التي كانت قد استوطنت اجزاء واسعة من سوريا وشكلت ما يمكن اعتباره طلائع الامة التي تكونت في العصر الجاهلي المتأخر. (من هنا اعتبار العرب الجاهليين للزباء بأنها عربية)

أقامت الزباء دولة راقية ذات مدنيّة مثقفة وهي من الملوك المعدودين مثقفين وكانت تتكلم عدة لغات فبالاضافة الى لغتها التدمرية واللهجات السامية الأخرى المنتشرة في محيطها كانت تتقن اللاتينية والقبطية. وكان عصرها هو عصرالثقافة الهللينية التي هي مزيج من ثقافة اليونان وثقافات آسيا الغربية. وقد استقدمت الفيلسوف الروماني كاسيوس ديونيسيوس لونجينوس ليكون في معيّتها وجعلته مستشاراً لها. وكان كاسيوس صديقاً للفيلسوف فرفوريوس الصوري أحد شراح

ارسطو(فرفويوس لم يكن يوناني الأصل بل من أهالي مدينة صور حين كانت مزيجاًمن بقايا الكنعانين والآراميين). كما استدعت المؤرخ كليكراتس وهو من اهل صور أيضاً. ولوبوكوس البيروتي وهو لغوي وفيلسوف، وبوسانياس الدمشقي المؤرخ، ونيقوماخس وهو مؤرخ وكاتب ومن شراح الفلسفة اليونانية. وكان الأول كاسيوس اوثق مستشاريها وقد أسره الرومان في نهاية الحرب مع تدمر وقتلوه تحت التعذيب. ولا أعرف مادعاه الى الالتحاق بالزباء وهو روماني بخلاف زملائه الآخرين.

وكان من بين سكان تدمر عدد كبيرمن اليهود الذين كانوا لجأوا اليها بعد احتلال القيصر تيتوس لبيت المقدس عام٧٠م وقد رعتهم الزباء ووجدوا الامن في ظلها الاانهم لم ينخرطوا معها في الصراع ضد مضطهديهم الرومان؛ واليهود لم يحسنوا التحالف مع أحد في كل تاريخهم الطويل.

امتدت مملكة الزباء من الفرات الى البحر المتوسط ومن صحراء العرب الى آسيا الصغرى. وقد تقدمت لاسترجاع مصر من البطالمة، ويقترن ذلك بادعائها النسب المصري، لكنها لم تفلح في السيطرة النهائية على مصر. ودامت مملكتها سبعة عشر سنة. وكان قد وصل الحكم في روما في هذه الاثناء الامبراطور القاسي اورليانوس فعقد العزم على تصفية مملكة الزباء بعد أن توجس من خطرها على امبراطوريته. وحساسية الغربيين لاي نهوض في هذه المنطقة تزيد على نظائرها ضد البقاع الاخرى من العالم لانهم يرون فيها النقيض القاتل لوجودهم. وتقدم اورليانوس بقوات ضاربة نحو تدمر فتصدت له الزباء في انطاكيا وخاضت ضده معركة ضخمة أنتهت باندحارها امام قواته المتفوقة في العدد، وانسحبت الى تدمر فلحقها إليها. وحاصر المدينة وقطع عنها امدادات الأغذية فأضطر أهلها إلى الاستسلام بعد مقاومة شديدة. ولم تستسلم الزباء وانما حاولت مغادرة المدينة من بعض ممراتها السرية. ولعلها كانت تفكر باللجوء الى حلفائها من القبائل في صحراء العربيا. لكنها وقعت في قبضة الرومان، فأخذوها أسيرة الى روما عام٢٨٤م. ولم تعش طويلاً في الاسر فقد ماتت في السنة التالية. ويقول المؤرخون أن الاخبار التي بلغتها عن أفاعيل الرومان في تدمر واستباحتهم لها وتخريبها قد عجلت في نهايتها. وهي من حكام يعتبرون الهزيمة هزيمة.

الزباء من عجائب التاريخ النسوي ويصعب العثور على قرين لها في النساء. يمكن اعتبار جان دارك الفرنسية نسخة منها لكنها نسخة مبسطة واقل ايحاءً لأن جان دارك لم تؤسس دولة مزدهرة ومثقفة كدولة الزباء وانما قادت حرب المقاومة الفرنسية ضد الانجليز وقدمت حياتها ثمناً لوطنها. وربما استطعنا مقارنة الزباء بالامبراطورة الصينية وو تزوتْيان من اسرة تانغ(سيرد ذكرها في الفصل الثالث) وهي مثلها استلمت العرش بعد وفاة زوجها وقادت الامبراطوريةفي طريق القوة والرخاء واظهرت من القدرة على الحكم ما تفوقت به على الكثير من الأباطرة. الا أنها لم تكن مضطرة الى خوض حروب دامية كالتي خاضتها الزباء كما أنها ورثت دولة مستقرة مستقلة والزباء ورثت دولة تابعة مستضعفة فحولتها الى امبراطورية.

من حيث التقييم التئريخي للزباء يمكن وضعها في المسار الطويل للصراع بين الساميين والغربيين. وهي من هذه الجهة وريثة هاني بعل امبراطور قَرْت حَدَش (قرطاجة). وقد خاضت نفس حروبه مع الاحتلال الروماني. اما وريثها هي فقد ظهر من الامة التي شهدت الزباء بدايات نشوئها وهو عمر بن الخطاب ورب حيله الأكبر خالد بن الوليد. وبخلاف هاني بعل ووريثه الزباء انتصر الوريث المسلم على الرومان وأخرجهم من بلاد الشام نهائياً. وقد تم ذلك على يد رب حيله الذي اختلف معه في اخلاقيات الحرب لكنه كان الاقدر عسكرياً على ملاحقة الثعبان الاوربي لقطع رأسه واعادة الذَنَب الى داخل القارة.

على أن عمر لم ينتصر لانه ذكر والزباء انثى. وانما انتصر لانه ظهر في مجرى حركة تاريخية صاعدة اطلقها محمد وسار بها هو الى غايتها المرسومة. ومن حيث الكفاءة لا فرق بين عمر والزباء. بل ان هذه الزباء لو جاءت اليوم ورأت حكام العصر والقت نظرة على مثقفيه ثم قارنت مع نفسها ومع مثقفيها فلعلها ستستنزل آية جديدة تقول: " النساء قوامات على الرجال..." وهي على اي حال توفر دليل مُتؤرخ على صحة مذهب ابن رشد في المرأة.

على ملاك الجاهلية يمكننا وضع نبية بني تميم سجاح. والسجاح من السجاحة وهي الاستواء والاستقامة والرجاحة. وتميم قبيلة كبرى توضع في عداد الشعب لا القبيلة ولها فروع تأثرت بالزرادشتية والمزدكية وخرج منها شعراء متميزون

كالفرزدق ومعارضون كعامر العنبري، من بني العنبر احد فروع تميم وتأتي سجاح ضمن هذا الوضع التميمي المتميز. وقد اعلنت نبوتها بعد وفاة النبي القريشي وتحالفت مع نبي بني حنيفة مسليمة. وبالطبع لم يكن لها أن تنجح امام المشروع المتكامل لنبي قريش مع محدودية مشروعها ومشروع مسيلمة. وانتهت الى الفشل المتوقع لامثالها. وعلق احد بني تميم على نبوتها قائلاً:

اضحت نبيتنا انثى نطوف بها واصبحت انبياء الناس ذُكرانا



في الإسلام

كان مؤسسو الإسلام الى جانب محمد رجل وامرأة. الرجل هو أبو بكر، والمرأة هي خديجة بنت خويلد زوجة محمد الأولى، والأرمق، وأم أولاده الوحيدة. واعتبار خديجة أول من أسلم من النساء كاعتبار أبو بكر أول من أسلم من الرجال افتئات على السيرة لأنهما من المؤسسين.ولدورها التأسيسي علاقة بابن عمها ورقة بن نوفل، القرشي المتنصر، الذي ترجع إليه أقدم ترجمات الكتاب المقدس، وهي الى ذلك من وجوه مكة وتجارها وأبرز شخصياتها النسوية. وقد عاشت مع محمد قبل الدعوة خمسة عشر عام وبعدها عشر سنوات، ولم تكن مجرد زوجة لرجل يصغرها بخمسة عشر عام، بل ويمكن الافتراض أن عرضها الزواج عليه لم يكن لرغبتها في الرجال وقد ناهزت الأربعين. وأسرار محمد لاتعرفها إلا السماء. لكن سر العلاقة مع ابن العم قارئ الكتاب المقدس معروف، ولعلها بهذه العلاقة كانت همزة الوصل بين زوجها وابن عمها. ويحتاج موقع هذه المرأة الغامضة في دعوة محمد إلى إعادة نظر في ضوء هذه المعطيات. ومايعنينا في إفاضتنا هذه أن يعلم قراؤنا أن للمرأة ثلث الحصة في هذا التأسيس المعجز لإحدى أخطر الحركات في تاريخ العالم.

انخرط في الحركة منذ البدايات نساء غير خديجة وأقل أهمية منها كن من العبيد في الأغلب لكنهن سجلن أمثلة صمود نادرة في تاريخ النساء وقتلت إحداهن، سمية أم عمار بن ياسر، وهي صامدة للتعذيب فكانت أول شهداء الإسلام.

وفي الدائرة الصغيرة لنشاط المرأة في التاريخ ظهرت في حياة السيرة بعد الطور المكي نساء من طراز خديجة وسمية كن يشكلن مايشبه الحاشية النسوية لصاحب السيرة، وكان منهن أم عُمارة وأم منيع وأم عامر الأشهلية والرُميصاء أم سُليم، وكان

يصطحبهن في حملاته الكبيرة وشهدن معه صلح الحديبية، الذي شهدته أم سَلَمة زوجته الأميز بعد خديجة. ويناهز عدد الصحابيات بالوصف المقبول للصحابي أربعمئة من مجموع عشرة آلاف وهو عدد مرموق في قياس الدائرة النسوية. وكان للنساء حضور مشهود في المسجد الأول واعترضت إحداهن على تخصيص الكلام في القرآن بالرجال فصارت الآيات من ثم تعطف النساء على الرجال في كل مناسبة تقتضي ذلك فتقول: المؤمنين والمؤمنات، الصابرين والصابرات، الصادقين والصادقات... أو تقول: "إني لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى."

هل كان لهذا الحضور النسوي في الإسلام الأول علاقة بموقف معين من المرأة؟ لنضع في الحساب أن النساء ساهمن في حركات التغيير الثوري على امتداد التاريخ من غير أن ترتهن مساهمتهن بالنسوية كمحور نضال. ومساهمة المرأة في هكذا منعطفات تأتي منها كعنصر اجتماعي غير مشروط بالجنس بل هي قد تتصدر حركة أو تحكم جماعة من غير أن يترتب عليه تغيير في الوضع التشريعي للجنسين. لكن المنعطفات الكبيرة تجلب معها في المعتاد تغيرات اجتماعية تطال شتى وجوه الحياة. وهو مايسعنا تلمسه في الإسلام بخصوص المرأة.

هنا نجد أن وضع المرأة في الإسلام تبدل في اتجاهين متعارضين سيكونان محور البحث في هذا الملف المكرس للمرأة في تاريخنا العربي ثم الإسلامي وهما في تعارضهما يتشكلان كظاهرتين تأريخيتين تمتدان في بعضهما ولاتنفصل إحداهما عن الأخرى وكان لهما كليهما أثر مشترك في تحديد وضع المرأة العربية حتى اليوم كما سيتضح من هذا البحث.

في المنحى الأول

رأينا في عرضنا المجمل للمرأة الجاهلية أنها كانت تتمتع بحرية واسعة تكاد تتكافأ مع حرية زميلها الرجل في مجتمع عديم الدولة. ولم يكن المنزل يعني عندها أكثر مما يعنيه للرجل إلا في حساب التدبير المنزلي، المعهود إليها، واعتبارات الأمان التي تجعلها أقل قدرة من الرجل على الحركة في الخارج. وقد تبدل هذا الحال في الإسلام ففقدت المرأة كثير من حريتها وفرضت عليها قيود لايعرفها أهل الجاهلية. ويتصل هذا التحول باكتمال تطور المجتمع العربي في الإسلام نحو الأبوية الذكورية الناجزة مع نشوء الدولة القائمة في جوهرها السياسي والتشريعي على اقتصاد التملك الخاص

والمدارة من طرف الرجال. ويعني وجود الدولة كمظهر شامل وجود القيد على حرية الأفراد رجالاً ونساء. لكن قيود المرأة كانت أشد، ونجملها فيما يلي

تقييد الاختلاط: إن المكان الذي تحدد في الإسلام لتجمع الناس هو المسجد بوظائفه المتعددة: الصلاة، مقر النبي والخلفاء حتى نهاية الراشدين، الدراسة، الانتداء.. وقد استمرت وظائفه هذه عدا كونه مقر للحاكم، طيلة العصور الإسلامية. ولم تمنع المرأة في صدر الإسلام من حضور المسجد والمساهمة في فعالياته. ولم يفرد لهن مكان مخصوص فيه وإنما كان يفصل بينهم في قاعة الصلاة فتكون بين النساء والرجال مسافة بضعة أذرع إذا كن قدامهم ومسافة أقل إذا كن وراءهم. وفي "المُسند" عن عبد الله بن عمر أن النساء والرجال كانوا يتوضأون معاً في زمان رسول الله (الحديث ٥٧٩٩). ولم يقيد حضورهن بوقت الصلاة فقد كن يحضرن في أي وقت ويشاركن في الكلام والمناقشات مع الرجال ومع المتصدر في المسجد من الخليفة ومن يليه.

والاختلاط يكون أيضاً في الطواف حول الكعبة. وهو جاري الى اليوم. وكان قد منع لبعض الوقت بأمر خالد القَسْري والي مكة للوليد بن عبد الملك بعد أن سمع شاعراً يقول:

ياحبذا الموسم من موقفٍ وحبذا الكعبة من مسجد

وحبذا اللاتي يزاحمننا عند استلام الحجر الأسود

وعاد الاختلاط بعد انقضاء ولايته.

ثم أخذ المسلمون بعد نهاية الأوان الأموي بتقييد حرية المرأة في حضور المسجد وترد في هذا الشأن أحاديث مختلفة الصيغ بعضها يبيح الحضور بإطلاق وبعضها يقيده بإذن الزوج. ووضع الغزالي هذه القضية في نصاب محسوم ومحدد فقال في إحياء علوم الدين "أذن رسول الله للنساء في حضور المسجد، والصواب الآن المنع إلا للعجائز"- كتاب آداب النكاح. وحكم الغزالي هنا هو اجتهاد في موضع النص ورد مباشر وصريح على النبي محمد. على أن الاختلاف بقي بين الفقهاء بخصوص الاختلاط. وهو اليوم ممنوع في العراق للمساجد والحسينيات (مساجد الشيعة) ومسموح به في سوريا مع تخصيص اماكن لهن. لكن الشيعة يسمحون به في مزاراتهم قياساً على الطواف في الكعبة. ويختلط الزوار الشيعة ببعضهم داخل

المزار مع وجود اماكن مخصصة لهن اذا اردن الصلاة اذ ليس من المألوف ان تصلي المرأة والرجال يروحون ويجيئون من حولها. وكانت النساء يحضرن المساجد في العصر العباسي انما بنسبة اقل هي التي اراد الغزالي كما يبدو منعها نهائياً. وساهم بعضهن في التعليم في المسجد وغيره. وقد وصلتنا لوحة للرسام يحيى الواسطي من القرن السابع تصور امرأة تلقي دروس على الرجال، وهي مكشوفة الوجه محجبةالشعر. لكن رجال الدين تشددوا في المنع ووضعوا احاديث على لسان محمد والصحابة وائمة اهل البيت بإلزام المرأة بيتها. وهو حكم مخصوص بنساء النبي فقط ولايعم غيرهن، ويتصل هذا الاتجاه بتعقد المجتمع الاسلامي مع العصر العباسي واتساع الجنسوية الذكورية لدى عموم الرجال. وقد تحكمت فيه عقدة الخوف من العلاقة المحرمة وأظهر مسلمو العصر العباسي تحسس شديد ضد الاختلاط مفترضين حضور العلاقة الجنسية في اي اتصال بين الجنسين وبالغوا في تقديرهم لعنف الغريزة الجنسية وامكان انفلاتها إذا اسلس العنان للعلاقة بين الرجال والنساء، ولم يعولوا كثيراً على الانضباط الذاتي اذ افترضوا اولوية الغريزة على العقل. وكان المجتمع الاسلامي قد شهد مظاهر فساد واسعة لم يعرفها المجتمع الجاهلي بعلاقاته المفتوحة واتسخت فئات واسعة بالغلمنة التي حولها ابو نواس وتلامذته الى لون من الادب الفاقع تتغنى به أوساط شتى. وترافق ذلك مع كثرة الجواري اللواتي مارسن شكلاً من الاباحية يقترب من البغاء الرسمي من غيرأن يكون مقنن أو محدد باماكن مخصوصة. وقد دفع هذا الوضع الى التشدد في حجب الحرائر ومنعهن من مقابلة الرجال حتى في المنزل وبحضور افراد العائلة. وكان شعارهم في ذلك: "المرأة رَيْحانة لا قهرمانه" ونسبوا وصايا الى علي بن أبي طالب تقول: "اذا استطعت ان لايرين غيرك فافعل" وعلي هو الذي استخدم المحرضات في صفين لتأجيج حمية مقاتليه، وكان فيهن من يتفوق على رجاله في شدة الصوت وبلاغة الخطاب. ولم يعد ممكن للمرأة استقبال ضيف بغياب زوجها كما كانت الجاهلية تفعل وإنما يسمح لها بالتطلع من شقوق الباب فاذا كان رجل كلمته من وراء الباب لتبلغه أن رب البيت غائب. وكان النبي محمد يسلم على المرأة اذا صادفها في الطريق ثم صار السلام عليها من المحظورات. وكان الخاطب يرى مخطوبته وتراه قبل اجراء الخطوبة ثم صارت تُزف اليه مقنّعةً فلا يراها الا في غرفة النوم ليلة الدخلة.

يرجع هذا التطور بتمامه الى العصر العباسي الثاني، حوالي القرن الثالث هـ ودخلت المرأة العصر الحديث على وضعها ذاك. وقد عم العالم الاسلامي بشتى أطرافه سوى مطارح قليلة حافظت على تقاليدها السابقة وهي في الغالب معاشر شبه بدائية لم تعرف القيود المشددة على النساء. وتحدث ابن بطوطة عن جزر محل ديب (مالديف) التي سماها ذيبة المهل فذكر أن نساءها يختلطن بالرجال ولا يلبسن الحجاب وأنهن يظهرن في الغالب مكشوفات الصدر وقد سعى لتحجيبهن أثناء اشتغاله قاضياً في الجزر فلم يوفق فاكتفى بأن فرض على المتقاضيات ان لا يدخلن عليه بلا حجاب.

المنع من السفر: يتفق الفقهاء على عدم جواز سفر المرأة ثلاثة ايام إلا ومعها احد محارمها. والثلاثة ايام هي مدة الطريق وليس مدة الاقامة وتعادل حوالي مئة ميل فالمقصود هو السفر خارج مدينتها. ولا سبيل للجزم ان كان هذا الحكم من الاسلام ام من اضافات الفقهاء في العصر العباسي

القيمومة:

اتخذت قيمومة الرجل على المرأة وضعها القانوني في الاسلام بنص الآية ٣٤/نساء: "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً" والقيمومة ترجع الى الجاهلية مع تقدم النظام الأبوي وغلبته على عموم الحياة وجاءت الشريعة فكرست ما هو قائم واكملته بالتشريع الذي ازال ما تبقى من مظاهر النظام الامومي في زوايا المجتمع الجاهلي. وقد فسر تخصيص الرجل بالقيمومة عند المفسرين بتفوقه على المرأة بـ"العقل والعزم والحزم والرأي والقوة والجهاد وكمال الصوم والصلاة والنبوة والخلافة والإمامة والاذان والخطبة والجماعة والجمعة والشهادة في الحدود والقصاص وتضعيف الميراث وملك النكاح والطلاق وإليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم.." ويدمج المفسرون بهذه الافضليات مظاهر القيمومة وأحكامها الشرعية في مظاهر وأحكام الطبيعة المفترض انها أصل القيمومة ومسوّغها. ومما يثير الانتباه هنا اعتبار العمائم من الاسباب الموجبة للقيمومة! وقد وردت في تفاسير ترجع الى القرن السابع وكان المسلمون في هذا القرن قد أخذوا يتركون لبس

العمائم في الكثير من الاقاليم الاسلامية. وظهر العقال والكوفية عند عرب البادية والارياف مع بدايات القرن السابع بينما اكتفى رجال غرناطة بلبس القلانس. وفي الوقت الحاضر يلبس رجال الاهوار في جنوب العراق الكوفية والعقال وتلبس نسائهم عمائم صغيرة سوداء. وفي جنوب الصين تلبس نساء قومية مْياو عمائم ملونة كبيرة بحجم عمائم المسلمين قديماً.

نرجع الى الآية فنراها تستطرد الى حكم النشوز من حكم القيمومة. ويرجع الاستطراد الى سبب النزول كما أورده المفسرون ومؤلفو "اسباب النزول". والمتفق عليه عندهم أنها نزلت لتقرير حكم في حادثة أو عدة حوادث شكت فيها النساء أو أهلوهن من ضرب الرجال لهن وأن محمد حكم أول الامر بالقصاص ثم تراجع فتلا آية القيمومة التي اباحت ضمن حقوق الرجل ضرب المرأة ومنعت العكس. والمفسرون والفقهاء متفقون على انه ضرب غير مبرح فهو بالنتيجة "ضرب إهانة وتسلط" لا "ضرب تعذيب" بما يفيد معنى الضغط النفسي دون الجسدي. أما حكم النشوز كما تقرر في الفقه فله تفريعات تتعلق بالطلاق والخلع سنأتي عليها فيما بعد.

ومظاهر القيمومة تشمل التصرفات العادية للمرأة. وقد اختلفوا في التفاصيل لعدم ورود نص قاطع يقننها. واتجه الذكوريون المتعصبون من الفقهاء الى تقييد جميع تصرفاتها بإذن الزوج حتى الذهاب الى المسجد واعتبروا طاعة الزوج حكماً سابقاً على طاعة الله، فالثواب الذي تكسبه المرأة من حضور صلاة الجماعة، أو أداؤها لفرض الجمعة يصبح تالياً لالتزامها أمر الزوج بعدم الذهاب الى المسجد. وتنتقض طاعة الرجل فقط إذا تضمن أمره معصية كأن يأمرها بترك الصلاة أو يحملها على الزنا أو البغاء. ويضعها الغزالي في هذه الصيغة المغلقة: "النكاح نوع رق، فهي رقيقه له فعليها طاعة الزوج مطلقاً في كل ماطلب منها في نفسها مما لامعصية فيه"- كتاب آداب النكاح من الإحياء-. وتسربت دونية المرأة عند الذكوريين المسلمين الى اللغة ففي تاج العروس يكتب الزَبيدي:

"الحذاء: الزوجة لأنها موطوءة كالنعل. نقله أبو عمرو المطرز"

وقد سير اللغويون القدماء اللغة العربية في مجرى ذكوري مخالف لتكوينها الأصلي فعبروا عن الإنسان بالرجل، على طريقة الذكوريين الغربيين، وطغت هذه

الصيغة على معاجمهم مع أن العربية تفرق بدقة بين مفردات إنسان ورجل وامرأة. والإنسان لفظ مستوي، أي مشترك للجنسين ولذلك لايؤنث الى "إنسانة" لأنه متضمن للتذكير والتأنيث معاً فيقال: هذا إنسان وهذه إنسان. وفي شروحهم للمفردات يهمل المعجميون "إنسان" ويستعملون رجل فيقولون: رقد الرجل أي نام، أكل الرجل أي تناول طعاماً، قام الرجل ضد قعد الرجل، وضحك الرجل وبكى الرجل...الخ. وتعززت هذه النزعة في العربية الحديثة بتأثير اللغات الأوربية وهي لغات ذكورية خالصة لنشوئها في مجتمع أبوي مكتمل، ولذلك لاتفرق بين إنسان ورجل تستعملهما بمعنى واحد فيترجمها المترجمون على حالها الأصلي فيقولون: لو أن رجلاً طلع من هذه الزاوية، ويقصدون: إنساناً، وينام الرجل إذا أدركه التعب، ويشفى الرجل إذا أخذ الدواء ويتصبب العرق من الرجل إذا بذل جهداً عضلياً وحمرة الخجل في خد الرجل عرض طارئ غير لازم ويبكي الرجل على موتاه...الخ ويقول المترجمون رجال العلم ورجال الفن ورجال الأعمال ورجال الإدارة ومأشبه وكلها من نتائج الترجمة الحرفية للنصوص الأوربية مع الجهل بأسرار لغتهم وتمايزاتها الصرفية والقاموسية.

ومن لوازم قيمومة الرجل عدم صلوح المرأة للرئاسة ويكرس ذلك حديث: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة." وهو مروي في ثلاثة من الصحاح الستة وفي مسند أحمد والطيالسي مما يقوي صحته، ولا أرى من جهتي سبب لانكاره لأنه يتماشى مع حكم القيمومة. لكن أثره في الفقه يقف عند الخلافة التي يشترط فيها الذكورية بما في ذلك إمامتها للصلاة؛ وجمهور الفقهاء على عدم الجواز عدا الطبري وصاحبه ابو ثور فقد أجازاها على الإطلاق وأجازها الشافعي للنساء. وفي القضاء أجاز الطبري أن تكون قاضية وأجازها أبو حنيفة فيما تصح به شهادتها أي في القضايا التي تجوز فيها شهادة المرأة وهي قضايا واسعة لكنها غير شاملة. وفي المناصب الأدنى تسامح. وللفقهاء اسبقيات من عهد الصحابة تسمح باعطاء المرأة دور في الإدارة فقد كانت الصحابية سمراء بنت نُهيك تتولى أمور السوق وكانت تتجول في أسواق المدينة وفي يدها سوط لتأديب المخالفين. ومثلها الشفاء بنت عبد الله التي كانت مقربة الى عمر بن الخطاب ومن جملة مستشاريه وكان يكلفها الاشراف على الاسواق أو يعهد إليها ببعض شؤونها. وليس في جملة هذه المناصب نصوص قاطعة معها أو ضدها والمقطوع به فقط هو عدم توليها الخلافة.

العِدّة

من القيود التي خضعت لها المرأة الجاهلية والمسلمة قيد العِدة. وتلزم بها المطلقة ومن ترملت للتو. المطلقة ثلاثة اشهر والمترملة اربعة. وليس على المطلقة قيد يزيد على عدم الزواج في هذه المدة. وهو نفس القيد بخصوص المترملة. والقصد من هذا القيد التأكد مما اذا كانت المرأة حامل من زوجها المطلّق او المتوفى حتى تتعين نسبة المولود لابيه ولا تختلط مع الزوج الجديد. وكان الجاهليون يمددون عدة المترملة الى سنة تلزم فيها المرأة باجتناب الزينة وتلبس الثياب الخَلَق الخشنة وتلزم بيتها. وهذا نوع من العقوبة يمكن ان نتلمس فيه بقايا مجتمع قديم لم يعرفه العرب الا أنه قد يكون مستبطن في نزعة كامنة مشتركة في الذكور. وأحيل هنا إلى طقوس دفن المرأة مع زوجها المتوفى في مجتمعات غابرة جمعت بين ملامح مجتمع بدائي متداخل مع مجتمع عبودي عوملت فيها المرأة كالعبد حسبما رأيناه في تخريجات ارسطو. وعندئذ سنجد في عدة المترملة الجاهلية قدراً من المسئولية عن الزوج المتوفى يتعين على المرأة اداؤها بالامتناع عن الزواج ولزوم البيت سنة مع لبس اخشن الثياب واهمال الزينة. وتخرج عدة المترملة هنا عن كونها لمجرد تعيين الحمل والتأكد من وقوعه. فهذا الغرض بيّن في عدة المطلقة التي لم يفرض عليها قيد سواه. وقد عالج الاسلام عدة المترملة على غرار عدة المطلقة سوى زيادة الشهر على مدة العدة، وقننها بالتأكد من ظهور علامات الحمل. ومن هنا أعفيت المترملة من استكمال العدة اذا كانت حامل وولدت فتكون في حل من الزواج بآخر فور انتهاء مدة النفاس وهي اربعين يوم. وثُبّت هذا الحكم بنص قرآني، الآية٤/طلاق: "وأولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن" اي اجل العدة ينتهي بالولادة. وليس في القرآن والحديث والسنة نص آخر فيه قيود زائدة على المترملة. لكن التشريع لم يقضي نهائياً على التقليد الجاهلي وإن يكن قلص المدة من سنة الى اربعة اشهر ونجح فيها فقط لصراحة النص عليها. واستمر قيدالبقاء في المنزل حسب فتوى لابن عمر اخرجها مالك في باب العدة من الموَّطأ. ولم يتمكن الفقهاء من ملاحظة الفرق بين النص القرآني وفتوى الصحابي وكون الاخير قد يكون خاضع لفعل التقاليد. وفيما عدا فتاوى لفقهاء يعرفون رسالتهم الحقوقية ويؤدونها بحزم، استمرت القيود الجاهلية على المترملة المعتدة واضيف اليها قيد آخر هو ان لا ترى المعتدة رجل غريب في عدتها وان يقتصر لقاؤها في منزلها على محارمها من الابناء والاخوة وابناء الاخ والاخت. والحكم الآن في المعتدة ان تدخل حجرتها اذا جاء ضيف الى منزلها واذا تمكنت ان لا تسمع صوته فهذا أفضل وتلتزم المؤمنات من النساء بالفتوى

الاكثر قيوداً لرجال الدين المتشددين. وشهدت مؤخراً حالة من هذا القبيل عراقية استشهد زوجها ولها بنات وليس لها ابن افتاها رجل دين متسامح بعدم لزوم العدة لها وأفتاها آخر بوجوبها فالتزمت قول الاخير وسجنت نفسها في المنزل اربعة اشهر وعشرة ايام.

يصدر الفقهاء في تقرير هذه القيود عن اجتهاد في موضع النص، كالذي صدر عنه الغزالي في الرد على النبي بخصوص حضور النساء المسجد. ففي "جواهر الكلام" للشيخ محمد حسن وهو اكبر موسوعات الفقه الشيعية يورد المؤلف احاديث عن جعفر الصادق تجيز للمعتدة ان تخرج من بيتها وان تتزين لغير ريبة (اي من غير ان تتقصد اظهار زينتها لاغراء الرجال وهذه مسألة تتعلق بالنية) والجواز هنا غير مشروط اي انها تستطيع أن تفعل ذلك لغير ضرورة. ثم يرد الشيخ على امامه فيقول انه مكروه بغير ضرورة.(٣٢ /٢٧٨ - ٢٧٩) ومؤداه عنده ان المعتدة تضطر الى الخروج للطبيب مثلاً، وفيما عدا ذلك يجب ان تلزم منزلها حسب العادة الجاهلية. ويمكن العثور على حالات من هذا القبيل ابطل فيها الفقهاء نصوص قطعية متبعين مبدأ الاجتهاد في موضع النص، لكن في جميع هذه الحالات تقريباً يكون النص الاصلي هو الاصوب والاكثر عدلاً. ولهذه الظاهرة ملابسات تخرج عن مقتضى البحث. وبخصوص مانحن فيه يمكننا رؤية المجرى الطبيعي لتطورالمجتمعات خارج النطاق المحدد لشرائعها. وقد فرضت ذكورية المجتمع الاسلامي، التي اكتملت وتصلبت في عصر تالي لعصر صدر الاسلام، خروقات كهذه للنصوص المقدسة. وتجتمع في قيود العدة نزعتين: الاولى اسلامية وهي التحسس من مثيرات الفتنة لمن فقدت زوجها، والثانية مشتركة تحمل البقايا الغابرة لمسؤلية بقاء الزوجة بعد وفاة الزوج والزامها بطقوس تؤديها كعقوبة رمزية لقاء مسؤليتها هذه بعد ان كانت عقوبتها الدفن معه. ومن هنا يشمل حكم العدة العجائز اللواتي تجاوزن سن الزواج والحمل وهن غير مشمولات بها في النصوص الاصلية. وشموله للعجائز يؤكد القرار الذكوري فيه. ويشير ذلك بوجه عام الى غلبة التقاليد على القانون في عموم المجتمعات (*).

* اهملت امور كثيرة تضمنتها النصوص الاولى لتنظيم الحياة الاجتماعية والحضرية ولم يؤخذ بها. من ذلك تقبيل الرجال لبعضهم عند اللقاء والفراق، عادة ذميمة وضارة صحياً نهى عنها النبي محمد فتوقف عنها الناس في القرنين الاول والثاني ثم عادوا اليها مع القرن الثالث. وماتزال سارية حتى عند المثقفين وبينهم مثقفي الحداثة الاكثر تطرفاً والاكثر مزايدة على محمد في مبادئ الحضارة والصحة الشخصية.

من مظاهر الجنسوية الذكورية الاخرى عدم مساواة المرأة بالرجل في الدية. والدية هي العِوَض المالي عن قتل الخطأ ويسميها الحقوقيون المعاصرون "تعويض" والدية حاصرة في دلالتها اما التعويض فيقال بالتواطؤ على امور كثيرة. ولعلهم اهملوها لجريانها على السنة العامة.. وحكم المرأة عند اكثر الفقهاء ان ديتها نصف دية الرجل. والدية هي ثمن الدم ويعني تنصيفها ان دم المرأة ارخص من دم الرجل بمقدارالنصف. وانفرد ابو حنيفة وبعض فقهاء القرن الاول، وهم الانضج من بين الفقهاء، بالمساواة في ديتهما اي مساواة دميهما في القيمة. واستند الجصاص الحنفي الى حديث "المسلمون تتكافأ دماؤهم" في مساواة دم المرأة والرجل والحر والعبد والشريف والعامي. ويتعدى الحنفية نطاق الحديث الى المساواة في دم غير المسلم وهو سواء عند ابو حنيفة والشافعي(*) (احكام القرآن١/١٤٣).

* * * * *

في المنحى الثاني لوضع المرأة المسلمة نقف على مسألة الحقوق. ففي مقابل ما فقدته المرأة من حريات جاهلية حصلت على حقوق حسنت من مركزها الانثوي والمالي. والاسلام ثورة اولاً وثورة ذات ماهية ابوية ذكورية ثانياً. وفي إطار هذا المزدوج نمضي في تقرير وضع المرأة المسلمة في تناقضاتها التشريعية والعملية معاً.

نأتي أولاً الى قضية الزواج الضرائري (تعدد الزوجات)، الذي عرفته جميع المعاشر والمجتمعات القديمة بعد انتقالها من حالتها البدائية -الأمومية- الى التحضر الأبوي الذكوري. وكان في الجاهلية بلا قيود وليس له حد أعلى للزوجات. وقد خطا الإسلام خطوة هامة بتحديد حد أعلى هو أربع زوجات. وكان من الأحداث البارزة في السيرة ترتب عليه تسريح مازاد على الأربعة منهن وورد في "المحبَّر" لابن حبيب أسماء من كانت لديهم عشر زوجات فسرحوا منهن ستة وهم من رجالات ثقيف وإنما ذكرهم ابن حبيب لمكانتهم وإلا فقد يكون لغيرهم مثل هذا العدد ولم يذكروا لأن التأرخة لاتقوم على الاستغراق وإنما تحصي النخب(ص٣٥٧). ويفهم من ذلك أن القرآن لم يشرع الضرائرية وإنما قيدها بحد أعلى. ويبقى السؤال عن السبب الذي لم يجعل محمد يرجع الى شرع المسيح فيلغي التعدد نهائياً؟ فنجد بادئ ذي بدء أن الإسلام في طوره الأخير، الذي تحددت

---

* في بعض الاحاديث فسرت كلمة"مسلمين" بتعميمها على الناس. وبها أخذ ابو يوسف في كتاب الخراج في استخلاص احكام عامة من احاديث مخصصة لفظاً بالمسلمين.

ملامحه النهائية مع فتح مكة صار أقرب الى موسى منه الى المسيح، أعني بإيجاز أن الإسلام قد تماهى في نبوة ودولة كاليهودية ولم يعد نبوة خالصة كاليسوعية كما كان في الطور المكي. وكان من مستلزمات هذا التطور الإبقاء على الضرائرية بعد تحديد الحد الأعلى للزوجات، فقد كانت هناك حاجة لتكثير عدد العرب، والمسلمين فيما بعد. وكان محمد شديد الهم بها. ومن أحاديثه: "سوداء ولود خير من حسناء لاتلد"، "وإني مكاثر بكم الأمم"- أخرجه الطبراني وابن عساكر والشيخ الصدوق وغيرهم. ومن إجراءاته جعل الزواج سنة، شبه الوجوب، لتسديد هذه الغاية. وكان عدد العرب في زمانه خمس ملايين ولايخرج من هذا العدد جنود يكفون لفتح الأرض كلها! (قارن مع سكان الصين يوم ذاك وهو ستون مليون) وكان للنقص في عدد العرب أثر في توقف الفتوحات عند الخطوط التي انتهت فيها. وإليه يرجع عدم نجاح خطة موسى بن نُصير لاجتياح أوربا. وكان قد أعدها وعرضها على الوليد بن عبد الملك بعد فتح الأندلس فوجدها مستحيلة عملياً.(*)

من جهة العلاقة الجنسية لم يظهر محمد ميول يسوعية تنظر الى الجنس كفعل قابل للانضغاط. هو يرى فيه إثماً كما يراه المسيح، والى هذه الرؤية يرجع الأمر "بغُسل الجنابة" أي اغتسال الطرفين بعد الجماع. ولم يكن يتوخى منه النظافة فقط، وهي من أولويات شريعته، فثمت بعد تطهري يدل عليه المعنى الأصلي للجنابة التي تدل في العبرية والسريانية على السرقة (بما يتضمن معنى الإثم). إلا أنه تحاشى المثالية في التشريع وأبقى التحسس من الجنس في زاوية الشعور الفردي. وفي تعارض تام مع الوعظ الديني بالتعفف والصبر، صدرت الشريعة عن مجاراة للجنسانية الذكورية هي التي جعلتها تبيح ماكان سائداً قبلها وهو التَسَرّي. وكان المفترض لدين موحى به من المطلق السماوي أن يتنزه عن هذه القاذورات (**).

---

* في فتح الأندلس كان على العرب بعد فتح كل مدينة أن يتركوا فيها حامية لصد الهجمات المضادة وقد اعتمدوا على يهود اسبانيا لهذا الغرض إذ لم يكن عددهم يكفي للتوزع على حاميات. ولاشك أن الوليد نظر الى هذا الاعتبار العملي وعدم إمكان تحقيقه في غير إسبانيا حين رفض الخطة. ولينتبه القارئ أننا نذكر الوليد ونعني جميع مستشاريه وخبرائه وليس هو بشخصه.

** التي تنزه عنها إثنان من مؤسسي الإسلام أبو ذر الغفاري وروزبة الأصفهاني وأدانها فيما بعد عمر بن عبد العزيز باعتباره إياها من أبواب الزنا ولو أنه لم يتجرأ على تحريمها لوجودها في نص قطعي

ـ التسري اتخاذ السراري أي الجواري.

تقليص الضرائرية على أي حال الى أربع زوجات خطوة تأتي في مجرى الإصلاح الذي تقوم به الثورات للمجتمعات القديمة. وقد استعجل أبو ذر وصاحبه روزبة فالتزما بالعائلة الوحدانية الصرفة مع الامتناع عن التسري. لكن خطوة كهذه كانت بانتظار ثورة أخرى يتمخض عنها التطور اللاحق للمجتمع الإسلامي. وكانت هذه هي الثورة الاسماعيلية وبنتها القرمطية التي ألغت الزواج الضرائري ولو أنها لم تستمر شأنها شأن التحولات الثورية المجهضة دوماً في عموم آسيا. وفي دائرة الفكر كان المعري هو المروّج الأكبر للعائلة الوحدانية لكن ثورته هو الآخر بقيت في بطون الكتب. وانفرد الدروز فيما بعد بإبطال الضرائرية وهم فرع من الفاطميين يشير من بعيد الى بقايا الثورة المجهضة.

عني الإسلام أيضاً بتزويج البنات. وهذه مهمة يتفق الشرقيون على ضرورتها. وكان أهل بابل يجمعون في كل عام من أدرك سن الزواج من بناتهم وأبنائهم ويصنفون الأبناء حسب الفقر والغنى، والبنات حسب الجمال والدمامة. ويبدأون أولاً بتزويج الجميلات للشبان الأغنياء ويأخذون مبلغ محدد من كل شاب لقاء زيجته. ويجمعون المال في نهاية الشوط الأول ثم يبدأون بتوزيعه على الشبان الفقراء فيأخذ كل شاب نفس المبلغ لقاء تزوجه من البنت غير الجميلة. وبهذه الطريقة لاتبقى بنت بلا زواج. ولأهل الصين عناية مماثلة وإن لم يكن لهم تنظيم كالتنظيم البابلي. وكرس كبير مسرحيي الصين في القرن الثالث عشر ومبتدع المسرحية الاجتماعية قْوان هان تشينغ إحدى مسرحياته لقضية زواج البنات. وكان يميل الى تشجيع البنات على الزواج من رجال أسن منهن لسببين: تسهيل الزواج وعدم تعليق مصير البنت على أهواء الشباب، ولأن الزوج الأسن يداريها أكثر ويدللها... بيد أنه لايقصد بالأسن من بلغ الشيخوخة فالرجل الذي رشحه للزواج من البنت في المسرحية يكبرها بحوالي ثماني عشرة سنة، فإذا كانت هي في العشرين فلابد أنه أقل من الأربعين.

وحرم الإسلام العَضْل أو العُضْرة (ويعني منع البنت من الزواج) وجعل تزويج البنت البالغة من السُنّة. ويضع عامة المسلمين في هذا الاعتبار الحاجة الجنسية للأنثى بوصفها من الحاجات التي يجب تطمينها كإطعام الجائع وشفاء المريض. وكنت أسمع أهل حارتنا وأنا صبي يتحدثون عن رجل من الحارة عضل أخواته "إن الله يحاسبه بعد كل غسلة تغسلها أخواته".. وفهمت بعد ذلك أن المقصود هو الغسل من الحيض بانتهاء دورته ففي هذه الفترة تشتد حاجة المرأة الى الرجل. ومع تقصير

الدولة في هذه المهمة كان أهل البر والإحسان يخصصون جزء من أموالهم لتزويج البنات ويعتبرونه مكافئ لأموال الزكاة التي يدفعونها للفقراء. ولم يُحترم هذا الحق كثيراً في العصر الذهبي للحضارة وإنما جرى عليه أهل القرنين الأول والثاني. ويكتب الجاحظ في رسالة له عن "النساء" أن فرص الزواج للمرأة في الماضي كانت أوفر مما هي في زمانه (القرن الثالث) وأن أهل زمانه يجعلون زواج المطلقة أو المترملة عاراً، بخلاف أسلافهم(*). وكانت المرأة في صدر الإسلام والأوان الأموي لاتبقى بدون زوج مادامت في حاجة الى رجل.

وكانت معظم الشخصيات النسوية من عصر الصحابة والتابعين ممن تزوجن بأكثر من رجل مطلقات أم مترملات. ولايختلف حال النساء عن عامة الناس. وإفادة الجاحظ تستند الى معرفته لهذه الحقائق. وهي تفسر عناية الصحابة وفقهاء التابعين بأحكام العدة لعلاقتها المباشرة بالزيجات المتجددة.ويرجع التغيير الذي تحدث عنه الجاحظ الى اشتداد ذكورية المجتمع الإسلامي والإفراط في الحجر على النساء تبعاً لذلك.

فيما يخص حرية الزواج للمرأة، تدور مباحث الفقه حول حديث مختلف الصيغ ومعناه واحد وهو حسب رواية مسلم في الصحيح: "لاتُنكح الثيب حتى تُستأمر ولاتنكح البكر حتى تُستأذن". والثيب هي من تزوجت سابقاً فامتلكت تجربة وعقلاً يخولانها تقرير الزواج بإرادتها.وفي عقد زواج من القرن الثالث مكتوب على ورقة بردي بمصر ورد بعد ذكر اسم الزوجة أنها "امرأة ايم** بالغ تلي نفسها" وجملة الفقهاء والمذاهب متفقون على هذا الحكم بخصوص الثيب. وهناك اختلاف في مسألة الولي في عقد الزواج فبعضهم يشترطه وآخرون يعتبرونه شكلي يثبُت العقد بدونه. والذين اشترطوا الولي، ومنهم عمر بن الخطاب، نظروا الى رأي الأهل في زواج البنت وإعطائهم كلمة فيه تمنع انفراد المرأة به مع إقرار حقها في الاختيار***، ومن لم يشترطه استند الى عمومية منطوق الحديث وجعل حرية المرأة في ذلك مطلقة.

والخلاف أشد في خصوص البكر. ونص الحديث يقضي بأخذ الإذن منها وهو أخص

---

* الرسالة مفقودة ووصلت منها شذرات طبعت طبعة رديئة من قبل دور النشر التجارية بلبنان.

** الأيم: التي بلا زوج. تلي نفسها: تتولى الولاية على نفسها وليس لغيرها ولاية عليها لأنها بالغ رشيدة.

*** يحصر الفقهاء الولاية في الأب والجد للأب ولايسمحون بها لغيرها من أخ أو عم.

من الاستئمار للثيب إذ يمكن أن يفهم منه أن الأب وافق على الزواج قبل أن يبلّغها به ثم طلب منها الموافقة على شكل استئذان. وحسب منطوق الحديث يجوز لها النطق بالرفض، أما الموافقة فدليلها السكوت لأن العذراء الصغيرة تخجل من النطق بقبول الزواج وتبقى حرية البكر أضيق من حرية الثيب /مع امتلاكها حق الرفض/ بحكم الفرق بين الاستئمار والإستئذان.وقد أتاحت هذه الصيغة الملتبسة للحديث لبعض الفقهاء ومنهم تابعين أن يجتهدوا في النص فيعطوا الأب حق تزويج البكر بدون رضاها. وهذا مذهب القاسم بن محمد بن أبي بكر وسالم بن عبد الله بن عمر وقال به مالك بن أنس أيضاً. لكن الميل العام لدى الفقهاء والقضاة هو اعتبار كراهة البكر إذا زوجت بدون رضاها. وهناك حديث أخرجه ابن عساكر عن ابن عباس أن بكراً زوجها أبوها وهي كارهة فأتت النبي فذكرت له أن أباها زوجها وهي كارهة فخيرها رسول الله، أي أعطاها حق الانفصال (٤٥٤/١ من تهذيب عبد القادر بدران).

على أنهم فرقوا البكر الصغيرة عن البكر الراشدة مع استوائهما في البلوغ. ويقول المحقق الحلي في" شرائع الإسلام" أن في الولاية عليها روايات أظهرها سقوط الولاية عنها وثبوت الولاية لنفسها ولو زوجها أبوها لم يُمضَ عقده إلا برضاها (كتاب النكاح من الجزء الثاني) وللشيعة حكم غريب في نكاح المتعة إذ يجيزون للبكر الراشدة أن تمتع نفسها وليس لوليها حق الاعتراض عليها (نفس المصدر) وفي التهذيب عدم جواز افتضاضها إلا بإذن أبيها فالتمتع بها لايشمل الجماع (٢٥٤/٧).

وأجاز معظم الفقهاء الاهتجان، زواج غير البالغ، وعمموه على الذكر والأنثى فللولي، الأب أو الجد تزويج الغير بالغين من أولاده ذكوراً أو إناثاً. واختلفوا في حقهما في الفسخ بعد البلوغ وأكثرهم على عدم جواز الفسخ. وأجازه صاحب الجواهر وهو شبه معاصر. ولهذا الزواج نظير في الصين القديمة ويكون بأن تقدم عائلة فقيرة بنتاً لها غير بالغ الى عائلة موسرة لتعيش عندهم وتخدمهم ولكن في صورة بنت متبناة يقرن بينها وبين أحد أبنائهم الغير بالغين. وهي تكون عندهم في حكم الجارية وأقل مكانة من الزوجة العادية وليس لها أن تفسخ الزواج إلا أنها لاتعتبر زوجة للإبن قبل البلوغ رغم اقترانهما بعقد زواج. ومثل هذه الزيجات تكثر في إيران والهند حتى اليوم.

ويدخل في حق الزواج الشرعي شرعية حقها في الإشباع الجنسي. وفي توجيه

عن علي بن أبي طالب: "إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فلا يعاجلها وليمكث يكن منها مثل الذي يكون منه" (تحف العقول ص٨٣)(*) وتأتي ضرورة هذا التوجيه من الإهمال لحاجة المرأة في ا لعلاقة الجنسية في الفئات الأقل تحضراً كالبدو والفلاحين وهم عامة أهل الجاهلية وصدر الإسلام. وقد فصله الغزالي على النحو الآتي:

"إذا قضى وطره منها فليتمهل حتى تقضي هي أيضاً نهمتها فإن إنزالها ربما يتأخر بتهييج شهوتها ثم القعود عنها إيذاء لها والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التنافر إذا كان الزوج سابقاً الى الإنزال والتوافق في وقت الإنزال ألذ عندها ليشتغل الرجل بنفسه عنها فإنها ربما تستحي".

واعتذر عن الغزالي لارتباك عباراته إذ خانته كما يبدو لي بلاغته العلمية المعهودة في هذا المقطع من كلامه وأوضح مراده فأقول أنه يوصي الرجل بالتطابق مع المرأة في وقت الذروة، وأن عليه أن لا يهيجها ثم يتركها لأن في ذلك إيلاماً لها، وهو يرى أيضاً أن التوافق في الذروة يزيل عقدة الحياء من المرأة لدخولهما معاً في حالة هياج..

وأعطيت المرأة حق الشكوى إذا قصر الزوج في إشباعها جنسياً. ووضع حد أقصى يجوز بعده رفع دعوى قضائية وهو أن يتركها لمدة أربعة أشهر. ويشمل حق الشكوى حالات العجز والعِنّة.

ويجوز لها طلب التفريق في حالة العنة. أما إذا تركها مع قدرته فلها الشكوى عليه والمدة القصوى التي يجوز بمرورها رفع الشكوى هي أربعة أشهر كما بينا. وقد مارست النساء هذا الحق في العصر الإسلامي وألزم القضاة بالنظر في الشكاوى. ومن أخبارهن أن امرأة جاءت الى عدي بن أرطاة، والي البصرة لعمر بن عبد العزيز، تشكو من زوجها وتقول أنه عنين. فقال عدي: إني لاستحي أن المرأة تذكر مثل هذا.. فردت عليه: لمَ لاأرغب فيما رغبت فيه أمك فلعل الله يرزقني ولداً مثلك؟..

وهب النبي الجنة لمن كثرت بناته فصبر عليهن وأدبهن وزوجهن. وندد القرآن بسوء استقبال الجاهليين لمولد البنت. ومع إدراك محمد لصعوبة تغيير العادات واصل في أحاديثه وعلاقاته الشخصية ترويضهم على المساواة بين الجنسين من أولادهم.

---

* تحف العقول من مصادر القرن الرابع الجيدة التوثيق. والنسبة الى شخصية بعينها تقبل الشك مادام الأمر متعلق بذاكرة الرواة فقد يكون التوجيه لعلي أو غيره من الأئمة.والمعول في ذلك على النص ذاته وليس على قائله.

أخرج ابن عساكر عن أنس بن مالك أن رجلاً كان جالساً مع النبي فجاء ابن له فأخذه فقبله وأجلسه في حجره، ثم جاءت ابنة له فأخذها فأجلسها الى جنبه. فقال رسول الله: هلا عدلت بينهما؟ (٢٥٤/٤ من تهذيب عبد القادر بدران). وقد جرى على هذا النهج كبار الصحابة وأئمة آل البيت كما التزم الفقهاء والمتكلمون تكرار الحث على المساواة المنزلية بين الأولاد فقال الغزالي في إحياء علوم الدين أن من آداب الولادة أن لايفرح بالذكر ويحزن بالأنثى فإنه لايدري الخيَرة له في أي منهما، فكم من صاحب ابن يتمنى أن لايكون له ولد أو يتمنى لو كانت بنتاً، بل السلامة منهن أكثر والثواب فيهن أجزل (٤٦/٢ ـ كتاب آداب النكاح).

روعيت هذه الأصول من جانب المثقفين من متكلمين وفقهاء ومتصوفة وعلماء كشأن غيرها فيما يتعلق بالنساء في هذه الأوساط. لكن عامة الناس ظلت على نزعتها الجاهلية حتى اليوم. وأعطانا الجاحظ في كتاب الحيوان أمثلة من الارجاز التي كانت تُنشدها القوابل أو الأمهات في ساعات الولادة يتفاءلن بولادة الذكور. منها:

ايا سحاب طرّقي بخيرِ
وطرّقي بخصيةٍ وأيرِ
ولاتُرينا طرف البُظَيرِ

أو:

ومابالي أن اكون مُخمَقة
إذا رايتُ خصيةً معلّقة

ووضع الذكوريون أحاديث تناقض آيات القرآن منها حديث: "دفن البنات من المكرمات" وقد تناوله السيوطي في "اللئالئ المصنوعة" وأثبت بطلانه. على أن الخوف على مصير البنت يمنع أحياناً من التماسك حول مبدأ المساواة ويعبر منصور النِمْري عن هذا الوضع بأبيات فاجعة يذكر فيها وحيدته العديمة الأم:

لولا أميمة لم أجزع من العدم ... ولم اقاس الدجى في حندس الظُلَمِ
وزادني رغبةً في العيش معرفتي ... ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحمِ
تهوى حياتي وأهوى موتها كرماً ... والموت اكرم نزّال على الحُرَمِ

ولم يكن في المدن مايحمل على التحيز ضد البنات لأن اقتصاد المدينة لايعتمد

حصراً على العمل العضلي لأفراد العائلة بخلاف الحال في الريف. وإنما يتعلق الأمر هنا بقوة التقاليد مع مايلحقها من مخاوف على مستقبل البنت من عدم زواجها أو جنوحها في علاقة محرمة فتسبب العار لأهلها. ولم يضع الغزالي هذه الاحتمالات في حسابه حين دعا إلى المساواة في النظر إلى الجنسين من الأولاد وجعل السلامة في البنت أكثر. ويرجع ذلك إلى أن الأوساط الفقهية لاتنظر إلى جنوح الفتاة بوصفه مجلبة للعار كما هو عند أفراد القبائل وأهل المدن المتأثرين بالامتداد القبلي والريفي وإنما تتعامل معه كإثم يعالج بالتوبة.

وأعطى الإسلام حق الميراث للمرأة وكانت محرومة منه في الجاهلية. وكان الذكر هو الوارث الوحيد، وإذا لم يكن بين الأولاد ذكور يذهب الميراث إلى العم. واستمر الحال على ذلك إلى أيام معركة أحد حين قتل الصحابي سعد بن الربيع وخلّف بنتين فجاء عمهما واستولى على الميراث ولم يترك لهما شيء. فجاءت أمهما إلى النبي شاكية فاستمهلها حتى يبت في الأمر، ويبدو أنه لم يكن قد سبقها إلى التفكير فيه، فنزلت عليه عندئذ آية المواريث فدعا عمهما وقال له: اعط ابنتي سعد الثلثين وأعط أمهما الثمن ولك مابقي. وكان ميراث سعد بن الربيع أول ميراث يقسم على البنات والأم. وإلى هذا يشير عمر بن الخطاب في قوله الذي أخرجه مسلم في الصحيح (٤/١٩٠): "والله إن كنا في الجاهلية مانعد للنساء أمراً حتى أنزل الله تعالى فيهن ماأنزل وقسم لهن ماقسم."

ومع أن حصة المرأة من الميراث كانت النصف فإن مبدأ توريث المرأة كان خطوة كبيرة للثورة الإسلامية في مجتمع كان يفرض الحرمان التام على النساء. وبالمقارنة مع الغير، نجد المرأة الأوروبية في العصور الوسطى وعصر النهضة محرومة عموماً من الإرث. وكان الإرث في بريطانيا يذهب جميعه إلى الإبن الأكبر فتحرم منه ليس البنات فقط وإنما بقية البنين. وعند الساميين القدماء والسومريين أعطت شريعة أورْنمّو حق الإرث للبنت العازبة إذا كانت وحيدة والدها. ويجري الحكم نفسه في شريعة حموربي إذ يقتصر التوريث على البنت العازبة وتحرم منه المتزوجة. وحصص الميراث في الإسلام شاملة للأولاد جميعاً بنين وبنات متزوجين وعزاب. وكان من المنتظر مع تطور المجتمع الإسلامي أن يعاد النظر في الحصص لتكون متساوية للجنسين وهذا ماقام به الدروز /الإسماعيليون في الأصل/ والشريعة الدرزيةتساوي بين الإبن والابنة في الميراث. ولاعلم لي بما فعل القرامطة في دولتهم ويمكن الافتراض أنهم لم يعنوا

بمسألة الإرث لأن نظامهم الاقتصادي لم يكن يساعد على تكوين أموال شخصية تكفي للمواريث. وهذه المسألة تكون ثانوية في الأنظمة المشاعية والاشتراكية ولاحظت بنفسي أن الصينيين حتى عام ١٩٧٩ وهو عام الانقضاض على نظامهم الشيوعي لم تكن لديهم قضية مواريث بعد إلغاء الملكية الخاصة وإعادة توزيع الثروة الاجتماعية على الناس بالتساوي فلم يبق لدى أحد مال شخصي يوزع على الورثة.

الفكرة السائدةحول الطلاق أنه من حق الرجل وحده. ومر بنا أن من جملة مظاهر القيمومة على المرأةهو الطلاق. وكانت المرأة في الجاهلية تتبادل هذا الحق مع الرجل. ثم تكرس له في شرع الإسلام الناجز الأبوية.وهنا ترد نقطتان أولاهما أن حق الطلاق ليس مطلقاً فهو يخضع لأصول نص القرآن على بعضها وجرت في بعضها الآخر على أسس المروءة الجاهلية. ومن أخبار عمر بن الخطاب أن رجلاًجاءه يريد طلاق زوجته فسأله عن السبب فقال: لاأحبها. فقال له:"وهل بنيت البيوت إلا على الحب؟ فأين الرعاية والتذمم؟" ولم يسمح له بالطلاق. على أن الفقه السني حوّل الطلاق إلى لعبة فهو يقع حسب هذا الفقه بمجرد القسم به مع الحِنْث أو بمجرد أن يقول لها أنت طالق. كما يقع الفراق بالظِهار وهو أن يقول لها في ساعة غضب:"أنت علي كظهر أمي" فتحرم عليه.

النقطة الثانية أن المرأة تملك هي الأخرى حق الطلاق في صيغة المخالعة. ويستند هذا الحق إلى قضية زوجة ثابت بن قيس المتفق عليها بين الفقهاء وأهل الحديث. وصورتها كما وردت في صحيح البخاري أنها جاءت إلى رسول الله وقالت له: "يارسول الله ثابت بن قيس ماأعتب عليه في دين ولاخلُق ولكني أكره الكفر في الإسلام". وكان ثابت دميماً. فسألها النبي: أتردين عليه حديقته؟ قالت نعم. فدعاه وقال له: اقبل الحديقة وطلقها تطليقة".. وكانت حسناء فأعطاها في المهر بستاناً وهو المقصود بالحديقة. وتسمى هذه بالمخالعة أو الخُلْع. ونص عليها القرآن في الآية ٢٢٩/ بقرة" ولايحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا أن لايقيما حدود الله فإن خفتم أن لايقيما حدود الله فلاجُناح عليهما فيما افتدت به" ومفاد الآية أن مهر الزوجة ملكها الشخصي الذي يجب أن لاينتقص منه شيء عند الطلاق لكن المرأة يمكنها التنازل عنه إذا رغبت هي في الطلاق. فالفرق بين الطلاق والخُلْع هو في المهر. إن قضية زوجة ثابت هي تطبيق لحكم الآية وسبب التفريق فيها هو دمامة الزوج مع استقامته ديناً وخلقاً وحسن مداراته لها. وقد استخلصوا منها قبول التفريق

بالخلع لوجود سبب مثل الدمامة في هذه القضيةالأم أو كراهتها لأخلاقه أو لوجود ماينفرها منه. وهذه أسباب تخصها شخصياً إذ يمكنها أن تتحملها وتواصل عيشها معه ويمكنها أن تطلب المخالعة وعندئذ تتنازل عن مهرها. وهناك حالةأخرى وهي أن يكون ظالمالها ومضيقاً عليها وعندئذ يرغم على طلاقها. وفي هذه الحالة يقع طلاق لاخُلع وتأخذ حقوقها منه بموجب أحكام الطلاق. وتوجد حالة ثالثة وهي انصرافها عنه إلى وجه آخر، أي "على وجه الفساد ومالايحل" وفي هذه الحالة يحكم عليها بالنشوز وتجبر على العيش معه.ويشبه هذا الحكم حكم عمر بن الخطاب في رد طلب الطلاق من رجل لأنه لايحب زوجته. ويستند موقفهم إلى افتراض إمكان بقاء العائلة والرابطة الزوجيةمع انعدام الحب الزوجي.

عملياً كانت حالات الطلاق أكثر من حالات المخالعة. ويتصل ذلك بجملة أمورأولها تساهل الفقه السني في مُوقعات الطلاق وعدم الالتزام كثيراً بنصوص القرآن والسنةفي هذه الأمور.وكثر ذلك في أحقاب التدهور السابقة والمساوقةللعثمانيين حيث انحلت مؤسسةالفضاء ولم يعد القضاة من فئات الفقهاء المجتهدين الكبار وصار القضاء ارتزاقاً كغيره من وظائف الدولة. الثاني أن بعض الفقهاء علقوا إيقاع المخالعة بموافقة الزوج خلافاً للمدلول الصريح في قضية زوجة ثابت. ويرجع ذلك إلى زيادة تعقيد المجتمع الإسلامي في الأطوار المتأخرة عن القرون الأولى وجنوحه أكثر نحو جنسوية متطرفة كما رأينا في تغيير وإلغاء أحكام أصلية تحت تأثير هذا التطور.. الثالث ملابسات مسألة الحقوق فالكثير من الفقهاء والقضاة يستندون في معالجة هذه القضايا إلى ضمان حق المرأة في المهر والنفقة فهم لايميلون إلى المخالعة لأنها تحرم المرأة من هذه الحقوق. والنساء من جهتهن لايجدن متسع للتنازل بدون سبب قاهر. والتخلي عن حقوق مادية يتطلب قوة إرادة وشخصية متعالية تتميز بها النماذج. وتظهر سيرورات العلاقة الزوجية بتعقيداتها وتناقضاتها أن المرأة كثيراً مارهنت نفسها بعقدة المهر وجعلتها محور خياراتها في حياتها الزوجية. يضاف إلى ذلك أن الناس في العصور المتأخرة لاينظرون بارتياح إلى المرأة التي تخلع زوجها مالم يكن ظلمه لها معروف وبادي للعيان ولو أن امرأة منهم تصرفت مع زوجها على طريقة زوجة ثابت بن قيس لرموها بالتهم.

أحكام وقضايا

إشكالات حول المهر:

المهر هو مايعطيه الرجل للمرأة من مال نقدي أو عيني لقاء زواجه منها. ويسمى أيضاً الصَداق ، وأصدقها: أعطاها الصداق أو سماه لها وكذلك أمهرها. ومن أسمائه الأُخرى السياق وقد شرحناه فيما سلف من هذا المؤلف. وينظر إلى المهر على أنه ثمن جسد المرأة ولذلك يطلق على أجرة المومس التي تسمى في الفقه "مهر البغيّ". وهو من المحرمات. وبهذا الاعتبار يكون معنى المهر هو ثمن التمتع بجسد الزوجةوينبني هذا المعنى على افتراض أن الزواج حاجة للرجل دون المرأة وأن التمتع بالجسد يكون من جانب واحد. وهوافتراض مسلّم به لدى البدو والفلاحين لكن الإسلام يجعل منه كذلك حقاً للمرأة يوفرلها احتياط مالي إذا انفصلت عن الزوج وفقدت المعيل.

واختلفت المذاهب في وجوب المهر ومالإذا كان عقد الزواج يصح بدونه. فاعتبرته الحنفيةركناً في العقد وجعله الشافعي جوازياً وهو قول المحقق الحلي في "المختصر النافع" إلا أنه في "شرائع الإسلام" يذكر وجوبه في عقدالمتعة خاصة. وينقل الإسماعيليةعن علي: لايكون تزويج بغير مهر (دعائم الإسلام٢/٢٢٢). ويراد بوجوبه استحقاق المرأة له فإذا أغفل ذكره في العقد صح العقد لكن حق المرأة لايسقط بإغفاله ويحق لها عندئذ المطالبة به فتعطى مهر المثل وهو المهر الذي يخصص لمن هي في مثل وضعها ومؤهلاتها. والهام في هذه المسألة هو صحة عقد الزواج بلانص على المهر فالمهر ليس شرطاً في العقدإنماهو حق ثابت للمرأة إذا طالبت

به. ويعني ذلك إمكان إسقاط المهر من عقدالزواج إذا اتفق الزوجان وارتأت المرأة أن تتنازل عن ثمن جسدها للزوج. والأمر متوقف عليها وحدها وليس في أحكام النكاح في أي مذهب مايجعل صحة العقد متوقفة على ذكر المهر. وحين يصار إلى الفهم الصحيح للعلاقة الزوجية بوصفها علاقة تكافؤ وحاجة متبادلة، بما في ذلك وفي الأساس الحاجة الجنسية، لايبقى لثمن الجسد معنى لأن التمتع بالزواج مشترك للزوجين وهو بذلك يختلف عن "مهر البغي" لأن المتمتع في هذه العلاقة هو الرجل وحده. وإنما جرى التشدد في المهور بسبب فقدان المرأة مصدر عيش إذا انفصلت عن الزوج وهو الغالب في العصر الماضي أما وقد دخلت المرأة مضمار العمل وصار لها مصدر عيشها المستقل فإن استمرارها في شرط المهر هو إقرار من جانبها بأن قبولها الزواج من فلان يعني أنها تبيع جسدها له. وينبغي التمييز بين المهر وعقد الزواج إذ كثيراً مايختلطان في أذهان الناس ومنهم عامة المثقفين الذين لايعرفون إلا القليل عن أمور الحياة المحيطة بهم. وبهذا المعنى للمهر لفقت المعارضةالتقليدية في العراق بعد ثورة تموز ١٩٥٨ وظهور الشيوعيين إلى العمل العلني أهزوجة (هوسة) نسبتها إلى الشيوعيين تقول:

بس هالشهر. ماكو مهر ذبوا القاضي بالنهر..

يقصدون عقد الزواج.

وربما دغدغت هذه "الماكو مهر" بعض (الشيوعيين) فعلاً وهم على الأكثر من مثقفي الحركات الشيوعية الذين تعلموا الإباحية من الغربيين وألصقوها بالماركسية. وقد قال لي شيوعي سوداني، من كبارهم، لقيته في الصين أن الماركسيةليس فيها زواج. وكانت هذه فتوى منه لتسويغ العلاقة المفتوحة مع النساء شأن الفتاوى التي يصدرها رجال الدين وتدخل في باب الحيل الشرعية لتمشية مصالح التجار أو مجاراة الجنسانية الذكورية*. وفيما يخص الأهزوجة (العراقية) فهي تجمع بين المهر وعقد الزواج وهذا الجمع في العامية التي تسمى جلسة عقد القران (كَتْب الكتاب) "مهر" فيقال: "اليوم مهر فلانة". وهو من باب التغليب في اللغة لكنه مثير لبلبلة اجتماعية بجمعه بين مصطلحين شرعيين لايتشارطان.

---

* يميل مثقفونا على العموم إلى شيوعية النساء أكثر من ميلهم إلى شيوعية الأموال.

تحديد النسل:

وردت أحاديث عن العزل لمن لايريد الإنجاب من علاقة جنسية مع امرأة ما. وتختص غالباً بمن يقيم علاقة مع امرأة لايراها صالحة لأن تكون أم لأولاده. ويأتي ذلك استثناء من سياسة محمد في تكثير النسل. لكن الغزالي دافع عن تحديد النسل بوجه عام ورد على رجال الدين القائلين بتحريمه (إحياء علوم الدين-كتاب آداب النكاح) وكان العرب والمسلمون قد كثروا في زمان الغزالي واكتظت المدن الإسلامية بالسكان فانتفت الحاجةإلى تكثير النسل.وقد رأينا الغزالي يعدل أحكام نبيه في بعض الأمور. وهو في هذه المسألة يخالفه أيضاً بمراعاة اختلاف الظروف.وأقر بالتحديد المحقق الحلي من الشيعة وهو من مراجعهم الكبرى ووسيلته عنده هي العزل أيضاً واشترط أن يكون باتفاق الزوجين ورضاهما (المختصر النافع ١٩٧).

والمقصود بالعزل أن يقذف خارج الرحم لمنع الحمل. وبحث الأطباء المسلمون في وسائل طبية لهذه الغاية. وتردنا وصفة ترجع إلى طبيب العرب المخضرم الحارث بن كلْدة تختص بالرجل يقول فيه كما نقلت عنه المصادر الإسلامية أن من أراد أن لايأتيه ولد فليدهن رأس الحشفة بدهن قبل الجماع. ولم تذكر المصادر ماهية هذا الدهن وتركيبه. واستحضر الأطباء المسلمون فيما بعددواء مأخوذ من النعناع يكون على شكل تحميلة تُحشى في الفرج قبل الجماع. وكانت الصيدلة الكيمياوية قد تطورت بدءاً من الرازي في القرن الثالث وأمكن استحضار أدوية ومركبات كيمياوية تجاوزوا بها الأدوية البسيطةمن النباتات. وليس لدينا مع ذلك معطيات عن مدى انتشار أدوية منع الحمل في العصر الإسلامي سوى أنها كانت معروفة لغيرالأطباء، وقد ذكر الفيروز أبادي تحميلة النعناع في الفقرة المختصة به من القاموس المحيط مما يرجح اشتهارها عندهم. أماالاهتمام بتحديد النسل فهو قديم عند العرب من جهة الحاجة إلى تقليل العيال هروباً من الفقر. وسئل حكيم بن حزام من وجوه قريش في أول الإسلام: مالمال؟ فقال: "قلة العيال". وفي نهج البلاغة: "قلة العيال أحد اليسارين". (اليسارالأول هو المال الوفير واليسار الثاني هو قلة الأولاد- اليسار هواليسر). ورؤي سفيان بن عُيينة على باب الخليفة فقالوا: ماهذا مكانك؟ فقال: "وهل رأيتم ذاعيال أفلح؟" يريد أن عياله ألجؤوه إلى الأخذ من الخليفة لحاجتهم مع كثرتهم.

وبخلاف وسائل تحديد النسل يمنع الإجهاض باتفاق الفقهاء. ووردت مع ذلك أدوية للإجهاض في دساتير الأدوية الإسلامية، فلعلهم مارسوه خارج التحريمات. وقد تأكدت من وجود هذه الأدوية في سوق البزورية بدمشق، وهو من أرمق أسواق الأدوية التقليدية في العالم العربي، إلا أن شيوخ الصنعة قلما يوافقون على صرفه لمن يطلبه. هذا مع أن أدوية سوق البزورية أقل تعقيداً من الأدويةالأصلية للأطباء المسلمين.

شروط في العقد:

يجيز أهل السنة شرط الرجل للمرأة في عقد النكاح أن لايتزوج عليها. ولايجيزه الشيعة. ويجيز السنة وبعض الشيعة تخيير المرأة بين البقاء والانفصال لغير ماسبب وعمدتهم فيه تخيير النبي لنسائه وهو من أحداث السيرة المتفق عليها. ومن الجانب العملي فإن التخيير مرتبط بأحكام المخالعة والنص عليه في الفقه هو لتقرير مبدأ طبقه النبي على نفسه. ووردتنا شروط في عقود الزواج المكتوبة على ورق البردي أعطاها الرجل للمرأة ففي عقد مؤرخ عام ٢٥٩ هـ يرد مايلي:"وشرط اسماعيل مولى أحمد (وهو الزوج) أن كل امرأة يتزوجها على امرأته عائشة بنت يوسف تقام تلك المرأة بيد عائشة تطلقها كيف شاءت من الطلاق". وهذا العقد محرر حسب المذاهب السنية.

توسع الشيعة في أحكام الجنس: ويدخل فيه إباحة المتعةالمحرمة عند غيرهم، ومنهم الشيعة الإسماعيلية الذين يخالفون الإمامية فيها. وأساس الإباحة هو مخالفة عمر بن الخطاب إذ أن بعض أحكام الفقه الشيعي مبنية على المشاكسة بصرف النظر عن خطورتها. وقد أباحوا قتل الفلاحين في حروب الفتح لأن عمر نهى عن ذلك وتشدد فيه. ومن الجانب العملي مورست المتعة في الوسط الشيعي كصيغة شرعية للبغاء وهي تمارس اليوم في إيران وفي حي السيدة زينب بدمشق على هذا النحو ولذلك تمنع منها بنات العوائل وتقتصر على من هي في حكم المومس. والفقهاء الذين سمحوا للبكر الراشدة أن تمتع نفسها بدون إذن وليها لايسمحون لبناتهم أو أخواتهم بذلك! أما الشيعي العادي فيقتلها غسلاًللعار إذا فعلت. واخرج الطوسي في "التهذيب" وهو من الكتب الاربعة الامهات حديث عن الصادق "لاتتمتع بالمؤمنة فتذلّها" وعلق عليه: حديث شاذ مقطوع ... واستطرد :" ويحتمل ان يكون المراد به

اذا كانت المرأة من أهل بيت الشرف فإنه لا يجوز التمتع بها لما يلحق اهلها من العار ويلحقها هي من الذل" (٢٥٣/٧) وفي خبر آخر للطوسي ان المتمتعَّ بها ليست من الاربع (أي ليست زوجة) لانها لا تطلق ولاترث وانما هي مستأجرة (٢٥٩/٧) وفي خبر ثالث انهن بمنزلة الإماء .

وللشيعة أحكام جائرة بخصوص الجواري (السراري). ففي "مفتاح الكتب الأربعة": إذا زوج الرجل عبده أمته (جاريته) ثم اشتهاها قال له: اعتزلها. فإذا طمثت وطئها (جامعها) ثم يردها عليه إن شاءت.(ج٥ص١٠).

والأصل في فروع الكافي ٤١٨/٥ . ويضع المحقق الحلي هذا الحكم في صيغة أخرى هي: "يحرم على المالك وطء (مجامعة) مملوكته إذا زوجها حتى تحصل الفرقة وتنقضي عدتها إن كانت ذات عدة". وفي هذا وقوف على الحكم الشرعي. أماالحكم الذي ورد في مفتاح الكتب الأربعة، فيرتبط بالشهوة الطارئة للمالك ويتضمن إمكان التكرار من غير تفرقة شرعية فهو من أبواب الزنا، أو المشاركة في امرأة واحدة مع آخر مما يتصل بالمراهطة، لكن المفروضة على الجارية من دون إرادتها وهي قد تكون محبة لزوجها الشرعي ولاتشتهي غيره.

وأحل الشيعة جماع الفَهْر للجواري وهوأن ينام بين جاريتين ويتنقل بينهما في الإدخال ويقذف في إحداهما أو يجامع جارية وأخرى قريبة تتابع مايجري بينهما وقد ينتقل إليها ليفرغ فيها. والفَهْر محرم عند بقية المذاهب. وفي أبواب النكاح من كتبهم باب يسمى "إعارة الفرج". استقصاه الطوسي في"الاستبصار" نقلاً عن محمد الباقر وابنه الصادق وهو أن تكون للرجل جارية فيعيرها لقريبه أو صديقه يتمتع بها ثم يعيدها إليه بعد أن تنتهي حاجته منها.ومبناها على القياس الشكلي بأن الجارية شيءمملوك فهي تعار كما تعار النخلة للاستفادة من تمرها.واختلفوا في الولد إذا ولدت الجارية المعارة فقال بعضهم يعتبر ابن المالك وقال آخرون أنه ابن المستعير. ونقل الطوسي عن موسى الكاظم وقد سئل عن إعارة الفرج:لاأحب ذلك. وفسره فقال: ليس فيه مايقتضي تحريم ماذكرنا لأنه ورد مورد الكراهية. وقد صرح عليه السلام بذلك في قوله: لاأحب ذلك. فالوجه في كراهية ذلك أن هذا مما ليس يوافقنا عليه أحد من العامة (أهل السنةوغيرهم من فرق المسلمين) وبما يشنعون به علينا فالتنزه عما هذا سبيله أفضل وإن لم يكن حراماً".

سألت بعض وجوه الشيعةعن هذا الحكم فاتهموا به الفقهاء من أصل فارسي والطوسي منهم، وقد يكون الفرس أقرب إلى هذه الأمورلإباحتهم قديماًنكاح المحارم ولأنهم لم يمروا بمرحلة بداوة ونظام قبلي صارم يسيج المرأةبنطاق شديد من المحرمات، لكن الفقهاء الشيعة من أصل عربي لاينقضون هذا الحكم وقد أورده المحقق الحلي في كتاب النكاح من "شرائع الإسلام" ونص على جوازه.

تستند هذه الأحكام إلى افتراض أولية الغريزة الجنسية وعدم الحاجة إلى كبحها بالمثل الاجتماعية أو إخضاعها للإرادة. وتشير من هذه الجهة إلى جنسانيةالحضارة الإسلامية التي تتشكل فيها كرس مشترك مع الحضارة الأوربيةالحديثة كلاًبوسائله الخاصة به. لقد تضمنت الشريعة الإسلاميةأبواب للجنس تجعل ممارسته ميسورة وقليلة الكلفة وتناولهاالفقهاء كأحكام إلهية أما الحضارة الأوربية فانطلقت من نفس المنطلق وهو أولية الغريزة الجنسية وعدم الحاجة إلى كبحها بالمثل الاجتماعية أو إخضاعها للإرادة، ووسائلها إلى ذلك رفع التابو عن الجنس. ويتوغل الغربيون في الطور الأميركي الراهن إلى مدى تجاوزوا فيه جنسانية الإسلام فأدرجوا في قوانينهم أحكام تتعلق بالشذوذ الجنسي للرجال والنساء تضفي عليه نفس الشرعية القائمة في الزواج الشرعي. والشريعة الإسلامية تعاقب على هذا اللون من الممارسةالجنسية ولوأن بعض الشيعة ومعهم بعض المالكية من السنة لم يحرموا ممارسة الشذوذ مع الزوجة على كره شديد(*). والمنطلق كما قلنا واحد في الحضارتين وهو الإفراط في مجاراة الغرائز(**). لكن المثقفية الإسلامية المعبرة عن وعي أقل حسية والمناهضة للذائذية رجال الدين اتجهت إلى ترقية الغرائز وتهذيبها بالإرادة وغالباً ماجرى ذلك في تنافر مع المسلمات الدينية وجاءت أمثولاته الأرقى من الفئات العقلانية القريبة من الإلحاد، وهم بالجملة أقطاب التصوف والفلاسفة وكبار المتكلمين والثوار من

* مع أن الكتب الأربعة للصدوق والكليني والطوسي تتفق على حديث نبوي يحرمها بنص قطعي

** قال الغزالي في الأحياء:

في الطباع ما تغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصنه المرأة الواحدة ويستحب لصاحبهاالزيادة على الواحدة الى الاربع> فإن يسر الله له مودة ورحمةواطمأن قلبه بها والا فيستحب له الاستبدال. ومفاد كلام الغزالي أن الاسراف في الجنس عند الأقوياء عليه من المستحبات الشرعية التي يثاب عليها المسلم. والغزالي يتكلم ها كرجل دين لا كفيلسوف وهو نفسه متعفف مترفع.

معارضي الدولة. ومعهم مؤسسو الفقه الأوائل ورواده الكبار في العصور التالية. وقد وصلنا تراث طهراني من هذا الوسط يناصف التراث الجنساني. لكن المجتمع الإسلامي كان في عمومه أشبه بالمجتمع الأوربي الحديث في جنسانيته العديدة الأطراف، والمرعية هنا من الشرع الإسلامي وهناك من الأيديولوجيا الغرباوية: هذا الشرع في معجاراته للغرائز، وتلك الأيديولوجيا في فرديتها الطاغية المستندة إلى نظام الاقتصاد الفردي المتحكم في منظومة القيم الغرباوية* والآيل من ثم إلى اجتراح مفهوم سائب للحرية الفردية يساوق بين حرية التاجر الرأسمالي في البحث عن الأرباح وحرية الفرد العادي في الركض البهيمي وراء الغرائز. وجنسانية الغربيين على أي حال أعدل من جنسانية الإسلام لأنها تعم الجنسين: ولو أنها بهذا العدل فتحت باب أوسع للعاهات الجنسية وآخرها وباء الأيدز الذي هو مرض غرباوي في المقام الأول ومرجعية الغرب فيه كمرجعية الهند في الطاعون.

---

* أنا مضطر إلى استعمال هذه الصيغة غرباوي بدل غربي لتفادي اختلاطها بالعربي إذا طارت النقطة وهي غالباً ماتطير.

أصل الاختلاط أن غرب في العربية تطور عن الآرامية (هو فيها بالعين فجعلته العربية بالغين والغين من مستحدثاتها) وشاءت الصدف أن تسمى هذه الأمة السامية بالعرب وأن يكون الغرب نقيضها الأكبر فتتجاوران في الكتابة أكثر من غيرهما فيقع الخلط بينهما لضآلة الفارق .

الحجاب

كانت الشعوب القديمة تهتم بغطاء الرأس بسبب انكشاف الناس للطبيعة. وتختلف أغطية الرأس بين الشعوب كما بين الرجال والنساء. وكان رجال العرب يتعممون ونساؤهم يتخمرن. والخمار ليس للحجاب بل هو كما يلبس الرجال العمائم. وكانت الجاهلية تسدل خمارها على كتفيها وتكون حرة في ترك صدرها وبعض ظهرها مكشوفين، مع الوجه. وكانت تتزين بالحلي من الذهب والفضة واللؤلؤ والعقيق وغيرهما مما هو متوفر في العربيا. وليس لدينا مايدل على أنها كانت تلبس ثياب قصيرة يظهر منها أعلى الساق أو أعلى الذراع. والزي المشترك لنساء الشرق القديم، عدا المعاشر البدائية، يكون في العادة طويل وفضفاض لايتقسم على الجسد. لكن الأقدام وقسم من الساعد كانت تظهر عاطلة أو محلاة. وقد استمرت المرأة على هذا الزي بعد الإسلام حتى السنوات المبكرة من الهجرة إلى المدينة. ثم جاء الأمر بالحجاب.

فرض الحجاب بآيتين: الأولى هي الآية ٣١/نور "وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها. وليضربن بخُمُرهن على جيوبهن ."

في هذه الآية أمر بستر الصدر يؤديه قوله: وليضربن بخمرهن (جمع خمار) على جيوبهن. والجيب قديماً هو الزيق الذي ينكشف عن الصدر. والمقصود هو إسدال الخمار الذي يغطي الشعر على الصدر حتى يغطيه. أما الاستثناء الذي تضمنته الآية فيما يخص الزينة فيتعلق بما يسمح بإظهاره منها. والزينة يدخل في عدادها الحلي

والزواقة. وكانت الحلي هي الأساور والقلائد والخواتم والخلاخيل. أما الزواقة فللوجه. والستر لايختص بالحلي بل بمواضعها، ويمكن للقلادة أن تدلى فوق الثياب الساترة للصدر. لكن الأساور والخلاخيل والخواتم إنما تلبس فوق الأجزاء العارية. وفي غزلية لخالد بن يزيد في رملة بنت الزبير تحدث عن مشي النساء بخلاخيلهن وأنه تطلع إليهن عسى أن يرى حبيبته بخلخالها أو قلادتها. ولايشمل الستر زينة الوجه. وأورد الغزالي في إحياء علوم الدين -كتاب آداب النكاح- مأثور يقول أن أحب طيب الرجال ماظهر ريحه وخفي لونه وأحب طيب النساء ماظهر لونه وخفي ريحه.

الثانية الآية ٥٩/أحزاب ونصها: "ياأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلايؤذين." ويتفق المفسرون على أنها جاءت بعد حوادث تعرضت فيها النساء الحرائر لمضايقات الشباب في المدينة. وكان هؤلاء يلاحقون الجواري (الإماء) لكن عدم اختلافهن في الزي عرّض الحرائر للتحرش مع الجواري فاشتكت الحرائر إلى أهليهن فجاءت الآية تأمرهن بحجاب إضافي يميزهن عن الإماء. وهذا ماصرحت به الآية "ذلك أدنى أن يعرفن فلا يُؤذين" وكانت وسيلة القرآن إلى ذلك هي "إدناء الجلابيب".

وبين المفسرين كما اللغويين خلاف حول معنى الجلباب فقد فسروه بالخمار أو الملحفة أو القناع أو الثوب الذي يستر البدن من أعلاه إلى أسفله، أو ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء أو كل ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها. واختار القرطبي في "أحكام القرآن" أنه الثوب الذي يستر جميع البدن. ولاختياره شاهد في قول المتنبي عن البدويات "حمر الحلى والمطايا والجلابيب" فقد أراد الملابس لامجرد الخمار أو الرداء. وهذا المعنى هو المعروف اليوم في صيغة "جلابية" وهي ثوب فضفاض طويل تلبسه المرأة أو الرجل في شتى البلدان العربية. على أن المفسرين والفقهاء أخذوا الآية على أنها أمر بستر الوجه كعلامة تميز الحرة عن الجارية، وبهذا التفسير تكون الآية ٥٩/ أحزاب ناسخة للآية ٣١/نور، غير أن التفاسير لم تنص على ذلك. ومن متابعة أقوال المفسرين نراهم عند تفسير الآية الأولى يتحدثون عن كشف الوجه وحين يتناولون الآية الثانية يتحدثون عن ستره دون أن يلتفتوا إلى التعارض بين التفسيرين. وهذه مشكلة صعبة الحل ومنشأها تلك العبارة العائمة في الآية الثانية "يدنين عليهن من جلابيبهن" لكن في الآية شيء واضح محدد هو التعليل الذي أعطته للأمر بإدناء الجلابيب. وسنعود إليه بعد قليل. ونشير هنا إلى أن حجاب الوجه فرض على النساء

في غضون العصر العباسي بقدر مايخص الحرائر. أما قبل ذلك أي في القرنين السابقين فالروايات متضاربة. وقد أشارت بعض مصادر التفسير إلى أن نساء المدينة حجبن وجوههن بعد الآية ٥٩/أحزاب. وعليها اعتمد المتشددون من الفقهاء في حجاب الوجه. لكن مصادر الحياة الاجتماعية في صدر الإسلام والأوان الأموي تفيد أن النساء كن سافرات الوجوه حتى في الطواف حول الكعبة وهو ماصير الحج موسم للحب جعل عمر بن أبي ربيعة يقول:

ليت ذا الحج كان حتماً علينا كل شهرين حجة واعتمارا

ولابد على أي حال أن تكون الآية ٥٩/أحزاب قد أمرت بحجاب إضافي للحرائر لانعرفه بالضبط. وتقول التفاسير أن الإماء كن - شأن الجاهليات - يكتفين بالخمار للرأس والدرع للصدر. والمتفق عليه أن الجواري غير مشمولات بحكم الحجاب. وتخبرنا مصادر التفسير أن عمر بن الخطاب كان يتشدد في منعهن من التحجب، كما تردنا رواية لابن سعد أن عمر بن عبد العزيز أمر أن لاتلبس أمة خماراً ولايتشبهن بالحرائر - ترجمته في الطبقات - ويفهم من هذا أن الجواري كن يتطوعن أحياناً للتحجب تشبهاً بالحرائر (مما يقع عادة لدى الفئات السفلى التي تنزع لتقليد الفئات العليا بتأثير وهم التحضر)*. والعلة في تشدد العمرين في هذا الشأن هي ضبط سلوك الحرائر مع صيانتهن من الاعتداء لأن الجواري كن منفلتات لعدم انتسابهن إلى عوائل. لكن هذا التمييز في الحجاب له سابقات في الحضارات السامية الأقدم. فقد ألزم القانون الآشوري الحرائر بحجاب يشمل الرأس عند الخروج من بيوتهن ومنع الجواري من ذلك. ولاأعرف العلة فيه ومإإذا كان قد أريد بها نفس الغاية التي توخاها المشرع السامي اللاحق.

كذلك يمكن الاستنتاج من حكم الآية ٥٩/أحزاب أن الحجاب لم يفرض للتحرز

* كانت نساء بغداد في الجيل الماضي يتبرقعن بالبرقع الفارسي المسمى (بوشي) وكانت نساء ريف العاصمة المسمى كرادة (فتح الكاف وتشديد الراء) لايتبرقعن على ديدن نساء الفلاحين والبدو. لكن الموسرات من نساء الكرادة كن يقلدن نساء بغداد فيلبسن البوشي. وهذا للإشعار بأنهن قطعن خطوة نحو التحضر يتقدمن بها على أقرانهن الفقيرات. ويخضع هذا التصرف لذات الدافع النفسجتماعي الذي يكمن وراء تشبه الجواري في الحجاب، رغم أن منطق التحرر وبالتالي منطق التمدن هو في هذه المسألة مع الجواري لامع الحرائر ومع الكراديات لامع البغداديات.

من فتنة النساء للرجال فمصدر الفتنة هو الجواري في المقام الأول لأنهن في الغالب أجمل من الحرائر وأقدر منهن على التلاعب بعقول الرجال. إن هذا ماجعل المفسر الأندلسي أبو حيان صاحب "البحر المحيط" يخالف زملاءه المفسرين فيقول بعموم الحجاب للحرة والأمة. وقال أن الفتنة بالإماء أكثر. لكن تفسير أبو حيان هو بمثابة اجتهاد في موضع النص، الذي تضمن تعليل صريح للحكم يحصره في تمييز الحرائر عن الجواري. كما أنه متعارض مع تطبيقات الآية في صدر الإسلام. ولو أن الغرض كان درء الفتنة لكان الأمر بالتحجب عاماً، بل ولكان المتوقع أن يتشدد المشرع في حجب الجواري ويتساهل في الحرائر.

إن الخوف من الفتنة هو الاعتبار الذي راعته الآية ٣١/نور في نهيها عن إبداء الزينة - التبرج في اصطلاح القرآن - وأمرها بستر الشعر والصدر. وهذه الآية هي آية الحجاب الأصلية وفيها تتعين حدوده غير المقيدة بوضع أو زمن لأنها صدرت عن التحسس ضد الإغراء لدى المشرع الإسلامي. وهي لم تضف الكثير على الزي الجاهلي سوى ستر الصدر وزيادة الحشمة بعدم إظهار مفاتن الجسد.

وقد استثنيت من قيود الآية فئة من النساء ذكرت في آية لاحقة من نفس السورة رقمها ٦٠ وهذا نصها: "والقواعد من النساء اللاتي لايرجون نكاحاً فلاجناح عليهن أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة. وإن يستعففن خير لهن - الجناح بالضم هو الإثم والحرج. والقواعد في الآية هن النساء اللواتي بلغن سن اليأس ومافي حكمه مما يوقف حاجة المرأة إلى الرجل، ولايجعل حالها من جهة أخرى مثير لشهوته. والآية تنص على إعفاء هذه الفئة من النساء من القيود التي فرضت عليهن في الآية السابقة. وهو قول المفسرين في مجموعهم. ويستفاد من هذا الاستثناء أن الآية الأصلية مختصة بالنساء في سن معينة هي التي يكن فيها مستعدات أو قابلات للعلاقة الجنسية -بينما يستدل من الآية الأخيرة جواز خروج المرأة التي تعدت هذا السن حاسرة سافرة.

لم يلتفت الفقهاء، مع أخذنا بتفسيرهم للآية ٥٩/أحزاب أي أنها أمر بحجاب الوجه، إلى أن حكمها موقوت لكونه متوقف على وجود الجواري. كذلك لم يطبق حكم الآية ٦٠/نور فيما يخص القواعد من النساء فعاشت المرأة المسلمة تحت الحجاب من صباها حتى شيخوختها. ويصطدم التعامل مع الأولى باعتبارين: افتراض أبدية الأحكام الشرعية استناداً إلى حديث يقول أن حلال محمد حلال إلى يوم

القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة، وكون الخطاب الإلهي قد انطلق من قرار آخر إلهي أيضاً هو الوجود الأبدي للرق. ومن الملحوظ هنا أن المجتمعات المتأدلجة تزداد انغلاقاً مع ترسخ سلطتها السياسية القائمة على العقيدة. ومن غير أن نهمل الخروقات التي تقوم بها الهرطقة تحت مؤثرات النمو الثقافي والمدني فإن فعل الدوغما غالباً مايتضخم في هذه المجتمعات حتى على حساب النص المقدس. ولقد أهمل توجيه محمدي هام بعدم الغلو في الدين فكانت القيود والتحريمات تتضخم مع انحسار رقعة الفكر الإسلامي وانطفاء العقلانية الكلامية والفلسفية تاركة مساحات متزايدة تنشط فيها العقيدة. ومر بنا أن اجتهادات في موضع النص صدر عنها فقهاء ومفكرون لصالح تسويئ الآثار السلبية للأحكام وكان يمكن أن تخدم هذه الهرطقات الفقهية مصالح التطور نحو الأفضل، فبدلاً من أن يحكم فقيه بمنع النساء من الخروج إلى المسجد خلافاً لتعاليم نبيه كان سيفتي بتقليص عدد الزوجات إلى واحدة بعد أن قلصها أسلافه إلى أربعة.. وهو في كلتا الحالتين يرتكب مخالفة للأصول مجتهداً في موضع النص. يمكن أن نسجل في هذا المقام بعض المفارقة في التعامل مع الشريعة والعقيدة. فبينما تقضي مصالح التطور بإعادة النظر في أحكام الشريعة -أي شريعة- لاستبعاد مالم يعد ملائماً للظروف المستجدة، يصار إلى استبعاد أحكام فيها ملاءمة لتلك الظروف لأن نمو العقيدة وترسخها يقضي بزيادة التحريمات. وهذه نزعة شاملة تقع في المجتمعات المتأدلجة من دينية ودنيوية.

حكم المضيّفة ...

المضيّفة عند المعاصرين هي التي تتولى تضييف الناس في موقع ما: واسطة نقل بعيد أو فندق أو مطعم. وهو اسمها الذي يجب أن تتحلى به بدلاً من خادمة أو نادلة وبه يجب أن يسمى زميلها المضيّف بدلاً من خادم أو نادل أو جرسون. يلفظها الناس بتشديد الياء وهو لفظها في القرآن:"فأبوا أن يضيّفوهما".

أخرج البخاري في كتاب النكاح من صحيحه، الباب السابع والسبعين مايلي:

"لما عرّس أبو أُسيد الساعدي دعا النبي وأصحابه، فما صنع لهم طعاماً ولاقربه إليهم إلا امرأته أم أُسيد. وبلّت تمرات في تور من حجارة من الليل فلما فرغ النبي من الطعام أماثته له فسقته تتحفه بذلك"

وفي رواية ثانية جاءت متممة لهذه الرواية:" كانت امرأته يومئذٍ خادمهم.. انقعت تمرات من الليل فسقته إياها" أي النبي.

ورد الحديث بروايتيه في باب:"جواز خدمة المرأة للرجال الغرباء". وفي هذا العنوان وفي أسلوب عرض الروايتين مايدل على أنه كان موضع خلاف: "فما صنع لهم طعاماً ولاقربه إليهم إلا امرأته" ويمكن أن نستدل منه أن المسلمين في زمن لاحق لم يهضموا هذا الشكل من العلاقة بين الرجال والنساء فتماروا فيها فجاءت هذه الرواية لتضع حد للخلاف حولها.

وفي هذا المساق كتب محقق جديد من رجال الدين لصحيح البخاري تعليق جاء فيه: أولاً إن ذلك كان قبل أن يفرض الحجاب، وإذ لم يجد دليل في مصادره يؤكد قوله هذا استدرك قائلاً: "على أنه ليس في مجموع طرق الحديث مايدل أنها

جلست معهم أو اظهرت لهم الزينة أو مواضعها، وعليه فلا إشكال ولاممسك لذوي النفوس الضعيفة والقلوب المريضة في مثل هذه الحوادث إذ لايمتنع دخول المرأة مجالس الرجال وخدمتهم إذا كانت هناك حاجة وكانت محتجبة بالحجاب الذي افترضه الله عز وجل".

إن الشيخ المحقق يقف حائراً أمام هذا الحديث بعد أن رأى خطره على ثوابت في فقه النساء فجاء تعليقه مضطرب متناقض، يقول أولاً أن هذا كان قبل فرض الحجاب ثم يعود فيقول أن دخول المرأة مجالس الرجال غير محرم إذا كانت متحجبة. وافتراضه الأول يعني أن أم أسيد خدمت ضيوفها وهي سافرة أما الثاني فيفترض أن الحدث يحتفظ بدلالته على جواز دخول المرأة مجالس الرجال وخدمتهم. واشتراطه التحجب تدخل منه في مجرى الحدث إذ لم تنص رواية البخاري أنها كانت سافرة أو متحجبة. ينضاف إليه أن قول الشيخ بجواز دخول المرأة مجالس الرجال وخدمتهم هو فتوى له مستندة إلى الحديث رغم تطيره منه. ومضمون الفتوى بيّن في عنوان الرواية:"جواز خدمة المرأة للرجال الغرباء". أما اشتراطه الحجاب عند الخدمة فغير وارد صراحة في قصة أم أسيد. ومن المفروض على أي حال أنها لم تكن متخلعة كما لم تظهر من زينتها مايصل بها إلى التبرج المحرم. وفيما يخص آية الحجاب الثانية كما فهمها الفقهاء فإن أم أسيد غير مشمولة به لأن الغرض من الآية اتخاذ علامة تميز الحرة عن الجارية في الطرق والأسواق، وأم أسيد كانت في بيتها ويعرف ضيوفها أنها حرة فلم تكن بها حاجة إلى علامة تميزها من جهة الأمر الشرعي وإنما المطلوب هو أن تكون محتشمة الهيئة. وهذه الحشمة هي ماتشترك فيه حضارات الشرق والأديان السماوية الثلاثة. وهي أيضاً ماتبعته المجتمعات الشيوعية الحديثة قبل انحلالها فقد كانت المرأة السوفييتية حتى نهاية عهد ستالين والمرأة الصينية حتى عام ١٩٧٩ محتشمة في ملابسها لاترتدي الثياب القصيرة ولاالكيمونو ولاتسرف في إظهار زينتها أثناء العمل. وسنفصل ذلك في القسم الأخير من المؤلف.. والمشكلة التي تواجهنا في هكذا أمور هي العقيدة وآلية تقويتها بالمزيد من القيود والتحريمات إلى الحد الذي يجعل المؤمنين الخلص يفزعون من بعض نصوص الكتاب والسنة كما يفزعون من كلام المارقين والزنادقة فيسرعون إلى تأويلها لئلا تخرجهم عن يقينهم.

أسماء نسوية

ألف المؤرخ السوري عمر رضا كحّالة معجم "اعلام النساء" ضمنه ماوصل إليه استقصاؤه من الشخصيات النسوية في العصر الاسلامي وما بعده ويقع في خمس مجلدات تعطينا مراجعتها فكرة عن دور المرأة المسلمة في حياة عصرها. والدور صغير كما هو في كل زمان ومكان قبل العصر الحديث الذي شهد زيادة كبيرة في مساهمات المرأة التي بقيت مع ذلك صغيرة بالقياس إلى الرجال قبل أن تقفز إلى أرقام قياسية جديدة في المجتمعات الشيوعية المجهضة كما سيأتي لاحقاً. وهذه قائمة أولية بأسماء نساء كان لهن شأن في عصور الإسلام وفيها بعض مافات المرحوم عمر كحالة...

١ ـ في معركة اليرموك نظّم خالد بن الوليد النساء في صفوف وراء المقاتلين وسلحهن بالسيوف وأمرهن أن يقتلن أي هارب من المعركة. وكان أبو سفيان حاضر في الموقع فخفف الأمر وقال لهن: "من رأيتنه هارباً فاضربنه بالحجارة والعصي حتى يرجع". وأبو سفيان رجل سياسة وخالد رجل حرب. والذي حمل على هذا الإجراء هو قلة المقاتلين المسلمين بالقياس إلى البيزنطيين (نسبة ١/٣). وقامت النساء بما طُلب منهن حسب توجيه أبو سفيان فاستعملن الحجارة والعصي لرد الهاربين إلى الجبهة. وشارك بعضهن في القتال بالسيوف التي سلحهن بها خالد وقتلن الكثير من جنود البيزنطيين المتقهقرين.

٢ ـ كان أشهر الخطباء المحرضين في معسكر العراقيين بمعركة صفين من النساء. ووردتنا نصوص من الخطب النارية التي ألقينها يوم ذاك في كتاب ""بلاغات النساء" لأحمد طيفور، من معاصري المأمون. والكتاب مصدر هام وقديم جداً لنشاط المرأة

في صدر الإسلام. ويفتقر إلى طبعة شعبية محققة ومشروحة ليكون في متناول عامة القراء. وآمل أن تنهض امرأة مابهذه المهمة فالكتاب يعدد مآثرهن وبطولاتهن.

٣ ـ ينفرد الخوارج بكثرة النساء في صفوفهم. وكن يباشرن القتال ويقعن في الأسر. وكان زياد وابنه عبيد الله والحجاج يقتلون الأسيرات الخارجيات على خلاف التقاليد العربية التي تمنع قتل المرأة لأي سبب . وأظهرن من البطولة في ساعة القتل مايثير العجب إذا صدر من الرجال. ولم يردنا الكثير من أسمائهن سوى أم حكيم زوجة قطَري بن الفُجاءة وغزالة زوجة شبيب أو أمه أو كلتاهما. وشبيب قد يكون أعظم بطل أنجبه تاريخ الإسلام وكانت غزالة في مستوى عظمته بالتمام. وإليها يشير شاعر من صنائع الأمويين:

اقـامـت غـزالـة سـوق الـضراب لأهل العراقين حولاً قميطاً (تام)

غـزالـة في مـثـنـي فـارسٍ تلاقي العـراقان منها البطـيطا

يريد بالعراقان جنود الدولة في العراقين والعراقين هما البصرة والكوفة. وقال آخر يعير الحجاج بهروبه منها:

هلا برزت إلى غزالة في الوغى ام كان قلبك في جناحي طائر؟

٤ ـ كشف المؤرخون عن أسماء نساء مجهولات تولين إدارة التنظيم السري للشيعة في أوائل الأمويين منهن: هند الناعطية وكان بيتها وكر للشيعة في البصرة وليلى المُزَنية مثلها. وكان لليلى أخ يدعى رفاعة على نهجها إلا أنه معتدل فكانت لاتحبه بسبب اعتداله.

٥ ـ الضريح المسمى باسم السيدة زينب في ضواحي دمشق ليس لها على وجه التحقيق. زينب امرأة مجهولة المصير لايدري أحد أين ماتت ومتى. كانت قد استوعبت الدور الذي رسمه لها أخوها الحسين في كربلا وتمكنت من إنقاذ ابنه الوحيد الذي بقي حياً بعد المعركة. وكان قد تعرض للقتل مرتين واحدة على يد والي الكوفة عبيد الله بن زياد والثانية على يد الخليفة الأموي في الشام. وهي التي اضطرت الخليفة إلى لفلفة القضية والإسراع بإعادة الأسرى إلى الحجاز بتأثير الدعاية التي قامت بها في دمشق. وبعد عودتها إلى المدينة تصدرت حملة التشهير بالأمويين. ثم أنها اختفت فلم يعرف لها مصير. وينبغي أن يكون الأمويون اختطفوها إذ لم يجرؤوا على اعتقالها علناً وجرت تصفيتها من ثم ودفنت في مكان مجهول. ومصير

هذه المرأة من الأحداث الغامضة في تاريخ الإسلام. أما ضريح السيدة الدمشقي فينسبه ابن عساكر مؤرخ دمشق إلى أختها الصغرى وكان اسمها زينب أيضاً. ولم يكن لها شأن يذكر في الأحداث. وقد اخترع الفاطميون ضريح ثاني لزينب الكبرى وأقاموا عليه المسجد الكبير الذي هو الأن من معالم القاهرة. وهو ضريح بلا مضروح.

٦ ـ كانت لنساء البلاط العباسي والأندلسي وبلاطات السلاطين فيما بعد أدوار سلبية هي الأدوار المعتادة لنساء البلاط في أي مكان لاسيما في أوانات تفكك الأسر الحاكمة وفساد الدول. وبرزت من نساء العباسيين قبيحة أم المقتدر وقهرمانتها تَمَلّي التي تولت النظر في المظالم برصافة بغداد وكان يحضر مجلسها القضاة والفقهاء. وهذه المرأة وسيدتها ومن على شاكلتها يتقن من فنون الكيد والتآمر أكثر مما يعرفن من أمور السياسة. وهن من مظاهر الفساد اللازمة عن فساد الدولة. ولاشك أن القضاة والفقهاء الذين كانوا يحضرون مجلسها هم موظفو دار الخلافة وليس الرواد العظام للفقه والقضاء.

٧ ـ مع ازدهار واتساع الحركة الثقافية كان لابد من موقع للمرأة. وهنا لانعثر لها على موقع في النشاط الكلامي والفلسفي. ونعثر على طبيبة واحدة فقط في معجم ابن أبي أصيبعة الضخم عن أطباء اليونان والسريان والإسلام. وعلى مساهمات في الأدب والشعر ولكن من غير أن نظهر على شاعرة كبيرة كالخنساء. لكننا نقف على مساهمات جليلة في الفقه والحديث والتاريخ فنقرأ أن من بين شيوخ ابن عساكر ثمانين امرأة. وابن عساكر أحد كبار مؤرخي الإسلام في جميع العصور وكتابه الأرأس "تاريخ دمشق" من الأمهات. ونقرأ عن المؤرخ البغدادي ابن النجار في القرن السابع أنه تخرج على ثلاثة آلاف شيخ بينهم أربعمئة امرأة.

وكان لها حضور في التصوف. ورابعة العدوية من الأقطاب. وفي مراجع الصوفية أخبار عنهن تدل على انتشار التصوف بينهن، ويبدو مع هذا أن القليل منهن من بلغ القطبانية.. وقلما نعثر في كتب طبقات الصوفية على اسم بوزن رابعة. وفي أخبار أبو يزيد البسطامي أن امرأة تنازلت عن مهرها لزوجها لقاء ايصالها إليه وكان الرجل من عامة الناس وزوجته تنزع إلى التصوف فلما رأت البسطامي وجلست إليه ألقت الحجاب وسمعت منه وسمع منها فلما انتهى اللقاء قال لزوجها: "خذ الفتوة

من امرأتك"

ونرصع مايلي من الصفحات بأسماء للمشاهير منهن انتقيناها من البداية والنهاية لابن كثير وهن في الغالب من نساء الفقه والحديث.

ـ أم عيسى بنت ابراهيم الحربي عالمة فاضلة تفتي في الفقه توفيت عام ٣٢٨هـ. وإبراهيم الحربي نسبة إلى قنطرة حرب من محلات بغداد الإسلامية لغوي وفقيه من الأحبار أجاع نفسه وزوجته وبناته لرفضه القبض من الخليفة. بعث إليه المعتضد ألف دينار لما بلغه الخبر عن جوعه فلم يقبلها فأعاد عليه الكرة فأبلغه:"إن كنت لاترغب في جوارنا رحلنا عنك" فأمسك..

ـ ابنة الشيخ أبي الزاهد المكي كانت من العابدات الناسكات المقيمات بمكة وكانت تقتات من كسب أبيها من عمل الخوص في كل سنة ثلاثين درهماً يرسلها إليها فاتفق مرة أن أرسلها مع بعض أصحابه فزاد عليها ذلك الرجل عشرين درهماً فلما اختبرتها قالت: هل وضعت في هذه الدراهم شيئاً من مالك؟ أصْدُقني بحق الذي حججت إليه. فقال: نعم عشرين درهماً. فقالت ارجع بها لاحاجة لي فيها ولولا أنك قصدت الخير لدعوت الله عليك. فقال خذي منها الثلاثين التي أرسل بها أبوك ودعي العشرين فقالت: لاإنها اختلطت بمالك ولاأدري ماهو: (تقصد لاأدري من أين كسبت هذا المال).

ملحوظة: الأدلجة الروحية للدين، أي دين، تفرز معادلات اجتماعية من هذا النمط. ومع أن أهل الدين يريدون سعادة الدارين فإن الطاقة الروحية التي تخلقها الأدلجة قد تفعل فعلها في تجريد موضوعها من اللذائذية الدينية.. امرأة ترجع إلى أصول دينية مغلقة تنشئ لها علاقة روحية مع السماء فترتقي في مدارج التجرد إلى حد الاستغناء المطلق عن الرخص الشرعية.

ـ ستيتة بنت القاضي أبي عبد الله المحاملي أم عبد الواحد، قرأت القرآن وحفظت الفقه والفرائض والحساب والنحو وغير ذلك. وكانت من أعلم الناس في وقتها بمذهب الشافعي وكانت تفتي به مع الشيخ أبي علي بن أبي هريرة. وكانت فاضلة في نفسها كثيرة الصدقة مسارعة إلى فعل الخيرات. توفيت عن بضعة وتسعين عام ٣٧٦هـ.

ـ أم السلامة بنت القاضي أبي بكر أحمد بن كامل فقيهة محدثة، حدث عنها

الأزهري والتنوخي وأبو يَعلى بن الفراء وغيرهم (٣٩٠هـ)

ـ خديجة بنت موسى الواعظة وتعرف ببنت البقال وتكنى أم سلمة. كانت فقيرة صالحة فاضلة كتب عنها الخطيب (البغدادي مؤلف تاريخ بغداد)

ـ كريمة بنت أحمد قرأ عليها الخطيب صحيح البخاري في خمسة أيام. (الغرض من القراءة ضبط نصوص الكتاب وشرح مبهماته)

ـ المروزية (لم يذكر اسمها) كانت عالمة صالحة سمعت صحيح البخاري على الكَشْميهَني وقرأ عليها الائمة كالخطيب وأبي مظفر السمعاني وغيرهم.

ـ فاطمة بنت علي (بنت الأقرع) كانت تكتب على طريقة ابن البواب ويكتب الناس عليها. وبخطها كانت الهدنة من الديوان إلى ملك الروم وكتبت مرة إلى عميد الدولة الكندي رقعة فأعطاها ألف دينار (٤٨٠هـ)

/خطاطة على طريقة ابن البواب أشهر خطاطي العصر العباسي. والهدنة التي كتبتها بخط يدها هي اتفاقية لوقف القتال مع البيزنطيين. وكانت مثل هذه الاتفاقيات تعقد بين الحين والآخر لإقرار هدنة موقته وتبادل الأسرى./

ـ فاطمة بنت الحسين بن فضلويه سمعت الخطيب وابن المسلمة وغيرهما وكانت واعظة لها رباط تجتمع فيه الزاهدات. وقد سمع عليها ابن الجوزي مسند الشافعي وغيره.

ـ الشيخة فاطمة بنت الشيخ ابراهيم زوجة النجم بن اسرائيل كانت من بيت الفقر لها سلطنة وإقدام وترجمة وكلام في طريقة الحريرية وغيرهم /يشير إلى تصوفها/ حضر جنازتها خلق كثير سنة ٦٨٨هـ.

ـ فاطمة بنت عباس أم زينب البغدادية من أهل القاهرة كانت من العالمات الفاضلات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقوم على الأحمدية(*) في مواخاتهم النساء والمردان وتنكر أحوالهم وأصول أهل البدع وغيرهم وتفعل من ذلك مالايقدر عليه الرجال. وقد كانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية فاستفادت منه ذلك وغيره. وقد سمعتُ الشيخ تقي الدين يثني عليها ويصفها بالفضيلة والعلم ويذكر عنها أنها كانت تستحضر كثيراً من المغني (موسوعة فقه حنبلي) أو أكثره

* الاحمدية من فئات المتصوفة في دور الانحلال كانوا اباحيين.

وأنه كان يستعدلها من كثرة مسائلها وحسن سؤالاتها وسرعة فهمها....

ملحوظة: لابد من سؤال عن سبب كثرة المشتغلات في علوم الدين من النساء وقلتهن في الفروع الأخرى وأجيب أن المرأة هنا لاتواجه معوقات إذ لايجرأ أحد على منعها من قراءة القرآن والحديث وهي إذا أتمت ذلك أمكنها التوجه لدراسة الفقه وقد يحدث لها ميل إلى التصوف فتأخذ بطرف منه قليل أو كثير. وإذا تفقهت يعسر عندئذ منعها من الاجتماع إلى الرجال أو اجتماع الرجال إليها. وكانت هذه طريقة ميسورة لمساهمة المرأة المسلمة في الحياة العامة. ولايحسب القارئ أني أتحدث عن كيدهن فهذا من تسويلات النفس الباطنة حين تقفل عليها أسباب الحركة فتلتمس لها منافذ. والعلة عندي أن المرأة في الحضارات الأبوية تكون أميل إلى الدين والغيبيات فربما وجدت المرأة المسلمة تحقق كينونتها في الفقه والحديث أكثر مما في الطب والعلوم الدنيوية الصرفة. وهي على أي حال قد أظهرت كما يتبين من هذه الأمثولات قدرتها على مضاهاة الرجال في مجالات محتكرة لهم وتقدمتهم حين فرضت عليهم التلمذة لها.

ابن رشد والمرأة

تحدث ابن رشد عن المرأة في "جوامع سياسة أفلاطون" وهو من كتبه المفقود أصلها العربي ووصلنا عنه تلخيص لارنست رينان في كتابه "ابن رشد والرشدية". ورأيه في المرأة هو رأي المعاصرين من غلاة أنصارها ونقتبسه بنصه كما أورده رينان مترجماً عن اللاتينية إلى الفرنسية وترجمة عادل زعيتر إلى العربية في لغة ليست قريبة من لغة ابن رشد وحاولت تقريبها جهد الإمكان بالتصرف في عبارات المترجمين:

"تختلف النساء عن الرجال في الدرجة لافي الطبع. وهن اهل لفعل جميع مايفعل الرجال من حرب وفلسفة ونحوهما ولكن على درجة دون درجتهم، ويفقنهم في بعض الأحيان كما في الموسيقى، وذلك مع ان كمال هذه الصناعة هو بالتلحين من رجل والغناء من امراة ويدل مثال بعض الدول في افريقيا على استعدادهن الشديد للحرب. وليس من الممتنع وصولهن الى الحكم في الجمهورية (يشير الى جمهورية افلاطون) اولا يرى ان إناث الكلاب تحرس القطيع كما تحرسه الذكور؟"

ـ كتاب جوامع سياسة أفلاطون هو تعليق ابن رشد على جمهورية أفلاطون ثبّت فيه أفكاره الخاصة به كما كان يفعل دائماً في شروحه على أرسطو. وهو في حديثه عن المرأة يخالف أساتذته اليونان والمسلمين معاً فينكر الفرق الطبيعي بين الرجل والمرأة ويساويها مع الرجل في الكفاءات الذهنية والعملية. ويرى أن وصول المرأة إلى رئاسة الدولة هو من الأمور الطبيعية الممكنة. وفي هذا رد على حديث "لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة". ولاتقل كفاءة المرأة عن الرجل حتى في الحروب. على أن المثال الذي يشير إليه من بعض الدول الأفريقية مبهم وهناك تصرف في الترجمة بخصوص

الكلام على الدول الأفريقية فهذا الإسم كان يطلق على جزء من بلاد المغرب يحوم حول تونس ولم يكن التقسيم إلى قارات متبع عند الجغرافيين. ويتخذ ابن رشد من حالة إناث الكلاب دليل طبيعي على صلوح المرأة للرئاسة، والطبيعة عنده تعمل بقانون واحد في الحيوان والإنسان ويتطابق فعلها فيما يخص هذه المسألة من جهة أن الأنوثة ظاهرة طبيعية تفعل في نطاق مجتمعي.

الزوجة النموذجية عند العربي النموذجي

نقل الشريف المرتضى في أماليه عن خالد بن صفوان وصفاً للمرأة التي يريدها زوجة له. وخالد بن صفوان من ارستقراطيي البصرة ، مدينة التجارة والأرستقراطية في زمنه. وعرف بأدب ثر ولسان طليق وكان يجمع تقاليد البداوة إلى مستلزمات الحضارة فيتكلم بلسان أعرابي فطن يرجع إلى أصالة بدوية صلبة لكنها تتجلى من خلال شخصية متنفذ مدني كثير المال واسع النفوذ. ووصفه للزوجة النموذجية مشترك مع التصورات العربية المتجذرة في الجاهلية والمتبلورة في الإسلام عن النساء كزوجات:

١. أريد بكراً كثيب وثيباً كبكر:

- تجمع بين محاسن العذراء وعقل المراةالمجربة

٢. لاضَرَعاً صغيرة ولامسنة كبيرة:

- لاصغيرة السن ضاوية الجسد ضنيلة ولاتجاوزت سن الشباب فترهلت وتضخمت.

٣ . لم تقرأ فتجبن ولم تتفتَّ فتمجُن:

ليست من القراء. والقراء هم قراء القرآن وناسخوه وحفاظه. لزمهم هذا الإسم حتى أوائل العصر العباسي وكانوا بمثابة رجال الدين لذلك الوقت. وترددنا وصفات سلبية لهم تطابق سلوكياتهم مع المعروف عن سلوكيات رجال الدين. ويجعل خالد بن صفوان من صفاتهم الجبن ويضعهم كنقيض للفتيان العيارين. والتفتي هو سلوك طريق الفتيان في المجون والشقاوة والسطو. وينسب الى سفيان الثوري، معاصر لخالد بن صفوان،

من لم يتفتّ لم يحسن يتقرا" يدعو إلى المرور بطور الفتيان والتحلي بصفاتهم قبل الانتقال إلى قراءة القرآن؟ وغرضه ان الفتيان اقرب إلى المثل الجاهلية والإسلامية من رجال الدين الخلص فهو يدعو من يريد ان يكون رجل دين جيد ان ينسلك أولاً في سلك الفتيان العيارين. والزوجة التي يريدها خالد وسط بين هذين.

٤ ـ قد نشأت في نعمة وأدركتها خصاصة فأدّبها الغنى وأذلها الفقر:

نشات في عائلة موسرة منعمة فتهذبت بالترف ونعومة العيش ثم مرت بفترة فقر وفاقة (خصاصة) فتروضت اخلاقها وتخلصت من عجرفة الأغنياء.

٥ ـ حسبي من جمالها أن تكون ضخمة من بعيد مليحة من قريب:

يميل العرب إلى المراة الممتلئة الردفين والفخذين والضامرة البطن كما يرمز لهما الجواهري في هذا البيت:

وقد جُنَّ وِزكك من غيظه سمينٌ يناهضه اعجفُ

مع حسن الوجه ووضاءته.

٦ ـ لاترفع رأسها إلى السماء نظراً ولاتضعه إلى الأرض سقوطاً:

منسوقة الشخصية لاتحدق في السماء تحديق المتكبر المغرور أو الخفيف العقل ولاتطاطئ كالذليل. ولعله اراد ايضاًاعتدال مطالبها.

خلاصة

تقدم المجتمع الجاهلي في طوره الأخير نحو النظام الأبوي الذكوري مع تقلص رقعة الاقتصاد المشاعي أمام زحف الاقتصاد التجاري والملكية الفردية للقيعان والقطعان، وأخذت مكانة المرأة الجاهلية تتراجع فتفقد الكثير من حقوقها أمام الرجل الذي أخذ يحكم طوق القيمومة عليها. ولقيام الجاهلية على العرف دون القانون كانت العلاقة بين الرجل والمرأة عشوائية وخاضعة لتقلبات المزاج ومقدرة كل منهما في أي ظرف. لكن المرأة الجاهلية حافظت على حريتها الشخصية فلم تخضع لقيود تحد من نشاطها الاجتماعي أو تلزمها بالحجاب أو ملازمة المنزل. إن خطوة كهذه تفقد فيها المرأة حريتها سوف تترتب على نضج النظام الأبوي الذكوري واكتمال مقوماته السياسية والاجتماعية، وهو ماحصل في الثورة الإسلامية التي أقامت الدولة وأنشأت المجتمع الجديد وشرعت له قانون يسير بمقتضاه. والمجتمع الذي بناه الإسلام أبوي ذكوري شأن أي مجتمع متحضر يستند إلى اقتصاد الملكية الفردية وفيه اكتملت قيمومة الرجل على المرأة وشُرّعت بنص مكتوب. وفقدت المرأة ماتبقى لها من حرية جاهلية بإخضاعها لحكم الرجل وهو اثنان: أب (أوجد) أو زوج. ولم يسمح الشرع الإسلامي بولاية آخر عليها لكنها خضعت في الواقع الاجتماعي لولايات عديدة تمتد إلى أقارب الكلالة. ولم يأمرها الشرع مع ذلك بملازمة المنزل، والآية التي قالت "وقرن في بيوتكن" مخصوصة بزوجات النبي. لكنها خضعت لهذا القيد بدءاً من العصر العباسي. وأخضعت تصرفاتها للوضع الزوجي، فأعطاها بعض الفقهاء حقوق تصرف في مالها غير معلقة على إذن الزوج وعلقها آخرون بإذنه.

والشريعة الإسلامية لم تقنن في أحكام نهائية وإنما تركت للاجتهاد فتعددت الأحكام واختلفت باختلاف المذاهب والفقهاء. وحرمت الخلافة على المرأة باشتراط الذكورية للخليفة. ولم يرد نص قاطع فيما هو دون منصب الرئاسة فاختلفوا بشأنه فمنع جمهورهم اشتغالها في القضاء وأجازه الطبري وصاحبه أبو ثور وقيده أبو حنيفة فيما تصح فيه شهادتها. وأجاز القليل منهم إمامتها في الصلاة للرجال ووافق عليه آخرون للنساء. ولاترد تحريمات للوظائف الأخرى. وللمرأة مكان معترف به في الجيش والإدارة والحياة الاجتماعية. وكانت القيود على الشابة أكثر لفرط التطير عند عامة المسلمين من العلاقة الجنسية غير المشروعة، وأغفيت المرأة بعد سن الشباب أو التي تجاوزت سن الزواج من الحجاب فكان بمقدورها أن تختلط بالرجال وتساهم في الحياة الاجتماعية. وتسمى مثل هذه المرأة "بَرْزة" وهي التي تبرز للرجال وتفرض احترامها عليهم لقوة شخصيتها.

نظر الإسلام إلى المرأة نظرة غيره في المجتمعات والمعاشر الأبوية فاعتبرها أنقص عقلاً من الرجل فجعل شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد. قال ذلك ووقع في تناقض مع قوله بنصبه عدد من القديسات اصطفاهن على نساء العالمين. وهن مريم في القرآن ثم آسيا زوجة فرعون -حسب الإسرائيليات- وعائشة وفاطمة. وهاته القديسات لسن أعلى مقاماً من الأنبياء لكنهن أعلى مقاماً من رجال المسلمين.

ويتكامل مع ذكورية الإسلام جنسانية شريعته، القائمة من هذه الجهة على نفس الافتراض الأوربي في أولوية الغريزة الجنسية ومجاراتها دون اعتبار لإرادة الإنسان أو الوازع الديني والاجتماعي. وجعلتها الشيعة من خصوصيات رجالهم ففي "دعائم الإسلام" للنعمان الاسماعيلي عن محمد الباقر:"أن الله عز وجل نزع الشبق من نسائنا وجعله في رجالنا. وكذلك فعل بشيعتنا"١٩٢/٢ .

في مقابل انتهاك حرية المرأة في الإسلام حصلت على حقوق لم تكن لها في الجاهلية فهناك أوشكت المرأة أن تؤول إلى سلعة يكون الرابح الوحيد فيها هو الولي من أب أو جد أو أخ أو عم أو ابن عم. ولم يجعل الإسلام ولاية على البنت لغير الأب أو الجد، وعلى الزوجة لغير الزوج. وبين لها حقوق لايجوز للولي أن يتخطاها. وجعل مهرها ملكاً لها ومنع الاستيلاء عليه من الولي كما كان الحال في الجاهلية. وقد عمل بهذا الحكم في المدن لكن الأرياف والبوادي استمرت على العادة الجاهلية.

وحتى اليوم يستولي الأب على مهر ابنته في الريف العراقي. وكان الجاهليون يهنؤون من تولد له بنت إذا لم يكونوا من الوائدين بقولهم: "هنيئاً لك النافجة" أي أنك ستزوجها وتأخذ مهرها فينفج مالك أي يكثر. والهنيئاً لاتوجد اليوم في أريافنا لكن النافجة موجودة.

وحصلت البنت على نصيب في الميراث فأعطيت نصف حصة الذكر وحصلت الأم على ثمن الموروث. وكانت هذه خطوة متقدمة في زمانها بل وبقيت متقدمة حتى القرن التاسع عشر حين بدأت الثورة البرجوازية بتعديل قوانين الميراث في أوربا.

وأعاد الإسلام الاعتبار للأنثى بتحريمه الوأد والحث على استقبال ولادتها بنفس استقبالهم للذكر. ودعا إلى معاملتها في المنزل معاملة الذكر. والمرأة في الإسلام مخلوق سوي لاتتلبسه الأشباح أو الشياطين وإنما وصفت في القرآن بقوة الكيد. وفيه بعض الوجاهة فقد يكون الكيد لتعويض الضعف في العلاقة مع الرجال. وأعطيت أهلية التصرف في المال لكن بعض الفقهاء قيده باستئذان الزوج للمتزوجة. ولم يرد قيد بخصوص الأيم (التي لازوج لها). والولاية كما بينا محصورة في ثلاثة الأب والجد والزوج فإن فقدوا فالولاية للدولة. والمرأة إذا تزوجت انحصرت الولاية عليها في الزوج فإن فقد الزوج كان لها أن تتصرف في مالها برأيها، وهذا عند من يقيد التصرف بإذن الزوج.

وامتلكت المرأة المسلمة حق الطلاق في شكل الخُلْع. وفرقه عن الطلاق وهو حق للرجل أن المطلقة تأخذ مهرها من المطلّق والخالعة يسقط حقها في المهر. وتجوز المخالعة لأي سبب يجعل المرأة تطلب الانفصال ولايجوز بغير سبب. ولايعتبر سبباً تغير قلبها عليه وطموحها إلى غيره. والطامحة أو الطمّاحة صفة المرأة التي تتغير على زوجها وتميل إلى غيره. ويقول العراقيون عن المرأة في هذه الحالة "طمحت رجلها" على تعدية الفعل وهو غير متعدي في الأصل، وتعطيه التعدية معنى مزدوج فكأنهم قالو:" تركت زوجها وطمحت إلى غيره". وهذه هي الحالة الوحيدة التي يجوز فيها أن تقسر المرأة على البقاء مع الزوج ويرفض طلبها المخالعة. وهو نفس الحكم الذي طبقه عمر بن الخطاب، على الرجل الذي أتى يطلب الطلاق لأنه لايحب زوجته. وفيما عدا ذلك تقبل المخالعة. وفي مثال زوجة ثابت كان الطلب بسبب دمامة الزوج. وهناك حالة أخرى وهي أن يكون الزوج أبخر أي كريه رائحة الفم فيجيز

بعض الفقهاء للزوجة أن تطلب الطلاق وليس الخلع.

وحصلت المرأة على الحق في قبول أو رفض المتقدم للزواج منها. وكانت في الجاهلية تقسر عليه من أي من ولاة أمرها المتعددين، مع اتفاق الجاهلية والإسلام في "الزواج المرتب". والحق متفق عليه شرعياً فيما يخص الثيب ومختلف عليه فيما يخص البكر الصغيرة. واتجه الإسلام أيضاً لضمان حق الزواج للمرأة وهو مبدأ شرقي يقابله في الغرب حق الجنس/ المشترك مع الإسلام فيما يخص الرجل. وحق الزواج مكفول بالتعاليم دون القوانين إذ لامندوحة للقانون أن يرغم الرجال على الزواج. ولو أن في طريقة البابليين شيئاً من القانون. على أن الإسلام من جهة اخرى يجعل الزواج سنة والسنة أقل من الفرض وأكثر من الاختيار وكان من بين مااستجوب عليه عامر العنبري وأبو العلاء المعري عدم الزواج ويرى الظاهرية أن الزواج فرض وتاركه مع القدرة عليه آثم. وجعل الزواج سنة مشددة على هذا النحو يوفر من فرص الزواج للنساء مالايتوفر في حضارة أخرى لأنه يخفض حالات العزوبة، التي لم تكثر في العصر الإسلامي، ومعها بالتبعية قلة حالات العنوسة. سوى أن فرص الزواج للأرملة والمطلقة تضاءلت فيما بعد كما أخبرنا الجاحظ.

ونأتي إلى حق الجنس فنجد المسلمين يجعلون حاجة الرجل إلى الجنس أكثر من حاجة المرأة وكان من هنا توسيعهم فرص الجنس على الرجال إلى حدود تقرب من الإباحية: أربع زوجات ومالاحد له من الجواري. ومن شأن ذلك أن يضائل نصيب المرأة منه. ويذكر المعري في نقده للضرائرية أن المرأة تحصل على ربع الرجل إذا كانت له أربع زوجات. ولم يذكر كم يبقى لها مع وجود السراري. على أن هذا لايقع بالاستغراق وإنما يتحقق نموذجياً في أوساط الأغنياء وأهل الحكم دون عامة الرجال الذين غالباً مايضطرهم عدم توفر المال إلى الاكتفاء بواحدة أو اثنتين على الأكثر وهم بالطبع لايمكنهم شراء الجواري (*). ومن هنا يكثر الفساد في فئة الأشراف من الأغنياء والحكام وحواشيهم. ويعطينا كتاب الأغاني فكرة وافية عن فساد هذا الوسط بتغلغل مؤلفه إلى ماوراء ستار الديباج. وهذه حقيقة بكر القرآن في تشخيصها باعتباره الفساد /في العائلة كما في الأرض/ من فعل المترفين. ولو أنه لم يراعي هذه الحقيقة في توسيعه حق الجنس للرجال.. وتحت التقاليد القبلية الجاهلية

* من تشنيعات برجوازيي المدن على أهل الريف أن الفلاح إذا حصل على مال زائد إما أن يتزوج به امرأة أخرى أويشتري بندقية يقتل بها غيره! وهذا من باب كلمة حق يراد بها باطل.

كان التحسس من العلاقة المحرمة لدى النساء شديداً برغم اعتقادهم بأن الحاجة الجنسية للمرأة أضعف منها عند الرجل. ويروي الشيعة حديث نبوي ينهى عن تعليم النساء سورة يوسف (من لايحضره الفقيه ١٣٣٦ ـ ١١) والحديث موضوع بلا شك. وهذه السورة أنكرها فريق من الخوارج وقالوا أنها قصة وليست سورة.ولاندري إن كان السبب هو نفسه الذي حمل على وضع هذا الحديث. والخوارج أكثر احتراماً للمرأة من سائر الفرق والمذاهب وقد خلطوها برجالهم فقاتلت معهم وشاركت في نضالهم السري، ويزعم ابن بطوطة أن أحد سلاطينهم في عُمان كان يبيح للفتاة إذا استأذنته أن تقيم علاقات مع رجل تختاره بلا زواج وأن أهلها لايستطيعون منعها إذا حصلت على إذن السلطان. وهذه قد تكون من مبالغات ابن بطوطة لاسيما وأن سلاطين الخوارج لم يكونوا مستبدين وكان خلعهم ميسور من جانب أهل الحل والعقد فيهم إذا خرجوا على مبادئ الفرقة.وواضح من كلامه أن أمر السلطان مخالف لرأي أهلها مما يعني أن مجتمعهم لم يتواضع على ذلك فهو بدعة من السلطان وهذه تكفي لخلعه.

نذكّر أخيراً أن المسلمين هم في طليعة الأمم القديمة التي أقرت تحديد النسل واستندوا فيه إلى مسوغات منها اقتصادي. وهم من استعملوا بعد الفراعنة الوسائل العلمية الأمينة لمنع الحمل. وجواز منع الحمل منصوص عليه في الحديث وتبناه الغزالي ودافع عنه ضد بعض رجال الدين الذين جروا في إنكاره على نهج مألوف في اكليروس الأديان الثلاثة. لكن الإسلام جرى على طريقة زميليه السماويين في منع الإجهاض، ولو أن وجود المُجهِضات في دساتير الأدوية الإسلامية يدل على أنه استعمل وإن في نطاق سري وضيق[1].

إن الحقوق الهامة التي وفرها الإسلام للمرأة، مابقي منها نظري وماأخذ به فعلاً لاتثلم من أبويته الذكورية. والباعث عليها ليس الإقرار بمكانة المرأة في مجتمع الذكور بل هي من نتائج دخول قواعد العدل في التشريع. والإسلام كغيره من شرائع الشرق وحضاراته يستند إلى حساسية شديدة لمسألة العدل. لكن درجة حضور العدل في تفاصيل الشرائع تتوقف على مفاعيل الصراع الاجتماعي، وهو فرعان صراع طبقي وصراع جنسوي. ويكون حضوره أقوى في المعارضة لكن السلطة التي تنشأ بعد ثورة اجتماعية تتحسسه بقدر ما فيظهر على قراراتها وتشريعاتها. ويصدق هذا على سلطة الإسلام الأولى: سلطة

(١) من وسائل تحديد النسل عند افلاطون إباحة الشذوذ مع الزوجة وتشجيعه بين الذكور.

محمد وخلفائه الأقربين، وانعكس في الشريعة معروضة في نصوص الكتاب والسنة وسيرة محمد والخلفاء الثلاثة. وانعكاسه لم يكن مطلقاً على أي حال، سوى في سيرة وأفكار اثنين من المؤسسين أبو ذر وسلمان الفارسي (رُوْزبة) وهما غراران كبيران للشيوعية الآسيوية في قوامها المزدوج شيوعية الأموال واحترام المرأة (اللاجنسوية) لكن تأثير هذين الصحابيين في التشريع كان ضئيلاً.

لم يصلنا الكثير عن مجتمع القرامطة في السواد ولاعن دولتهم في شرق العربيا لأن النشاط الثقافي في هذين المطرحين كان شبه معدوم ولايسعنا بالتالي معرفة مكانة المرأة فيهما بالضبط. ويفترض على أي حال أن تكون لسابقة أبو ذر وسلمان أثر لانعرف مداه فهما من آباء الفرق الغالية في الإسلام. لكن خطوة كبيرة وحاسمة هي التي سجلها الدروز، من الفرع الإسماعيلي، بمنعهم للضرائرية ومساواتهم في الإرث بين الجنسين(*). وتتوج الخطوة الدرزية ثورة الباطنية في هذا المنحى وهي ثورة مجهضة والدروز لايملكون الكثير من عناصرها فهم طائفة دينية كغيرها من الطوائف وإنما حملت بصمات حدث أكبر كانت هي في الصميم منه فكانت هذه الخطوة التي انحصرت مع خطورتها في دائرتها الطائفية الضيقة.

هل يسعنا اعتبار أبو العلاء المعري نصير المرأة الأكبر في الإسلام بعد أبو ذر وسلمان؟ المعري نفسه قلما يتجاوب معنا في هذا الاعتبار.. هو من حيث المزاج الفردي متبرم من المرأة لتبرمه من الجنس. وكان في انتقاله الصراعي من طور المخلوقية إلى طور الخالقية يعافس حقائق الطبيعة التي تجعل الرجل يلهث وراء المرأة مثل الكلب وراء العظم.. ولاشك أنها كانت عنده من جبهات الصراع، الذي يقول عنه:

والعقل حارب تركيباً يجاهده   فالعقل والطبع حتى الموت خصمانِ

والطبيعة عند المعري غلط كلها. والمراة، كموضوع للجنس هي من هذا الغلط. وقد عير بها البشرية جمعاء:

وأشرف من ترى في الناس قدراً   يعيش الدهر عبد فمٍ وفرجِ

في إشارة مضمرة جاءته من عامر العنبري اول ناقد للأنبياء في الإسلام...

(*) جاءت اول إشارة ضد الضرائرية من المعز لدين الله الفاطمي حيث ينقل المقريزي في "اتعاظ الحنفاء" توجيها للمعز إلى الفقهاء والشخصيات الدينية في مملكته بلزوم الزوجة الواحدة.

المعري إذن لايحب المرأة ولايسعنا اعتباره من أنصارها وأصدقائها. إلا أنه دافع عنها ضد انتهاكين اجتماعيين: ضد الضرائرية أولاً فدعا إلى الاكتفاء بزوجة واحدة:

قرانك مابين النساء أذية لهن فلا تحمل أذاة الحرائر

وإن كنتَ غِرّاً بالزمان وأهله فتكفيك إحدى الآنسات الغرائر

وبيّن أن اقتران الرجل بأربع زوجات يعني أن يقسم جسده بين أربعة فلا يكون للمرأة الواحدة منه أكثر من ربعه. ومن المثير للانتباه في هذه المناسبة أن خصوم المعري لم يحاسبوه على هذا الرأي وحاسبوه على عدم الزواج والنباتية. وقد ركز المؤيد بالدين داعي الدعاة الفاطمي على هذه الأخيرة في حواره الابتزازي معه. والسبب هو أن الزواج بأكثر من واحدة رخصة والزواج بذاته سنة والتنازل عن الرخصة فضيلة وعدم الزواج تقصير في سنة. أما عدم أكل اللحم فطعن في الحكمة الإلهية التي جعلت رزق الحيوانات على بعضها..

الثاني تشديده على عدم تزويج الفتاة من الشايب. وله نصوص في اللزوميات تندد بهكذا زواج يحرض فيها الفتيات على عدم الرضا به. وكنت قد خالفت بين هذا الرأي عند المعري ورأي آخر للمسرحي الصيني قوان هان تشينغ في مناسبة سابقة. وأنا الآن لأرى بينهما خلاف كبير، إذ أن الكاتب الصيني كان يؤيد الفرق الكبير في سن الزوجين مع تساويهما في طور الشباب: عشرين سنة للفتاة مقابل ٣٨ أو ٣٩ للرجل. ودعوته لاتشمل الزواج ممن هم في طور الشيخوخة. ولعله أخذ في الاعتبار أن القدرة أو الحاجة الجنسية للرجل تستمر بعد الأربعين بينما تبدأ بالاضمحلال عند المرأة في هذا العمر.

على أن رأي المعري في هاتين القضيتين لم يصدر عن اتجاه لاجنسوي أو عن حب للمرأة بل هو محكوم بمسألة الإحساس بالعدل، التي يشترك فيها مع غيره من مفكري الشرق. ويمكن في المقابل اعتبار ثلاثة من عظماء الإسلام من أنصار المرأة بلا تحفظ: أبو ذر الغفاري، روزبة الأصفهاني (سلمان) وابن رشد.. الأول والثاني من خلال رفض الضرائرية والاكتفاء بزوجة واحدة مع عدم التسري. والثالث بتقريره المتفرد عن طبيعة المرأة وتكافئها مع الرجل في القدرة والعقل. على أن المعري يمتاز عن الثلاثة في نضاليته ضد الضرائرية إذ أن كل من أبو ذر وسلمان عبرا عن رفض الضرائرية بالتزام شخصي ولم يكن زمانهما زمان نضال من أجل المرأة عموماً لأنها كانت في صدر الإسلام موضوعة

حقوق مكتسبة بفعل الثورة الإسلامية فلم يكن للإثنين مايفعلانه غير تأكيد مبدأ لاحق عبر التزامهما الشخصي. أما ابن رشد فثبّت رأيه كفيلسوف. وفلاسفة الإسلام نشطوا في التجريد الفلسفي الخالص ولم تكن لهم مشاركة في الصراع السياسي أو الاجتماعي. وبخلافهم كان المعري يبث أفكاره من خلال الصراع السياسي والاجتماعي وهو لم يعبر عن رأي مجرد بل عرضه بلغة مناضل قوامها التحريض والتنديد.

* * * * *

ذكورية الإسلام كما تبيناها حتى الآن هي نمط مشترك لحضارات مابعد المشاعية سواء تلك الحضارات التي قامت على نمط الإنتاج الآسيوي أم حضارات المراحل الأوربية. وفيها يتعادل الإسلام مع المسيحية كما تماهت على يد بولص، الذي تكلم عن المرأة بلغة الذكوريين المعتادة. والمسيحية تكوين بولصي أكثر منه يسوعي وليس في الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل حديث خاص عن المرأة يعين لها موقعها في المجتمع اليسوعي وإنما كان ذلك في رسائل بولص وأسفاره. ولنقرأها معاً:

ـ **في رسالته إلى أهل كورنثوس:** الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل. الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل. ٦/١٢

ـ **وفي نفس الرسالة ٢٤/١٤ ـ ٢٥** يمنع المرأة من التكلم في الكنيسة.

ـ أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب لأن الرجل هو رأس المرأة كما هو أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة وهو مخلّص الجسد. ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن في كل شيء.

رسالة إلى أهل أفسُس ٢٢/٥ ـ ٣٣

ـ النساء يُزيِّنَّ ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل لابضفائر أو ذهب أو لآلئ أو ملابس كثيرة الثمن بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة لتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع. ولكن لست آذن للمرأة أن تعلّم ولاتتسلط على الرجل بل تكون في سكوت. لأن آدم جُبل أولاً ثم حواء وآدم لم يُغو لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي.

رسالته الأولى إلى تيموتاوس ٩/٢

- في كلام عن العجائز:... ينصحن الحدثات أن يكن محبات لرجالهن ويحببن أولادهن متعقلات عفيفات ملازمات بيوتهن صالحات خاضعات لرجالهن.

رسالة إلى تيطس ٢/٤

أذكّر مرة أخرى أن المسيح لم يترك لنا نص حول المرأة يبين موقعها وعلاقتها بالرجل، فهذه لم تكن ضمن رسالته التي كرسها للفقراء والعبيد. وأقوال بولص ليس لها سند في الاناجيل إلا أنها صارت جزءاً من الإيمان المسيحي لأن بولص هو المؤسس الفعلي للمسيحية. والمكسب الأكبر للمرأة في تعاليم المسيح الأصلية هو وحدانية الزواج ومنع الضرائرية وهذا خاضع على الأكثر لاتجاه المسيح إلى الضغط على الغريزة الجنسية وعدم مجاراتها. وقد منع التسري لنفس السبب. ولم تتحدث الأناجيل عن الميراث لأنها موجهة ضد اكتناز الأموال وليس في تعاليمها فسحة لمال يورث. والميراث علامة الكنز. ومن هنا ردهم على أبو ذر في دعوته إلى عدم الاقتناء قائلين له لو صح ماتقول لم يكن لآية المواريث معنى.

نترك بولص فنصعد إلى اليونان، آباء الفكر الأوربي، لنجد أرسطو يقول في كتاب السياسة أن الطبع هو الذي عين المركز الخاص للمرأة والعبد (ك ١ ب ١ ف٥ ـ ٦ ترجمة أحمد لطفي السيد) وهذا القول أخطر من قول أهل الأديان أن الله هو الذي عين المركز لأن الطبع مقولة جوهرية في الفكر، والله مقولة اعتقادية. وجعل المركز المتدني للمرأة من عمل الطبع يؤثر في نمط التفكير الفلسفي أكثر من مقولة لاهوتية.ويستمر الفكر الأوربي في هذه النظرة الذكورية إلى العصر الحديث رغم الانقلاب الذي حصل في المفاهيم تحت الثورة الرأسمالية. ويذهب هيغل، أستاذ الفلسفة الحديثة الأعظم، إلى القول مستبطناً حديث "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة" :"إن كانت النساء في رأس الحكومة فالدولة في خطر" وفسره بأن النساء لايفعلن حسب متطلبات الكلي بل تبعاً للميول والأفكار العارضة. ويضيف هيغل :"إن النساء يمكن أن يكن مثقفات ولكنهن غير مؤهلات للعلوم العليا والفلسفة وبعض أعمال الفن التي تتطلب الكلية". ويضع هيغل الفرق بين الرجل والمرأة كالفرق بين الحيوان والنبات فالحيوان موازي لطابع الرجل والنبات لطابع المرأة لأنها عنده تمثلن حالة انتشار هادئ مبدأه وحدة الشعور اللامتعينة. (مختارات هيغل-الياس مرقص-باب فلسفة الحق). وفيما يخص الفلسفة يستند هيغل إلى مجرى التاريخ الفعلي. ومن مراجعاتي لتاريخ الفلسفة لم أقف للمرأة على موقع فيه قد يزيد على موقع الإيطالية

الكسندرا دي فيدل، امرأة من القرن الثالث عشر خاضت معامع الجدل الفلسفي الذي أججته الرشدية حتى ليقول مؤرخو الفلسفة الغربيون أنها استمدت مجدها من الدفاع عن أطروحات ابن رشد. ولاأدري إن كان لدى غيري استثناء آخر؟ (وفوق كل ذي علم عليم). على أن ابن رشد لايوافق بالتأكيد على آراء هيغل. ولنضع في الخلاف أن هيغل كلياني وابن رشد لبرالي. وتختلط في هيغل جنسويته الذكورية مع عنصريته البيضاء الساخرة بالشرق ومنظومات قيمه العليا وابن رشد عالمي التفكير بقدر ماهو لاجنسوي.

إن تحرر ذهن الرجال من الذكورية يكتمل مع كارل ماركس وفلسفته الكونية التي أوصلت إلى تطهير الوعي الفلسفي من آثار المراحل الاجتماعية السابقة. وسواء كان ماركس يعبر عن فكر الطبقة العاملة أم عن العقل الكلي للإنسان في لحظة تراكم للفكر العقلي لقيت تفجرها في ذهن عبقري، فهو الفيلسوف الذي تتكامل في منظومته الفلسفية عناصر التحرر المتفرقة فيمن سبقه. ومن هنا لانجد في فكر ماركس أثر لانحياز طبقي (انحيازه للطبقة العاملة سياسي) أو عنصري أو أثر لتفكير ديني أو جنسوية ذكورية. ولاتفترض هذه الميزات انعدام الخطأ عند ماركس كما يرى المؤمنون به إنما ... نقول أنه، مضافاً -ربما- إلى المسيح/ المفصول عن بولص وكنيسته/ من القلائل بين الفلاسفة والأنبياء: الذين يصعب اتهامهم بالانحياز المصمم في أي موقف وفي تقرير أي فكرة. وإذا كان فكر المسيح يفتقر إلى الاتساق والمنهجية، وهو نبي لافيلسوف، مما جعل اختراقه وتحويله إلى كنيسة ميسور قليل الكلفة، فإن منهجية ماركس المتقنة والمتصلة بآفاق عمل متورخ ومطروح على نطاق الصراع الاجتماعي الكوني أعطت معادلاتها الواقعية في العالم المعاصر فنشأت مجتمعات تهتدي بفكره بأقدار متفاوتة وسجلت في مجال العلاقة بين الجنسين حالة من التكامل زالت فيها تمايزات الذكورة والأنوثة ونظمت العلاقة الجنسية على أسس مكنت من أنسنتها بعد أن تم إعطاء المرأة دورها الكامل في حركة المجتمع. وسنأتي في الفصل القادم من الكتاب على تجربة الصين وهي الأميز من بين التجارب الماركسية بخصوص المرأة. وقد زالت هذه التجارب جميعها الآن وبقي العالم مقسم مابين ذكورية الشرق الجنسوية وانفلات النظام الغربي الذي تحتل فيه المرأة مركز المومس الشرعية مستغرقة دورها الأكبر في حركة المجتمع من خلال إدارتها سيرورة جنس تكلف الغربيين مجمل حياتهم اليومية التي تنقضي ساعاتها في لهاث متبادل بين الجنسين.

نصوص ومواقف

ذكرنا في هذا الفصل ان علي بن ابي طالب استعان بالنساء في حرب صفين لاثارةحماس المقاتلين فكن يخطبن او يُنشدن الاشعار الحماسية عند احتدام القتال . وكان منهن: الزرقاء بنت عدي وبُكارة الهلالية وام الخير بنت الحُريش البارقية وعِكْرِشة بنت الاطرش وسَوْدةبنت عُمارةبن الاسكَ والدارمية الحَجونية.

وبعد انفراد معاوية بالخلافة التقى ببعض هاته النسوة وجرت حوارات ساخنة بينه وبينهن وكن صريحات معه لم يلتمسن عفوا ولا تراجعن عن موقف.وتعامل هو معهن على طريقة العربي الجاهلي في رعاية حرمة النساء وعدم المساس بهن.

ونقتبس هنا خطبة الزرقاء في صفين وحديث سودة مع معاوية.

خطبة الزرقاء

اوردها ابن طيفور في بلاغات النساء. وهي تصح عندي لاعتبارات:

١ـ أنها نص خطبة مرتجلة لانص مكتوب

٢ـ وفيها من سخونة العبارة ما يدل على موضع و مناسبة القائها.

٣ـ اسلوب الخطبة هو الاسلوب البلاغي الذي كان شائعاً في صدر الاسلام والأوان الأموي ومفرداتها هي مفردات الخطب في نفس الزمن.

"أيها الناس إنكم في فتنة غشّتكم جلابيب الظُلَم وجارت بكم عن قصد المحجّة فيالها من فتنة عمياء صماء يُسمع لقائلها ولا يُنظر لسائقها.

أيها الناس إن المصباح لا يضيء في الشمس وأن الكوكب لا يقِدُ في القمر وإن البغل لا يسبق الفرس وإن الزِفّ لا يوازن الحجر، ولا يقطع الحديد إلا الحديد.

الا من استرشَدَنا ارشدناه ومن استخبَرنا اخبرناه: إن الحق كان يطلب ضالّةً فأصابها، فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار فكأنْ قد اندمل شِعْب الشتات والتأمت كلمة العدلِ وغلب الحق باطله، فلا يعجلن أحد فيقول: كيف وأنّى ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ألا وأن خضاب النساء الحِنّاء وخضاب الرجال الدماء

والصبر خيرٌ في الأمور عواقبا

إيهاً إلى الحرب قُدُماً غير ناكصين فهذا يوم له ما بعده..

ـ المحجة: الطريق الواضح. الزِفّ هنا صغار الحصى. ضالة: حاجة مفقودة.

ينبغي أن تكون الخطبة أطول مما وصل إلينا. ومع أن رواة العرب في ذلك الوقت كانوا يتمتعون بذاكرة كومبيوترية فإن الرواة اللاحقين كانوا أقل استيعاباً. ولعل الخطبة قد تناقصت بانتقالها عبر الرواة حتى وصلت إلى ابن طيفور فدونها. وهو من أقدم المؤلفين الذين وصلت إلينا مؤلفاتهم وكان من معاصري المأمون وقد فقدت معظم المؤلفات التي كتبت في تلك الحقبة البعيدة من عصور الاسلام.

حديث سودة مع معاوية

هي سَوْدة بنت عُمارة بن الأسكّ من هَمذْان. وكانت همدان فصيل أساسي في معسكرعلي إلى جانب ربيعة. وكان لسودة مؤهلات زعامة في القبيلة وقد اعتمدوا عليها في المهام الصعبة فكانوا يوفدونها إلى المركز حين تتعرض القبيلة للعسف من الولاة. وهي من فريق المحرضين في صفين وكان من بين المقاتلين أخوها. وبعد انفراد معاويةِ بالخلافة تعرضت هَمْدان للعسف من بُسْر بن ارطاة أحد عتاة القواد والأعوان في معسكر معاوية، فأُوفدت سودة إلى معاوية لعرض الأمر عليه وجرى بينهما

الحديث التالي الذي أظهرت فيه نفس شجاعتها في صفين مع مناورات سفيرة متمرسة...

معاوية: هيه يا بنت الأسكّ الست القائلة يوم صفين:

شمرٌ كفعل ابيكَ يا ابن عُمارةٍ يومَ الطِعان وملتقى الأقرانِ

وانصر علياً والحسين ورهطَة واقصِد لهندٍ وابنها بهوان

إن الامام اخو النبي محمد عَلَمَ الهدى ومنارة الإيمانِ

فقِهِ الحتوفَ وسِر امام لوائه قُدماً بابيضَ صارمٍ وسَنان

سودة: أي والله، ما مثلي من رغِب عن الحق واعتذر بالكذب

معاوية: ما حَمَلك على ذلك؟

سودة: حب علي واتباع الحق

معاوية: فوالله ما أرى عليك من أثر علي شيئاً.

سودة: أنشُدك الله يا أمير المؤمنين واعادة ما مضى وتذكار ما قد نُسي.

معاوية: هيهات. ما مثل مقام أخيك يُنسى وما لقيتُ من أحد ما لقيت من قومك وأخيك.

سودة: صدق فوك. لم يكن أخي ذميم المقام ولا خفي المكان. كان والله كقول الخنساء:

وان صخراً لتاتمّ الهداة به كانه عَلَمٌ في راسه نار

معاوية: صدقتِ لقد كان كذلك.

سودة: مات الرأس وبُتر الذنب وبالله أسألك يا أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيتُ منه.

معاوية: قد فعلت. فما حاجتك؟

سودة: إنك أصبحت للناس سيداً ولامرهم متقلداً والله سائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقنا. ولا يزال يقْدَم علينا من ينوء بعزك ويبطش بسلطانك فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس البقر ويسومنا الخسيسة ويسلبنا الجليلة. هذا بُسر بن ارطاة

قَدِم علينا من قِبَلك فقتل رجالي وأخذ مالي يقول لي فوهي بما أستعصمُ الله منه والجأ إليه فيه (تقصد أنه يريد منها أن تتبرأ من علي وتشتمه) ولولا الطاعة لكان فينا عز ومَنَعة فإما عزلته عنا فشكرنا لك وإما لا فعرفناك.

معاوية: اتهدديني بقومك؟ لقد هممت أن أحملك على قَتَب اشرس فاردك إليه ينفّذ فيك حكمه.

سودة: اطرقت تبكي. ثم أنشأت تقول:

صلى الاله على جسم تضمّنه قبر فاصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً فصار بالحق والايمان مقرونا

معاوية: ومن ذلك؟

سودة: علي بن أبي طالب.

معاوية: وما صنع بك حتى صار عندك كذلك؟

سودة: قَدِمتُ عليه في رجل ولاّه صدقتنا (جباية الزكاة) من قبله فكان بيني وبينه ما بين الغث والسمين فأتيت علياً لأشكو إليه فوجدته قائماً يصلي فلما نظر إلي انفتل من صلاته ثم قال لي برأفة وتعطف: ألك حاجة؟ فأخبرته الخبر. فبكى ثم قال: "اللهم أنت الشاهد علي وعليهم إني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك". ثم اخرج من جيبه قطعة جلد كهيئة طرف الجراب فكتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين. بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ.. إذا قرأت كتابي فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يَقدَم عليك من يقبضه منك والسلام..

فأخذته منه. والله ما ختمه بطين ولا خزمه بخزام فقرأته.

معاوية: لقد لمّظكم ابن ابي طالب الجرأة على السلطان فبطيئاً ما تُفطمون.

والتفت إلى موظفيه وقال: اكتبوا لها برد مالها والعدل عليها.

سودة: اليّ خاص أم لقومي عام؟

معاوية: ما أنتِ وقومك؟

سودة: هي إذن والله الفحشاء واللؤم. إن لم يكن عدلاً شاملاً وإلا فانا كسائر قومي.

معاوية: اكتبوا لها ولقومها.

- قَتَب: رحل خشن يوضع على البعير يسفّر عليه المغضوب عليهم. خزمه:خرزه.

حول الأبيات: البيت الأول تصح عندي روايته وكذلك الأخير. وذكر الحسين في البيت الثاني لا يصح تئريخياً لأنه لم يكن قد برز وتزعم يوم ذاك ليذكر مع والده. لكن الشطر الثاني في البيت ينبئ بأصالته فلعل سهواً حصل من الراوي فوضع الحسين مكان اسم آخر أو كلمة أخرى. وينبغي عدم قبول البيت الثالث لأن لغته لغة ما بعد الأوان الأموي. أما الحديث في جملته فطبيعي وليس فيه ما يُشعر بأنه مقحم أو مفتعل أو خارج عن لغة ذلك الزمن وتفكير أهله..

خارجية

كانت عميرة زوجة مُجاشع من بكر بن وائل. اقنعها أحد الخوارج بمذهبهم فمالت اليهم فدعت زوجها لمتابعتها في ذلك فابى، فعزمت هي على تركه والالتحاق بمقاتلي الخوارج. ومروقت اشتاق إليها زوجها وكان يحبها فكتب إليها:

وجداً يصاحبني لعل صبابة منها ترد خليلةً لخليل

فلئن قُتلتِ ليُقتلنَّ قتيلكم فتيقني أني قتيلُ قتيلِ

- يريد أنها إذا قتلت فسيموت هو حزناً عليها.

فكتبت إليه:

ابلغ مجاشعَ ان رجعتَ فإنني بين الأسنة والسيوف مقيلي

ارجو السعادة لا احدث ساعةً نفسي إذا انا جُبتها بقفولِ

ووهبت خِذري والفراش لكاعب في الحي ذات دمالجٍ وحجولِ

ـ المقيل أصله مكان القيلولة وهنا تريد مكان الاقامة عموماً. الخِدْر: غرفتها. الدمالج: الاساور. الحجول: الخلاخيل.

وقد يحدث العكس. فقد ملت مقاتلة منهن حياةالحرب فعادت إلى أهلها وتزوجت. وقالت في ذلك:

اتيتُ رمحاً مسه لَيِّنٌ وعفت رمحاً مسّه قاتل

هند وابنها

لما توفي يزيد بن أبي سفيان وهو يقود أحد جيوش الفتح الشامي جاء المعّزون إلى أمه هند بنت عتبة فقال لها أحدهم: إنا لنرجو أن يكون في معاوية خَلَف منه. فقالت: أَوَ مثل معاوية يكون خَلَفاً من أحد؟ والله لو جُمعت العرب من أقطارها ثم رُمي به فيها لخرج من أيها شاء.

وقيل لها: إن عاش معاوية ساد قومه. فقالت: ثِكلتهُ إن لم يسُد إلا قومه.

ـ هذا يعني أنها كانت تُعدّ ابنها لكي يحكم العالم! وليست هذه طموحات عاهرة كالتي تحدث عنها سلمان رشدي في آياته الشيطانية.

أم خالد القسري المسيحية

خالد القَسْري أحد جبابرة الولاة الأمويين، صورة للحجاج لم تشتهر كشهرته لأن الشهرة حظوظ ،كما يبدو، تولى الحجاز للوليد ثم العراق للشام. كانت أمه مسيحية. فكتب إليها مرة يدعوها إلى الاسلام ويقول لها أنها ستكون بذلك أقرب إلى برّه إذا اقتربت من دينه. فردت على دعوته بالكتاب التالي:

للأمير خالد بن عبد الله من أم خالد. أما بعد فقد جاءني كتابك وفهمت ما دعوتني اليه من دينك الذي ارتضيته لنفسك ولعمري مالِتّني خيراً عند نفسك وإن لك ديناً ولي دين وزعمت أنه أقوى لك على برّي إذا قربت منك. ولعمري أنك لقوي على بِرّي أين كنتَ. واعلم يا بني أني قرأت كتاب الله (تقصد الانجيل) أنه من عمل كبيرة اسودّ ثلث قلبه فإن عاد اسود ثلثاه فإن عاد اسود قلبه كله. ومن عمل الشيء وهو يراه حسنا فقد خاس. واعلم يا بني أن كل ذنب مع الدم أَمَم.

ـ أَمّ: يسير جداً وسهل ولا يكاد يذكر. ما لِتّني: ما نقصتني (ما قصرت)

ما نقلته أم خالد عن الانجيل لم يرد فيه بنصه وانما هو خلاصة لبعض المواعظ فيه. وبيت القصيد في هذه الرسالة الأمومية هو فقراتها من كتاب الله ألى أم ... من الواضح أن أم خالد كانت تعرف ماذا يفعل ابنها في ولايته بالناس وتبلغها أخبار ارهابه الدموي المدمر. فتوجت ردها على دعوته اياها للخروج من دينها بهذه العبارات التي تبدو خارجة على موضوع الرسالة ومقحمة عليها. لكنها جاءت في سياق مقصود هيأته لها فرصة الرد على رسالته: إن كل ذنب يسير الا القتل. ومن فعلها اسودّ قلبه ومن بررها لنفسه فقد خاس. والخايس هو المتغير الفاسد المنتن.

مسيحية العرب والسريان هي المسيحية الأم. ولم تستنقع بالدم. ورسالة أم خالد إلى خالد تمثل هذا الواقع.

خلوة مع صديق

خيرة بنت أبي ضُغَيم البلوية تتحدث عن خلوة ليلية مع حبيبها:

وبتنا خلاف الحي لانحن منهم ولا نحن بالاعداء مختلطان

وبتنا يقينا ساقط الطل والندى من الليل بُرْدا يَمنةٍ عَطِران

نذود بذكر الله عنا من الصِبا إذا كان قلبانا بنا يجفانِ

ونصدر عن رِيِّ العفاف وربما نقعنا غليل القلب بالرشفان

ـ خلوة خيرة البلوية كانت مع صديق. والتزما فيها بشرط الصداقة الجاهلي وهما اسلاميان. كانت خلوة صداقة لا زواج وكان ذكر الله هو الحاجز ما بين جسديها! لكنهما أخذا بنصيب يسير من القُبل لينقعا غليل قلبيهما العاشقين. لم تكن خيرة مضطرة إلى الكذب. فالشعراء أحرار فيما يقولون وكان بوسعها أن تصف ما جرى لو أنه جرى خلافاً للشروط فلا يحاسبها أحد لأن الشعر لم يخضع للتحريمات..

احتراما لانوثتها

زُوِّجت فتاة من شايب في عهد عمر بن الخطاب فقتلته. فنهى عمر عن تزويج الصغيرات من المسنين. وله توجيه آخر ينهى فيه عن تزويجهن الدميم مراعاة لذوقهن. وفي بلاغات النساء: وقف رجل على امرأة حسناء وإذا بشيخ قصير يأتي ويكلمها. فسألها الرجل عن الشيخ فقالت هو زوجي. فقال الرجل متعجباً: كيف رضي مثلك مثله فقالت:

ايا عجبي للخَوْد يجري وشاحُها تُزفّ إلى شيخ من القوم تنبالِ

دعاها إليه أنه ذو قرابةٍ فويل الغواني من بني العم والخال

غريبة مع عنين

تزوجت امرأة من ناحية تسمى بقعاء رجلاً من ناحية لِينة فعُنِّن عنها فقالت تتشوق إلى موطنها:

من يُهد لي من ماء بقعاء شَربةً فإن له من ماء لِينة أربعا

لقد زادني وجداً ببقعاء انني وجد مطايانا بلينة ظُلّعا!

الصابرة والشاكر

كان عمران بن حِطّان، أمير شعراء الخوارج، دميم الخلقة وكانت زوجته في غاية الجمال فكانت تقول له:

إنا لعلى خير إن شاء الله: أُعطيتَ مثلي فشكرت وابتليت بك فصبرت..

مباراة في الهجاء

طلق أعرابي امرأته وكانت من بني عامر فجرت بينهما المهاجاة التالية:

الزوجة: إنك ما علمتُ لضيق الفِناء صغير الاناء قبيح الثناء

الزوج: وأنتِ والله ما علمتُ إن كنت لواهية العِقد قليلة الرِفد مُجانبةً للرشد

الزوجة: وأنت والله إن كنت لصارع (مصروع) السيف في البلاء ضائع الضيف في الكلاء منتهجاً للؤم في الملاء (الملأ)

الزوج: وأنت والله لطويلة اللسان مؤذية للجيران عارية المكان

الزوجة: وأنت والله إن كنتَ للئيم الصُحبة فاحش العَدْوة بيّن الكبوة فاتر النزوة.

وانتهت المباراة إلى هنا بتسجيل انتصار الزوجة من جانب الزوج الذي أوقف المباراة اقراراً بهزيمته.

سلمى بنت القراطيسي تتغزل بنفسها

فتاة حسناء من أهل بغداد في القرن الرابع الهجري، والقراطيسي هو صانع القرطاسيه أو بائعها:

عيون مها الفلاة فداءُ عيني وأجياد الظباء فداء جِيدي

أزيَّن بالعُقود وإن نحري لأزيَن للعقود من العقود

ولا أشكو من الأوصاب ثقلاً وتشكو قامتي ثقل النهود

ولو جاورت في بلدٍ ثموداً لما نزل البلاء على ثمود

ـ أوصاب: أمراض.

تريد أن الله كان سيعفو عن أهل ثمود اكراماً لها. وربما كان سيمسخها تمثالاً من مرمر ويقيمه في المدينة ليحميها من احتمالات غضبه في المستقبل.

اكرم امرأة.. وأحزم وأذكى

نزل المخبَّل السعدي وهو في بعض أسفاره على ابنة الزِبْرِقان بن بدر وكان يهاجي إياها فعرفته ولم يعرفها فأتته بغَسول فغسل رأسه وأحسنت ضيافته وزودته عند المغادرة فقال لها: ما اسمك؟ فقالت: وما تريد من اسمي؟ قال: أريد أن أمدحك فما رأيت امرأة في العرب أكرم منك. قالت اسمي رهو! قال: تالله ما رأيت امرأة شريفة سميت بهذا الاسم غيرك. قالت: أنت سميتني به. قال: وكيف ذاك؟ قالت: أنا خُليدة بنت الزِبْرِقان. وكان المخبل قد ذكرها بسوء وهو يهجو أباها فقال:

فانكحتم رهواً كان عِجانها مشق إهاب اوسعَ السلخَ ناجله

فأقسم لها أن لا يذكرها بسوء بعدها أبداً ولا يهجو أباها وقال ينتقد نفسه:

لقد زل رأيي في خليدة زلة ساعتب قومي بعدها واتوب

واشهد والمستغفر اللهُ انني كذبت عليها والهجاء كذوب

الحرة الصُليحية

اروى بنت احمد الصُليحي ولدت في خراز باليمن ونشأت في رعاية اسماء بنت شهاب ام المكرَّم الصليحي أحمد بن علي وتزوجها المكرم ثم أصابه الفالج فخولها سلطاته، فاتخذت لها معقل في موقع يدعى ذو جبلة كانت تقيم فيه بعض أشهر السنة. وقامت بتدبير الدولة وقيادة الحروب الى ان مات زوجها وخَلفَه على الحكم ابن عمه سبأ بن أحمد فاستمرت تحكم باسمه وكان الوزراء والأعوان يجتمعون اليها وتكلمهم من وراء حجاب.

وكان يُخطب باسمها في المساجد عند الصلاة على العادة الجارية في القاء خطب الجمعة والاعياد باسم سلطان البلد وكان الخطيب يبدأ بذكر المستنصر الخليفة الفاطمي ثم يثنّي بالسلطان الصليحي ويختم بالحرة فيقول: اللهم أدِم أيام الحرة الكاملة السيدة كافلة المؤمنين... وكان الخليفة الفاطمي قد عهد بالسلطة في الدولة الصليحية (كانت تدار من مصر لانها قامت على اثر حركة اسماعيلية في اليمن بقيادة فاطمية) الى سبأ ابن عم المكرم وامر بتزويج الحرة منه حتى تواصل مهامها التي لقيت رضا الفاطمين. ومات سبأ فتحصنت أروى بذي جبلة واستولت على ما حوله من الولايات والحصون وأقامت لها وزراء واعوان تدير الدولة بواسطتهم. وقد لقبت بيلقيس الصغرى ودام حكمها اربعين سنة(عاشت ٨٦ سنة) وهو اطول حكم لامرأة في التاريخ بعد الملكة البريطانية فكتوريا (لا نحسب حكم اليزابث الحالية لانها لا تمتلك سلطة) وتزيد على فكتوريا اذا حسبنا لها مدة قيامها بالحكم في حياة زوجها وابن عمه. وقد انتهت دولة الصليحين بوفاتها اذ لم يكن بين الذكور من امرائها من يملأ فراغ أروى.

والحرة الصليحية أيضاً لقب حماتها اسماء بنت شهاب وكانت تتمتع بنفوذ كبير

في الدولة فكان يُخطب باسمها مع زوجها المكرم وتحضر المجالس بدون حجاب على وجهها، الا أنها اسرفت في الأبهة ومظاهر السلطنة فكانت تسير في موكب من مئتي جارية يلبسن الحلى والحُلل ومعها جنائب الخيل مسرجة بالذهب ولم تستقل في الحكم الذي انتقل الى ولدها المكرم زوج اروى وهي دونها في الموقع الذي تبوأته في تاريخ الدولة الصُليحية.

المرأة في الصين

ليس لهذا القسم من كتابنا عن المرأة ولا للكتاب نفسه علاقة بالمؤتمر الأمريكي للمرأة المنعقد، مع كتابة هذه السطور، في بيجينغ عاصمة الصين. بل هو مكرس أصلاً لادانة من اشترك فيه وهو يعلم أو لا يعلم أنه يعمل تحت مظلة أمريكية. وكان الأليق بالوطنيين وأعداء الامبريالية أن يتنادوا لعقد مؤتمر للمرأة يمثل مظلومي ومظلومات العالم الثالث من دون اقحام الغربيين في هموم لا علاقة لهم بها. إن الغرض من هذا المؤتمر تقديم البديل المشوه لتحرير المرأة وطمس تجارب التحرر الرائدة التي نفذها شيوعيو القرن الحالي في عصرهم الذهبي الذي يجب أن يبقى في الذاكرة

تبدأ الحضارة الصينية مع أسرة تجوو، القرن الحادي عشر ق م، وهي من حيث التأرخة ثالث أسرة إذ سبقتها أسرة شيا التي لم تكتشف بعد وإنما ذكرت في السجلات التريخية، وأسرة شانغ المعروفة للمؤرخين وتحسب عموماً في عداد ما قبل التاريخ. وفي أسرة تجوو اكتملت عناصر الدولة والمجتمع في الصين وهي كشأنها في سائر الحضارات عناصر نظام أبوي ذكوري. وقد تساوق هذا التطور مع بقاء الاقتصاد المشاعي هو الحاكم في اقتصاد المجتمع منطبعاً في سمة عامة لمجتمعات آسيا التي لم تطور اقتصاد فردي مكتمل، لكن نظام المجتمع كان أبوي ذكوري خالص. ولا يتناقض ذلك مع الحقيقة المتورخة التي تساوق ما بين المجتمع الأبوي والمجتمع الطبقي فالطبقات وجدت أيضاً في الشرق وحملت نفس أصنافها وتسمياتها إلا أنها تمايزت عن نظائرها في الغرب من حيث افتقارها إلى الحدود الصلبة الحاجزة بينها أولا ومن حيث أن ادارة الصراع الطبقي كانت في يد الدولة وحدها ثانياً. ويتداخل

هذا التمايز مع تمايز الاقتصاد الآسيوي الذي حافظ دائماً على أصول مشاعية منعت من تطور الاقتصاد إلى نظام التملك الصرف. واتسم المجتمع الآسيوي كنظيره الأوربي بحدة الصراع الطبقي مع وجود مِلْكية استغلالية سائدة تمسك الدولة بخيوطها كلها، وهي أعني الملكية الاستغلالية خاضعة مع ذلك لعوامل الصراع بين الاقتصاد الفردي والاقتصاد المشاعي/ مما يميز التطور الاقتصادي للشرق/ ولكن من غير أن يميزه في نظامه الأبوي؛ فهنا كان المجتمع للرجال كما هو في الغرب منذ اليونان وكانت الجنسوية هي ميزان العلاقة مع المرأة. وعندما ظهر كُونْفوتْسَه (كونفشيوس) كان الوضع جاهز لتنظيراته التي لم تكن من بنات أفكاره بقدر ما كانت بنت المجتمع. والمرأة عند كونفشيوس سلبية مطلقة وحركتها مرهونة بولي الأمر وللمرأة الكونفوشية أولياء أمور يتقدمهم الأب ثم الزوج ثم الأخ ثم الابن، ولو أن انعدام النظام القبلي ساعدها على عدم تعدد الأولياء خارج العائلة.

وظهر الزواج الضرائري في الصين. ومن جهة التشريع، لم يكن هناك حَظْر على هذا الزواج ولا اباحة له. والملحوظ هنا أن الصين لم يكن لها قانون موحد ثابت يحكم علاقاتها الاجتماعية كالشريعة عند المسلمين وكانت العلاقات تخضع للأعراف والتقاليد شأن المجتمع الجاهلي(*). وكان بامكان الرجل أن يتزوج على زوجته لكن الضرائر لم يتعددن. وقد عوض رجال الدولة والطبقات المالكة والموسرين عن ذلك بالتسري. ولم يكن عدد السراري محدد. وكانت القصور الامبراطورية تغص بهن. ومن حيث الزواج الشرعي كان من المعتاد للامبراطور أن يتزوج زوجتين واحدة تكون هي الامبراطورة والأخرى زوجة عادية. وكان بوسعه أن يضيف إلى الزوجتين زوجات من جواريه المحظيات. لكن المعتاد هو زوجة أو زوجتين مع عدد غير محدود من السراري. أما الميراث فغير مقنن بسبب انعدام القانون الموحّد المنظّم لكن الذكر على العموم هو صاحب الحق الأول في ميراث والده. أما الأنثى فلا

---

* التشريع في الصين يخضع لمصدرين: العرف وقرارات الامبراطور. والاخير هو قوانين الأسرة التي غالباً ما تشرع مع بداية حكمها وتبقى سارية ما دامت في الحكم ما لم تعدل أو تلغى من امبراطور لاحق. وتطورت على هذا الأساس: العرف وقوانين الأسرة مؤسسة القضاء التي كان لها من المكانة ما لنظيرتها في الاسلام وقامت بدور هام في التخفيف من معاناة الناس العاديين تجاه المتنفذين والمتسلطين. وقد وصلت اصداؤها إلى المسلمين الذين تحدثوا كثيراً عن "عدالة ملوك الصين" وهم يقصدون قضاة الصين.

يوجد نص قانوني يعطيها حق الارث أو يحرمها منه. وجرت التقاليد على أنها تحصل على الميراث إذا لم يكن بين الورثة ذكور. وتملك الأرملة حق التصرف في أموال زوجها. كما تعطى المرأة حصة من المهر الذي يذهب في الأصل إلى الأب كما هي عادة العرب الجاهليين.

فيما يخص حرية المرأة، كانت المرأة من عامة الناس أكثر حرية من المرأة من الطبقات العليا فهذه كانت تلازم المنزل ويمنع خروجها إلى المدينة وحدها. أما المرأة الفقيرة فكانت تستطيع الخروج من منزلها وكان بوسعها العمل في المهن المخصصة للنساء أو في السوق. وحصل تطور في أسرة مينغ (١٣٦٨ - ١٦٤٤ م) مع تقدم واتساع النشاط التجاري داخلياً وخارجياً فحصلت المرأة على فرص أوفر للعمل. ولم يكن للزوجة حرية التصرف في المنزل بوجود الزوج ومع أنها تتولى تدبير الشؤون المنزلية وبضمنها بعض وجوه الصرف فإن الزوج يملك وحده سلطة الصرف وتحديد المصروفات.

وكان حق الطلاق للرجل وحده. ولم تُعرف المخالعة عندهم. وتُلزم المرأة بالبقاء مع زوجها في مختلف الظروف وهو وحده الذي يستطيع فك الزواج. وفي الريف كان مصيرها بعد وفاة زوجها في يد أقرباء الزوج وتمنع من الزواج بعده. لكنها في المدينة تستطيع الزواج، ولو ان هذا الحق لم يكن مطلقاً. ومن الاعمال الادبية المشهورة في الصين رواية تحدثت عن امرأة ارتكبت مخالفة مزدوجة وهي من بنات الارستقراطية المدينية فتزوجت بعد زواجها، وبرجل من عامة الناس واضطرت الى الفرارمعه من مدينتها الى مدينة اخرى . وصارت فعلتها حديث الناس في موطنها الاصلي. وقد تجرأ كاتب متأخر عنها بزمن فكتب هذه الرواية التي دافع فيها عن سلوكها.

ولم يعرف الصينيون الحجاب. والمرأة لم تكن تستر شعرها. لكن ملابسها كانت محتشمة وتغطي اجزاء جسمها كلها بما فيها الاذرع والسيقان.

لدى المقايسة، كانت حقوق المراة في الاسلام اوسع منها في الصين من حيث: الميراث، حق الزواج وحق الجنس، حق الخروج من المنزل وحدها في حدود مدينتها بصرف النظر عن وضعها الاجتماعي، حق الطلاق متمثلاً في الخلْع وعدم الزام المرأة بالبقاء مع رجل يظلمها، حقها في المهر كاملاً، تقليص الولاية عليها لتكون للأب

فقط لغير المتزوجة، وللزوج فقط للمتزوجة. والمرأة التي لا زوج لها ولا أب لا ولاية لأحد عليها. وقد مر في مباحث المرأة المسلمة أن القيود كانت على البكر الشابة أكثر منها على الثيّب ومن تجاوزت سن الشباب. وتتقدم المرأة الصينية على المسلمة في سفورها. ومن جهة الحرية فالقيود متماثلة في الحضارتين، وحرية المرأة الجاهلية أوسع من نظيرتها في الصين والاسلام. لكن الصينية شاركت في الانتفاضات الفلاحية شأن نساء الخوارج في الاسلام. وظهرت منهن متنفذات في البلاط الصيني كالمتنفذات في البلاط الاسلامي. واعتلى بعضهن العرش الامبراطوري. وقد حكمت "وُو تْزَه تْيان" من أباطرة أسرة تانغ المعاصرة للأمويين خمسين سنة استقلت منها بالعرش خمسة عشر سنة. وكانت في العصر الذهبي للأسرة ومن الأباطرة الأقوياء. ولعلها تذكرنا، في حزمها المقنن بشيء من مبادئ العدل، بسيرة عمر بن الخطاب. وكثيراً ما تحكمت "التاي خو" في العرش من خلال تسلطها على وريث شاب أو وصايتها على وريث قاصر. والتاي خوهي الامبراطورة الأرملة. وكانت آخر وأبرز تاي خو هي عمة الامبراطور الأخير، الذي ورث العرش صغيراً فأدارت الامبراطورية عن طريق وصايتها عليه. وعرفت بالقوة والدهاء، لكنها كانت فاسدة ومتسلطة بخلاف التانغية ووتزه تيان. وقد شهدت انهيار الحكم الامبراطوري بثورة ١٩١١ التي قادها صون يات صن.

بعد انكشاف الصين للغرب تسربت إليها الأفكار الحديثة عن حرية المرأة. وشملت الحداثة النسوية الأزياء وحق الاختلاط مع حق العمل. ومن جهة الوضع الواقعي كان حق العمل مقيد بالمنافسة الغير متكافئة مع الرجال فلم يتسع نطاق العاملات في الدولة والمجتمع. ومعروف من هذه الجهة أن المرأة في الغرب لم تساهم بقسط كبير في الحياة الاقتصادية والسياسية، وموقعها في العمل يكاد يقتصر على الادارة والسكرتاريه. والتحرر الأكبر للمرأة في الغرب هو ما يتحقق في دائرة الحق الجنسي، الذي امتلكته الغربيات بالكامل. ولم تسلك المرأة الصينية في هذا الطور مسلك المرأة الغرباوية نظراً لقوة التقاليد الشرقية التي تميز بين شيوعية النساء وشيوعية الأموال فتتشدد في الأولى وتتسامح في الثانية. وهي معادلة حرجة تحكم الشرقيين وتنعكس في المعتاد عند الغربيين المعاصرين. لكن نساء الارستقراطية المالية والحكومية أخذن بأسباب التحرر الغرباوي في مفهومه الجنسي ولو أنه لم يكن بتأثير أحادي من الغربيين فالارستقراطية في جميع العصور تعرف هذا اللون من التحرر وتمارسه ضمن

مفهومها اللذائذي في الحياة.

تأسس الحزب الشيوعي الصيني عام ١٩٢١ في شانغهاي، التي كان الشيوعيون يسمونها "مدينة الفساد البرجوازي" وذلك لشيوع مظاهر التحرر النسوي فيها بتأثير النفوذ الأجنبي المباشر على المدينة. وهي أكبر مدن الصين من حيث السكان. واتسع نفوذ الحزب الشيوعي بسرعة ليصبح القوة الأولى في البلاد بعد حزب الكومين دانغ (الكومنتانغ) الحاكم. وانتظمت نساء كثيرات في الحزب واشتركن في نضاله السري الصعب والشديد التعقيد والمخاطرة. وقدمت الكثير منهن حياتهن في سبيل ذلك وكانت حكومة الكومنتانغ برئاسة جيانغ كاي شيه (تشيانغ كاي شيك) تحكم عليهن بالاعدام فكن يستقبلن أحكام الاعدام بشجاعة تذكرنا بنساء الخوارج حين يقعن في قبضة آل زياد والحجاج. ومن بين اللواتي طالهن الاعدام زوجة ماو الأولى. وكانت قد تخلفت عن المسيرة الكبرى واشتغلت في ادارة التنظيم السري للحزب في مقاطعتها، فاكتشفوا أمرها وأعدموها. ومن مشاهير المناضلات مع الشيوعيين أرملة صون يات صن الذي مات وهي في عز الشباب فلم تتزوج بعده جرياً على التقاليد وكرست وقتها للعمل السياسي والاجتماعي وهي من فاتنات زمانها ومن أصول ارستقراطية وأمضت صباها في المهجر الأمريكي وكانت شقيقتها زوجة تشيانغ كاي شيك لكنها اتبعت مبادئ زوجها الذي اتجه في أيامه الأخيرة إلى التعاون مع الشيوعيين /ليس بدافع طبقي، فهو بدوره من أسرة مهاجرين تجار، بل لانجاز التحرر الوطني. وقد عُيّنت بعد التحرير نائبة لرئيس الجمهورية.

انجزت الشيوعية الصينية تحرير المرأة الصينية ضمن المعادلة التي تحرم شيوعية النساء وتتمسك بشيوعية الأموال. والشيوعية الصينية نمط آسيوي أخذت من الماركسية تنظيمها للاقتصاد ومن اللينينية تنظيمها الحزبي ولم تأخذ منهما الفكر الشيوعي الذي تعيشه الصين وتصارع حوله منذ أكثر من ألفين سنة. وهي تعرفه أكثر من الغربيين وتتماهى به حضارتها شأن غيرها من أقاليم آسيا. والتمييز قائم بعمق في الشيوعية الآسيوية ما بين شيوعية الأموال وشيوعية النساء. وقد أظهر الشيوعيون الخلص في آسيا القديمة طهرانية متشددة بخصوص المرأة قياساً مع أبناء الطبقات والفئات شبه الاقطاعية والارستقراطية المنتمية إلى معسكر الملكية الخاصة. فكانت المزدكية ترى الزهد في النساء كالزهد في الأموال. وهكذا رآها الشيوعيون المسلمون بدءاً من أبو ذر الغفاري وروزبة الأصفهاني ومن بعدهم قرامطة العراق وشرقي العربيا. وقبلهم جميعاً حرّمت الشيوعية اليسوعية زواج

الضرائر وامتنع نبيها عن الزواج نهائياً لتجسيد الطهرانية في الموقف من الجنس. بينما كانت الطبقات المالكة ومنها الهيئات الحاكمة تمارس الاباحية الجنسية وتمتهن المرأة فتجعل وظيفتها غريزية خالصة. وهناك تطابق شبه تام بين جنسانية هذه الطبقات في آسيا ونظائرها في الغرب. ويشترك الفريقان من اقطاب التملك الفردي في اعتبار الجنس حاجة طبيعية بالكامل شأن البول والبراز، فمثلما يتعين على الانسان أن يتخلص من فضلاته على مدار ساعات اليوم فهو يملك الحق في تفريغ شحناته الجنسية عندما تضغط عليه في أي لحظة وفي أي ظرف as a natural need. وكان هذا الحق عند قدمائهم مخصوص بالذكر، فأعطاه الغربيون المعاصرون للانثى أيضاً. ويصبح الجنس في الغرب مادة حياة تامة الانفلات وتستهلك من الغربيين الجزء الأكبر من أوقات فراغهم، بل وتتغلغل في ساعات العمل عن طريق ما يسمى sex in business وهو ما عرفته الحضارة الاسلامية في العصر العباسي ـ الاندلسي وسجله مؤلف اسلامي في كتاب مفقود عنوانه: "الأس فيمن قدمه الكس". ويجري هذا كله في حظيرة أهل التملك الخاص، من أرباب الدولة وارستقراطية المال على النحو الذي سجله القرآن حين قرن الفساد في الأرض بسلوك هذه الفئات، ولو أنه كما قلنا من قبل لم يتخلص من الارث الذكوري فأعطى للجنس ما أعطاه الغربيون في العصر الحاضر. وكما بيناه في الفصل السابق فالشريعة الاسلامية تتجارى مع شرائع العالم الأورو أمريكي في هذا المضمار لكن مع اختلاف في الطريقة، فالزوجات الثلاثة الاضافية والتسري والمتعة وهي ما يقع خارج العلاقة الزوجية مقررة في أحكام النكاح أما في الغرب فما هو خارج العلاقة الزوجية خاضع للعرف لا للقانون. على أنها بدأت تدخل حقل التشريع مؤخراً بأسباغ الصفة القانونية على اللواط والسحاق. وقبلها على البغاء. وللبغاء في الغرب تنويعات تعكس عنصر الابداع وجنوح الخيال عند الغربيين المعاصرين ومنها الإلطاف المسرحي وهو أن تقوم فتاة بممارسة العادة السرية (هنا طبعاً لم تعد سرية) على المسرح لامتاع المشاهدين. ويتفوق الغربيون في ذلك على المسلمين لأن الجنسانية الاسلامية لا تبيح المتاجرة بأجساد النساء. ومن جهة الانحرافات فاللواط محرم عند المسلمين ويعاقب عليه والسحاق محرم ولا عقوبة عليه.

بقيامها على مبدأ شيوعية الأموال الآسيوي أنجزت الشيوعية الصينية تحرير المرأة ضمن الوضع الفضائلي للمجتمع الآسيوي في قطاعه الجماهيري المتماهي بالإقتصاد المشاعي:

أُعيد تنظيم العائلة بإلغاء النظام الأبوي الذكوري وتأسيس العائلة الوحدانية

المطلقة: زوج واحد لزوجة واحدة، مع اعتبار السيادة في العائلة متكافئة بين الزوجين. وجُرد الرجل من صلاحياته المكرسة له في النظام الأبوي ووزعت مسؤولية المنزل و الأولاد عليهما بالتساوي. وأعيد تنظيم التدبير المنزلي على هذا الأساس فصار العمل في البيت من طبخ وتنظيف ونحوهما بالمناوبة: يوم على الرجل ويوم على المرأة. وكنت مرة مدعو إلى بيت زميلة عمل فقالت لي: "اليوم الطبخ على زوجي وهو يجيده أحسن مني وهذه فرصة لك لكي تتذوق الطعام الصيني اللذيذ". وألغي المهر بالاستناد إلى أن العلاقة الجنسية حاجة مشتركة بينهما، والمهر يدفع كما بينا في فصول فارطة ثمناً لجسد المرأة. ومع اقرار التساوي في الحاجة الجنسية والحق الجنسي لا يبقى مكان للبيع والشراء بينهما. والغاء المهر لا يعني إلغاء عقد الزواج. وقد تبين لنا حتى الآن أن الشريعة الاسلامية لا تعتبر المهر من أركان العقد وإنما جرى التشديد عليه كحق للمرأة من جهة التصور الخاطئ الذي يجعل الجنس حاجة للذكر دون الأنثى، والعقد يصح بدون مهر بعد التأكد من أن المراة تنازلت عنه طوعاً من غير إكراه أوخداع منجانب الرجل. ويسجل الزواج الصيني في الدوائر الرسمية المسؤولة عن هذه الشؤون.

أحادية الزواج في الشيوعية الصينية مطلقة. فهي لا تتضمن فقط إلغاء الضرائرية والتسري في غرارهما التقليدي القديم بل وتستبعد التعدد في شكله الغربي الحديث المتمثل في إباحة العلاقة الجنسية خارج الزواج للمرأة والرجل. إن نكاح الرهط (تعدد الأزواج) وزواج الضرائر ومكمله التسري كائن عند الغربيين في حق الزوجة اقامة علاقة جنسية مع غير زوجها وهي في عصمته وفي حق الزوج إقامة علاقة جنسية مع غير زوجته وهو في عصمتها. وهذا الحق كائن في العرف الاجتماعي وقد ينص عليه في عقود الزواج (انظر باب أشكال الزواج في القاموس الملحق). وتبشر به الصحافة الغربية، كما تنشر مجلات الجنس مقالات عن مزايا الخيانة الزوجية. ويجري ذلك ضمن الجنسانية الغربوية(*) التي تعتبر تصريف الطاقة الجنسية كتصريف البول والغائط داخل في قائمة ال natural needs ولا يجوز ممانعته. والمعروف طبياً أن ممانعة البول

---

* استميح القارئ عذراً في حيرتي بين غربي وغربوي وغرباوي فأنا أسعى لتحاشي الخطأ المطبعي الذي يحول الغربي إلى عربي وهو سهل يتم بإهمال النقطة فقط رغم أن ما بين العرب والغرب يزيد على النقطة.

والبراز مضرة بالصحة، وقد نهى الاسلام القضاة عن القضاء وهم حاقنون لأن هذا يربك أحكامهم ويعرضها للخطأ. وقالت العرب: "لا رأي لحاقن" وهو الممتلئ بالبول أوالغائط. وفي رواية عن بعض اللغويين وذُكر فيه هذا القول بحضوره أضاف أحد الحاضرين: "ولا لمنعظ" فقال اللغوي: أثبتوه فهو صحيح! والمنعظ هو المتهيج جنسياً. والفرق هائل بين الحاجتين. فخروج المادة المنوية يمكن مما نعته، وبقاؤها في الجسم لا يضر بالصحة والـ natural منه هو اتحاد الذكر والأنثى للأنجاب حفظاً للنوع. وهو يتم عند الحيوانات في مواسم معينة من السنة فقط. ومن هنا اتجهت الشيوعية الصينية في بناء حضارتها الجديدة إلى تهذيب الغرائز وتغيير الصورة المجونية للرجل الآسيوي في ركضه اليومي المحموم وراء المرأة وللجنسين الغربيين وهما يلهثان وراء بعضهما لهاثاً أدى به تفجره النووي إلى التحام الجنس بجنسه في ساحة الـ homosexuality..

حرم الشيوعيون الصينيون العلاقة الجنسية خارج الزواج. ويشمل التحريم علاقات الشباب قبل الزواج. وقد سُمح بالتقائهما إذا قررا الارتباط بصداقة تهيء لزواجهما. وهذه الصداقة هي بمثابة فترة الخطوبة. ويفترض أنها تنتهي بالزواج إلا إذا اختلفا بعد تعرفهما إلى بعضهما البعض فوجدا أن ارتباطهما بالزواج غير ممكن وعندئذ تنتهي الصداقة. وقد تستمر الصداقة سنوات ويكون ذلك إذا بدأت قبل السن المسموح به للزواج وهو ٢٥ سنة لكليهما. وبالطبع تمنع العلاقة مع آخر أو أخرى في هذه الفترة كما تمنع بعد الزواج، وإرتباط أحدهما بعلاقة كهذه يعني الفصم التلقائي للصداقة. ويتعرض من يقيم علاقة بدون هذا الشرط إلى الاستجواب. وقد حضرت عام ١٩٧٨ محاكمة في بيجينغ حوكم فيها شاب بتهمتين: الأولى سرقة سيارة والثانية إقامة علاقة غير شرعية مع امرأة. وعقوبة هكذا مخالفة هي أدبية في المعتاد لكن الصينيين يستعظمون العقوبة الأدبية ويجعلونها كالعقوبة المادية.

ولتضبيط هذا المبدأ منعت العلاقات غير المشروطة بالزواج بين طلبة الجامعات. وهي مختلطة. لكن الطالب يُمنع من دخول القسم الداخلي للطالبات. ويشمل هذا المنع الطلبة الأجانب "وضحاياه" بالطبع هم الغربيون. وكان الطالب الغربوي إذا أراد الاتصال بطالبة من بني قومه يأتي إلى مكتب الاستعلامات في قسم الطالبات ويذكر لهم اسم الطالبة التي يريد لقاءها. فيؤمر بالبقاء في المكتب ويبعثون على

الطالبة لتأتيهِ وتكلمه أمام أعين الحرس حتى لا تجري بينهما خلوة محذورة!

بيّنا أن المرأة الصينية لم تكن محجبة في الماضي وأن سفورها محتشم. إلا أن خضوع الصين للنفوذ الغرباوي ارتكس في نساء المدن من فئات البرجوازية الكومبرادور والبرجوازية الصغيرة المتعلمة فظهر التخلع في هذه الأوساط دون الأوساط العامية من أغلبية الشعب الكادحة. وانتشر البغاء على نطاق أوسع من الماضي، وهو موجود في كل وقت وفي جميع الحضارات بما فيها حضارة الإسلام العباسية، إلا أنه اتسع واستشرى في الصين مع دخول الغربيين إليها(*) والملحوظ في البلدان التي يدخلها الغربيون ويتنفذون فيها تفشي آفتين إجتماعيين متلازمتين هما البغاء والتسول. وقد اختفت مظاهر التخلع مع تأسيس الجمهورية الشيوعية عام ١٩٤٩ وشنت حملة لتصفية البغاء قضت عليه تماماً وطبقت سيرورة إصلاح للبغايا بتأهيلهن للعمل السوي انتهت بادماجهن في المجتمع الشيوعي. وحدثتني سيدة بريطانية من الفريق الأممي الذي التحقق بالثورة الصينية في الثلاثينات أنها تعلمت اللغة الصينية في مدرسة كانت مخصصة للبغايا المستصلحات. وفيما يتعلق بالسفورفان التخلع قد اختفى كما قلت ومنعت النساء من لبس الكيمونو والملابس القصيرة والملابس المقسمة على الجسم. وانتشر في الثورة الثقافية نظام الزي الموحد فارتدت النساء، البنطلون الفضفاض والسترة العمالية الزرقاء وكان ذلك اسرافاً في إهمال مظاهر الأنوثة الطبيعيةللمرأة. وهو من معافسات ماوتسي تونغ وزوجته الثالثة. والاتجاه العام للقيادة الشيوعية في جملتها هو ارتداء النساء للزي النسائي مع الحشمة وعدم البذخ والمبالغة في الزينة. ولماوتسي تونغ قبل الثورة الثقافية شعر يمتدح به بنات المليشيا فيقول:

جراة وعزيمة وبنادق من سبعة اقدام
وضياء الفجر ينير ميدان التدريب
لبنات الصين همم اسمى
يحببن ملابس الميدان

---

* يسمي العراقيون المرض التناسلي "فرنجي" - جيم قاهرية. نسبة إلى مصدره الأوربي.

لا الحرير ولا الساتان(*)

لكن هذا كان اثناء التدريب وأداء الأعمال المنوطة بالمليشيا قبل أن يعمم الزي الجماعي في الثورة الثقافية. وكان ماو قبل هذه الزوبعة على إنسجام مع بقية أركان القيادة الشيوعية في هذه المسألة وغيرها.

ومُنعت التسريحات المتنوعة للشعر. فكانت الفتاة قبل الزواج تكتفي بضفيرة قصيرة واحدة ترسلها إلى الظهر فإذا تزوجت قصت الضفيرة واقتصرت على تسريحة الشعر القصير بلا ضفائر ولا خصل مُسْدلة على البدن. وكان هذا زي الشيوعيات قبل إقامة السلطة. وكانت زوجة ماو الأولى تمشي بهذه التسريحة في شوارع شانغهاي متحدية التقليعات السائدة في (مدينة الفساد البرجوازي).

المرأة الصينية في وضعها الإجتماعي هذا أخذت على عاتقها نصف البناء الاشتراكي بالضبط. وقد تجاوزت بحضورها الشامل في مواقع العمل والانتاج نظيرتها في أوربا وأمريكا الشمالية، مما عبر عنه المعجم الصيني الحديث في صيغة "بان تْيان تْيان"التي صارت من مرادفات اسم مرأة في الصينية الحديثة. وترجمتها: "نصف السماء". ولم يكن ذلك من باب الاستعارة البلاغية بل هو الواقع كما رأيته بنفسي بين بداية ١٩٧٧ وبداية ١٩٧٩ وهي الفترة الأولى من إقامتي في الصين.

فقد وجدت المرأة في كل موقع عمل وفي جميع مضامير الإنتاج عدا مضمارين: التعدين، والملاحة. الأول لما يتطلبه من جهد عضلي شاق لايناسب المرأة والثاني لتجنب الأشكالات التي يسببها إختلاط النساء والرجال في الرحلات البحرية وهي تدوم في العادة مدة طويلة. وفيما عداهما كان حضور المرأة بالمناصفة في الأعمال الإعتيادية كالفلاحة والصناعة الخفيفة. وبنسبة أقل في الصناعة الثقيلة، وبنسبة أكبر في صناعة النسيج وصناعة التحف والخزفيات، وهي مرفق تقليدي كبير الأثر في الإقتصاد الصيني.

---

* هكذا في الترجمة العربية التي أجريت باشراف المرحوم الأستاذ سلامة عبيد. والنص الأصلي:

بو آي خون تْجوان

آي وو تْجوان

حرفياً: لا يحببن الفساتين الحمراء بل يحببن ملابس الميدان.

ويتفوق عددهن في الخدمات الطبية فيزيد عدد الطبيبات على عدد الأطباء بأكثر من النصف. وتظهر المستشفيات الصينية في كثير من الحالات وكأنها مستشفيات نسائية! لكنها تعالج شتى الاختصاصات. على أن الجرّاحات أقل من الجراحين بنسبة عالية وقد بدا لي أن نساء الصين لا يملكن الجرأة الكافية لبقر البطون وقطع الأوصال وإعادة تركيبها.. لكن الفتاة الصينية بنت العشرين تتجرأ على ادارة رافعة عملاقة إذا وقف الإنسان تحتها لا يكاد يبصر ملامح سائقها لارتفاعها. وقد عشت في لندن حولاً قميطاً فلم يقع نظري على امرأة تسوق حافلة أوشاحنة فالبريطانية لا تسوق غير سيارتها الخصوصي الصغيرة، لكن فتيات بيجينغ يتقاسمن الحافلات الضخمة مع الرجال. والحافلة في بيجينغ مزدوجة لكي تتسع للعدد الاستثنائي للركاب. أما المحصّلون في الحافلات فهم نساء بنسبة تزيد على التسعين بالمئة.

واعتمدت الخدمات الفندقية على النساء كنسبة غالبة. ومضيّفو الفنادق والمطاعم نساء في المعتاد. وملا بسهن هي نفسها ملابس غيرهن من المشتغلات في المطارح الأخرى سوى أنهن يرتدين قمصان بيضاء ولا يستعملن الزُواقة. وقد خلت مواقع العمل الفندقي من الفضائح الجنسية. كما خلت منه مطارح العمل والانتاج في غيرها. ويأتي هذا الوضع كاستمرار وتكريس لطهرانية الشيوعيين الصينين؛ فاشتراك المرأة في حرب التحرير والنضال السري لم يقترن بالانحلال الجنسي، ويخلو تاريخ القيادة الصينية من أخبار العلاقات غير الشرعية في مرحلتي الثورة والسلطة. وانفرد ماوتسي تونغ بتزوجه مرتين بعد زوجته الأولى القتيلة. وهذا فقط! وما تتحدث به بعض وسائل الإعلام في الغرب عن مغامراته يندرج في سيرورات تزوير التاريخ التي يتبادلها الخصوم من شتى الأمم وشتى الطبقات(*). وفي النزاع الذي اندلع بين الشيوعيين الصينين لا سيما في عقد الثورة الثقافية وما بعده في الصراع مع جماعة الأربعة نشرت فضائح كثيرة مدّعاة من فريق السلطة ضد الفريق المنّحى ولم يكن من بينها فضائح جنسية مما تعودنا على سماعه في مواسم الانتخابات في الغرب. لقد كان بالإمكان اتهام ليوشاوشي بالتجسس لليابان ويمشي الإتهام وسط الضجيج الغوغائي للشيوعية الستالينية لكن إتهامه بعلاقة جنسية كان سيقابل بالبرود من

* إن الغرب الذي يدستر الشذوذ الجنسي يستخدم الفضائح الجنسية في السياسة أكثر من الشرقيين.

الجمهور الصيني الذي لم يألف مثل هذه الحكايات.

في السياسة لم يكن للمرأة الصينية موقع متميز. وهي لا تتفوق في ذلك على المرأة في الغرب وتتفوق عليها المرأة في بلدان القارة الهندية المجاورة وهي الهند وباكستان وسري لانكا. ولو أن التفوق في زاوية معينة لا يؤشر تقدماً في الزوايا الأخرى ما لم تتكامل. ويلاحظ بوجه عام أن المرأة في أي مرحلة من التاريخ وفي أي حضارة وقفت متهيبة أمام ساحلين: ساحل السياسة وساحل الفلسفة. وقد تحدثت عن المرأة والفلسفة في الفصل السابق، ويبدو لي أن السياسة هي الأخرى موقع تهابه المرأة رغم التجارب الناجحة التي سلفت لها في الحكم. مهما يكن فالمرأة الصينية لها حضور في البرلمان الصيني يبلغ حوالي الربع ولو أن النشاط البرلماني في الصين لايكاد يذكر والهيئات النيابية هناك شأن غيرها في بقية البلدان الاشتراكية هي أجسام عديمة الظل.

وأوجد الشيوعيون حلول جذرية لمشكلة رعاية الأطفال عند غياب الأبوين في العمل فألحقوا في كل مرفق انتاجي دور حضانة ورياض أطفال تشرف عليها شغيلات متفرغات. ويكون الأطفال في نفس الوقت على مقربة من أمهاتهم اللواتي يستطعن أن يتفقدنهم في الفترات ويمكن للمرضع منهن أن تُرضع طفلها عند الحاجة. والرعاية مجانية.

هكذا وفقت الشيوعية الصينية بين التحرر والصيانة فأنزلت المرأة إلى ميادين العمل والإنتاج لتحقيق إنسانيتها الكاملة في مشاركة الرجل ما كان مجالاً خاصاً به وجعلتها سيدة في نفسها وفي عائلتها وفي مجتمعها. وصانت كرامتها الأنثوية عن الامتهان بإلغاء المهر والبغاء وتقييد العلاقات الجنسية خارج الزواج. وفي الحياة العامة كانت العلاقات الطبيعية تجمع بين الجنسين. ومن النادر جداً أن تتعرض المرأة للمضايقة خارج منزلها. والتعريض بها في الكلام نادر أيضاً. وعلى كثرة الحسان فيهن(*) فهن لا يلفتن نظر الشباب. وتجلس الطالبة مع الطالب في الجامعة فلا يشعر أحد أن الجالِسَين هما ذكر وأنثى. وكانت عربية محجبة من جاراتنا لا تتحجب من الرجال الصينيين ولما سئلت عن ذلك قالت: ذولا مش رجال! وتخلو شوارع المدن من العبارات الجنسية التي تملأ الجدران في المدن البريطانية. وبينما يشعر المرء وهو

* قال ابن بطوطة في أحاديثه عن الصين أنها "بلاد فساد وحسن فائق".

يطوف في شوارع لندن أن ثورة جنسية على وشك الحدوث لا تجد في شوارع العاصمة الصينية ما يُشعرك بانقسام الإنسان إلى ذكر وأنثى..

لكن الشيوعية الصينية قصرت في توفير فرص الزواج للمرأة. ولم يظهر الشيوعيون الصينيون تقدير جيد لمشكلة حرمان المرأة من حقوقها الجنسية كالذي أظهره المسلمون. ويرجع ذلك إلى انشغالهم بالبناء الإقتصادي وما تخلله من صراع سياسي بينهم وقد تفاقمت أزمة الزواج في السنوات الأخيرة وارتفعت نسبة العوانس. والجمهورية الحالية غير معنية بهذه المشكلة بعد أن فككت النظام الشيوعي في الاقتصاد وتبعاً له في المجتمع وسعت لاقامة نظام إجتماعي مستوحي من الحضارة الأمريكية حيث تأخذ الحقوق الجنسية للمرأة سبيل توفيرها خارج مؤسسة الزواج. ويعيش النظام الإجتماعي الصيني حالة بلبلة بإنتقاله السريع والجذري من منظومة قيم إلى أخرى. وتفصيل ذلك يخرج بنا عن الصدد. مهما يكن فإن تجربة الشيوعية الصينية في مجال تحرر المرأة هي تجربة رائدة للتحرر النسوي المؤنسن والمتحقق في مدار مجتمع تحكمه العلاقات الشيوعية بطهرانيتها الموروثة مع ما فيها من مقومات تطور إرتهنت بإعادة الإعتبار للمرأة ونقلها من حاجة منزلية كما كانت في الماضي ومن سلعة للبيع والشراء كما هي اليوم في الغرب إلى عنصر بشري فاعل في الحياة ومساهم نشيط في حركة التاريخ. ويمكنني المراهنة أن عودة الشيوعية إلى الصين ستعيد معها هذا الغرار البشري للتحرر النسوي. إن تجربة حية تعتمد على مثل هذا العمق الحضاري الهائل لشعب مُعْرِق في منظومات القيم الإجتماعية الكبرى يستحيل شطبها بقرار صادر عن هيئة حاكمة تحكم بناء على مرجعية دولية لم يعرفها الصينيون في ماضيهم ولا حاضرهم وأغلب الظن أنهم لن يتعرفوا عليها في المستقبل.

قاموس المرأة

مستل من مخطوطات المعجم العربي المعاصر" للمؤلف.

القسم الذي ينشر هنا من معجمنا الكبير يوفر غراراً للدراسة والتقييم لمشروع لاسابق له في المعجمية العربية الحديثة، وهو بالتالي مشروع خلافي قابل للاخذ والرد والتخطئة والتصويب. واتوقع من المعنيين بمشكلات اللغة العربية ان يبينوا آراءهم فيه للاستفادة منها في تقويم العمل وتقريبه من الكمال. وساتابع ما يكتب في الصحافة إن كتب، ويسرني ان اتلقى الملاحظات الشخصية على عنوان الناشر، دار الكنوز الأدبية

المؤلف

رموز ومصطلحات

الأساس	اساس البلاغة للزمخشري
اه.	انتهى.
التاج	تاج العروس في الشرح على القاموس لمرتضى الزبيدي
ج	جمع
جج	جمع الجمع
خياط/مرعشلي	ملحق لسان العرب المطبوع معه ليوسف خياط ونديم مرعشلي
سدن	اللهجة السودانية
سط	لهجة سوريا الطبيعية (بلاد الشام)
عق	اللهجة العراقية
عامي	لما هو ملفوظ في اكثر من لهجة.
فْرَيْحة	أنيس فريحة في "معجم الالفاظ العامية"
القاموس	القاموس المحيط للفيروز أبادي
مص	اللهجة المصرية
المحيط	محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني
مُحْدَثة	ما احدثه العرب في العصر الحديث من مفردات
مستحدث	محدث في العقود المتأخرة من هذا القرن ولم تتضمنه المعاجم الحديثة
مولَّد	ما ظهرمن لفظ بعد عصر الرواية او ماغُيِّر عن معناه الى معنى آخرمحدث. والاشارة في هذا القاموس تقتصر على المضمون الاخير.
الوسيط	المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية في القاهرة.
باء باريس	الباء التي تلفظ على شاكلة الحرف p اللاتيني.

ملحوظات

١ ـ المنتقى في هذا القاموس من اللهجات غير مستوفى تبعاً لكل لهجة بالنظر لعدم قدرتنا على جمع اللهجات العربية جميعها بل وتعذر الاحاطة بلهجات البلد الواحد. وحيثما وردت اشارة الى لهجة معينة بنسبة مفردة ما إليها فلا يعني هذا بالضرورة اقتصارها على تلك اللهجة. فليلاحظ.

٢ ـ لفظ الحروف العامية يختلف حسب اللهجات. وقد نبهنا على ذلك في مقدمات المعجم.

٣ ـ معجمت المترادفات من العامي كما من الفصيح ضمن خطة للمعجم في اثراء المفردات والتيسير على الكتاب في اختيار مفرداتهم تبعاً للمقتضيات المتعددة للغة الكتابة.

الكتاب الاول
العائلــة

الباب الاول

المرأة

الفصل الاول

تسميات المرأة

مَرْأة: مؤنث مرء. واختصت بالانثى مقابل الرجل.

إمرَأة: مؤنث إمرَأ. بنفس المعنى. والنسبة إليها إمرأتي.

مَرَة : إمرأة. قال أبو طاهر القرمطي:

يابني العباس من ينصركم

اصبيٌ ام خصيٌ ام مرة

وهي الدارجة في العامية المعاصرة. والنسبة إليها مَرْتي.

مَراة مخفف مرأة. وترد في العامية المعاصرة منسوبة في الغالب : مراتي. ومراة فلان . وهي كذلك في مصر كما عند عرب بخارى.

نساء جمع مرأة. متطور عن سامية أقدم. ففي العبرية" نشيم" و المفرد أشه على غير لفظ الجمع كما في نساء ومرأة. والنساء متطورة عن نشيم. و لجمع النساء صيغتان اخريان هما نِسوة ونِسوان. ونِساوين (جج). عامي والمستعمل في لغة الكلام نسوان ونساوين.

النسبة القياسية الى امرأة لم تستعمل والشائع عند المعاصرين هو نِشوي ونسائي. يقال: ملابس نسائية وشئون نسائية أو نسوية وطب نسائي واتحاد نسائي...

ملحوظة: تسميات الانثى بحسب مراحل العمر تجدها في كتاب الانسان. وقد اجتزئت تسميات المرأة في هذا الجزء من ذلك الكتاب.

الفصل الثاني

القاب المرأة في الخطاب والتكريم

سَيِّدة مؤنث سيد. خطاب او لقب يكثر في العصر الحاضر ويختص بالمتزوجات. ج سيدات

آنسة للعذراء عند المعاصرين. و تخاطب بها المعلمة في سوريا بصرف النظر عن وضعها الزوجي. ج اوانس وآنسات. البحتري:

يامن رأى البركة الحسناء رؤيتها

والآنسات اذا لاحت مغانيها

وأصلها، وهو ما عناه البحتري، الفتاة الطيبة النفس المحبوب قربها والمأنوس حديثها.

سِتّ لقب عام للنساء.

وفي تخريجها يقول الفيروز أبادي: "ستي للمرأة اي يا ست جهاتي او لحن والصواب سيدتي" وفي شروح القاموس يرد مايلي: "قوله الصواب سيدتي ويحتمل ان الاصل سيدتي فحذف بعض حروفه قاله الشهاب القاسمي ونقَل شيخنا عن السيد عيسى الصفوي ما نصه ينبغي أن لا يقيد هنا بالنداء لانه قد لا يكون نداء. قال والظاهر ان الحذف سماعي وان النداء على التمثيل لا انه قُيِّد كما توهموه. وانشدنا غير واحد من مشايخنا للبهاء زهير:

بروحي من اسميها بستي

فينظرُ لي النحاةُ بعينِ مقْتِ

يرونَ بانني قد قلتُ لحناً

وكيف وانني لزهير وقتي

ولكن غادة ملكت جهاتي

فلا لحن اذا ما قلت ستي

وهنا يرجعها البهاء زهير الى يا ست جهاتي. لكن اختزالها من سيدتي هو الاحرى بالقبول ولو أنها لم تقف عند النداء بل تعدته الى اللقب. كما نُقل في الشرح عن عيسى الصفوي. وهو الدارج اليوم. ومن الكنايات اللبنانية: "اولاد الست واولاد الجارية" في الكلام على التمييز بين الناس في المعاملة

خالة خطاب الصغير والصغيرة للكبيرة الغريبة عنهما.

هانم سيدة (مص) من التركية

خانم صيغة فارسة للهانم

خاتون سيدة. مغولية/ استعملت قديماً مع انتشار المغول في العالم الأسلامي وهي مؤنث خان. ج خواتين.

الفصل الثالث

حقوق المرأة وأوضاعها الاجتماعية

حَظْل غيرة الرجل على المرأة ومنعها من التصرف. وأصل الحظْل الحجر على الغير ومنعه من الحركة والتصرف والمشي. وحظَل عليها يحظُل فهو حَظول: غار عليها ومنعها من الظهور للرجال.

عُقْر دية المرأة المغتصبة يدفعها المغتصب. ومهر الجماع عن شبهة.

عَضْل منعها من الزواج .(راجع الكتاب الثاني - الزواج)

معيوفة امرأة عافها زوجها من غير أن يطلقها. (عق)

حجاب سِتْر المرأة لجسدها وشَعرها.وقد يشمل ستر الوجه. وهي محجبة

سُفور القاء الحجاب. وهي عند المعاصرين **سافرة**.(للمزيد انظر الباب الثاني من كتاب الحب والجمال)

خَلْع عامية للسفور غير المحتشم تظهر فيه اجزاء من الجسم غير المعهودة في السفور التقليدي. يقولون: فلانة تلبس خَلع. وفلانة مخلّعة ..

نِشْوية يضعها بعض الكتاب والمترجمين مقابل feminism ويراد بها الانتصار للمرأة والعمل من أجل حقوقها ومن يقوم بها هو **النِشوي** أو **نصير المرأة** مقابل feminist وهم نسويون او انصار المرأة. ويقابلها **جنسوية** sexism للتحيز ضد المرأة. وقد تكون للتحيز من الجنسين ضد بعضهما البعض.

نصف المجتمع وصف يستعمله النسويون في دفاعهم عن النساء.

نصف السماء، بان ثِيان ثِّيان: وصف للنساء يستعمله الشيوعيون الصينيون في دفاعهم عن دورالمرأة في الحياة البشرية. وهو شائع في الصين كمرادف للمرأة ويتردد في منشوراتهم العربية بترجمته الحرفية المثبتة هنا.

حرائر تقال في الاصل للنساء من غير الاماء. وتعمم على النساء مدحاً. قال المعري ينهى عن زواج الضرائر:

قرانك ما بين النساء اذية
لهن فلا تحمل اذاة الحرائر

ولشيخنا عبد المعين الملوحي من قصيدة في الهند:

احب امرؤ القيس الحرائر نُعماً
فلم ير احلى في الحرائر من هندِ

استعمل الحرائر مدحاً وليس لتمييزهن عن الاماء لان الاماء لم يعد لهّن وجود.

حُرْمة كناية عن المرأة على زنة فعلة من الحرام. وهي كالحريم و الحَرَم وتطلق اليوم على المرأة غير الشابة والعامية البسيطة. وسمعت خطاباً للشاعرة نازك الملائكة سخرت فيه من تسمية المرأة حرمة لما فيه من الاشعار بضعفها واستضعافها

الباب الثاني

العائلة

الفصل الاول

تسميات عائلة

عائلة من يضمهم بيت واحد من الآباء والابناء ومن يليهم من الأقارب. وهي أصغر وحدة اجتماعية. مولدة. تجمع على عوائل وعائلات. والاول شائع في لغتي الكلام والكتابة والثاني في لغة الكتابة يلجأ اليه الكتاب والمحررون بسبب شيوع الاول على ألسنة العامة.

عِيال أفراد العائلة المعالون عدا من يعيلهم. وفي الحديث: " الخلق كلهم عيال الله" والعيال جمع عيِّل ومفردها غير مستعمل بهذا المعنى وانما يستعمله المصريون بمعنى الطفل.

عَيلة، بامالة الياء، عائلة (عامية). من مفردات الف ليلة وليلة.

أُسْرة يضعها المعاصرون مرادفاً للعائلة. وتعريفها عند المعجميين اهل الانسان وعشيرته الأقربون. وتأخذ في الاستعمال المعاصر معنى آخرتكون فيه أوسع من العائلة بحيث تمتد الى السلالة فتستعمل للسلالات الحاكمة فيقال اسرة تانغ واسرة مينغ في الصين ويقال: الاسرات الفرعونية. والجمع اسرات مستحدث وقياسيّة أُسَر. ولا يقال عائلة تانغ والعائلات الفرعونية. ويستعملها المعاصرون أيضاًبمعنى الآل (انظر المادة).

عِترة نسل الانسان ورهطه وعشيرته، وفي الحديث: "تركت فيكم الثَقَلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي."وتشمل حسب المفسرين أهل بيته الاقربين وأختصت بفاطمة واولادها الذين استمرت من خلالهم سلالة النبي. يقال عترة الرسول ولا يقال عائلة الرسول.

آل أهل الانسان وعشيرته الاقربون. وتقارب الاسرة. يقال: آل فلان وأسرة فلان.

أهل أهل الانسان اسرته وذوو قرباه. ج اهلون. شاعر:

وما المال والاهلون الا ودائع

ولا بد يوماً ان ترد الودائع

والأهلون في هذا البيت هم العائلة فهو ينظر فيها الى قول القرآن:" المال والبنون زينة الحياة الدنيا"

وتكسيرها "أهالي" يفيد معنى آخر يرد في كتاب المجتمع - باب الاقوام والتجمعات السكانية.

حامّة خاصة الانسان من اهله وولده.

ذوو آل وأهل. يقال: ذوو فلان أي اهله واقرباؤه لعل أصلها ذوو الارحام فاختزلت .

ملحوظة المفردات: اسرة، عترة، آل، أهل، حامة، تتقارب تعريفاتها في المعاجم. وفي الاستعمال تتقارب اسرة مع آل وأهل وذوو. ويندر استعمال عترة وحامة. واستعملت اسرة كما مر للسلالة الحاكمة ايضاً. ويستعملها بعض المعاصرين مرادفاً للعائلة بتأثير بعض اللغويين الذين يعتبرون ان عائلة ليست عربية النجار.

الفصل الثاني

أفراد العائلة

أب بالتخفيف. وقد يشدد كقول دِعْبِل الخزاعي في المعتصم:

وهمك تركيٌّ عليه مهابة
فأنت له ام وانت له ابُّ

ج آباء. وقد يعمم الجمع على الاجداد والاسلاف.

والد أب

أُمّ بالتشديد. وتجمع على **أُمّهات** اذا أُريد بها امهات البشر وعلى **أمّات** لما يخص الحيوان. المعري:

وابيضَ اماتٍ ارادت صريحه
لابنائها دون الغواني الصرائح

والدة ام

الأَبَوان و الوالدان الام والاب. ج والدون

إِبن للولد الذكر. الجمع ابناء وبنون. وقد ترد ابناء بالمعنى العام فترادف الاولاد. وبمعنى آخر يقول المعاصرون: ابناء الشعب وابناء حارتنا اوبلدنا اوبلدتنا. ويريدون مجموع الاهالي والجمهور ودلالة بنين حاصرة على الذكور. يقال: مدارس البنين ومدارس البنات. اصل ابن هو بن المشتركة في الساميات عدا الآرامية. وتحذف الهمزة عند الاضافة فيقال احمد بن محمد وتلفظ إبن.

إِبْنة مؤنث ابن.

بِنْت الأنثى في باكورة العمر. ويعممها بعض العامة على العذراء حتى تتزوج. وترد بنت بمعنى ابنة في النسبة فيقال" فاطمة بنت محمد" وقلما يقال : فاطمة ابنة محمد لا ستثقالهم اياها.

ج بنات. وتقابل بنين. يقال مدارس مختلطة للبنين والبنات...

نَجْل ابن. ج انجال. ويستعملها المعاصرون للتكريم. يقولون: نجل الشاعر ونجل الرئيس ونجل الفقيد...

كريمة كناية تكريمية عن الابنة لا ترد الا مضافة فيقال هذه كريمتي وهذه كريمة فلان. وفي "اسباب النزول" للواحدي النيسابوري في سبب نزول "الرجال قوامون على النساء..." ان زوجة سعد بن الربيع نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها الى النبي وقال له: "يا رسول الله افرشته كريمتي فلطمها.." ولا يقال: فاطمة كريمة محمد لانها لا تحل في النسب محل بنت.

اولاد البنات والبنون كبيرهم وصغيرهم. تقابل الانجليزية children

وِلْد، بكسر الواو وضمها وسكون اللام، اولاد. وهكذا ترد في (عق). وهي في الاصل للمفرد والجمع. ويستعملها الموريتانيون وبعض أهل البوادي بمعنى ابن. يقولون: مختار وُلْد دادة اي مختار بن دادة. ومن شواهده القديمة بهذا المعنى:

فليت فلاناً كان في بطن امه
وليت فلاناً كان وُلْدَ حمار

والولد بفتحتين للمفرد والجمع أيضاً ويغلب في لغة الكلام المعاصرة على المفرد. ومن شواهده القديمة:

كلاهما خلف عن فقد صاحبه
هذا اخي حين ادعوه وذا وَلَدي

ضَنا اولاد.(عامية) والأصل ضَنْء وضَنْو. ويخاطب بها المصريون أولادهم فتقول الام لابنها : يا ضناي.

ضَنايا ضنا (مغ)

حفيد ابن الابن وابنة الابن. ج احفاد وحَفَدة. ويستعمل المعاصرون حفيدة للانثى ويجمعونها على حفيدات.

سِبط الحفيد وابن وابنة البنت. واستعمل في عربية الاسلام للدلالة على ابن وابنة البنت ومنه قولهم: الحسين سبط الرسول، وسبط ابن الجوزي ابن بنته من كبار المؤرخين وسبط ابن التعاويذي من شعراء القرن السادس وعبد الكريم الجيلي خاتمة اقطاب الصوفية وهو ابن سبط عبد القادر الجيلي. ج اسباط.

ذُرّية تطلق على الاولاد الصغار المباشرين للوالدين، وعلى النسل البعيد. يقول العامي:" أريد ذرية" اي اولاد. ويقال: ذرية آدم اي نسله. وعن ثعلب أن الذرية نسل الثقلين الانس والجن. وفي القرآن :" ذُرِّيَّةَ من حملنا مع نوح" في اشارة الى موسى وبني اسرائيل بوصفهم من نسل الذين نجوا من الطوفان. ج ذراري ويستعمله المغاربة بالدال في معنى الاولاد.

نَسْل الاولاد المباشرون والذرية البعيدة. ويغلب عليه المعنى الاخير. سلم رجل على أبي العيناء الاديب الاعمى فسأله: ممن الرجل؟ قال: من بني آدم . فقال ابو العيناء: مرحباً بك فو الله ما كنت اظن هذا النسل الا قد انقطع. ويقال: فلان نسل فلان او من نسله فلا يراد به أنه ابنه بل من أحفاده. ويستعمل الجمع **أنسال** في مباحث الارتقاء الدارويني.

عَقِب ، فتح فكسر، الولد يبقى بعد الوالد. **وأعقب** فلان : ترك عَقِباً اي ولداً أو أولاداً من صُلْبه. وفلان لم يُعقب اذا لم يكن له اولاد.

جد ابو الاب وابو الام. ج جدود واجداد. ويعمم الجمع على الاسلاف.

جَدّة ام الاب وام الام. ج جدات.

تَيته بامالة الياء: جدة في (سط) و(مص) ويقولون ايضاً: **ستي**

يِيي جدة في لهجة بغداد وما حولها وفي بعض اللهجات التونسية. من الفارسية وفي الجنوب جدة ويدّة بابدال الجيم ياء على لغة تميم. ويقول التوانسة أيضاً عزيزة وهي للتحبب اكثر منها للتسمية.

نانة خطاب للجدة والمربية(عامي)

ملحق ١

مفردات النداء والخطاب

يا أبت صيغة نداء قديمة.

يا أبي صيغة نداء متداولة قديماً وحديثاً.

بابا نداء للمعاصرين يكثر عند اهل المدن من الأغنياء والمتعلمين. وهي عامة في معظم اللغات.

يابا بحذف الهمزة. نداء قديم للاب يكثر اليوم في البوادي والارياف.

بُويا بحذف همزة اب واشباع فتحة الياء، نداء لاهل البوادي والارياف. وقد يستعمل في غير النداء كما في هذا الشعر الشعبي الجزائري لمصطفى صحراوي:

☆ بويا سراج ومنبع حنان☆

يا إمي بكسر الهمزة، نداء للام في(سط) وكسر همزة ام لغة قديمة.

ماما نداء للام يتوازى مع بابا عند من يستعمله.

يَمّه ويُمّه مختزل "يا أمه"، نداء قديم نص عليه الخليل يكثر في العراق والسودان والبوادي والأرياف.

بُنيّ على التصغير نداء قديم للابن.

ابني ويا ابني نداء شائع للابن كما في اغنية وديع الصافي :

الله يرضى عليك يا ابني

بنتي ويابنتي نداء للبنت من الوالدين. وفي بعض اللهجات تدغم النون في التاء.

بُنيّتي بنتي على التصغير للتحبب. وتسكّن الباء وتخفف الياء في بعض اللهجات المعاصرة.

ملحق ٢

مفردات وافعال تخص ماسبق

أمومة مصدر أم **وأُبُوّة** مصدرأب **وبُنُوة** مصدر ابن وبنت.

أَمّتْ فلانة تؤمّ، على الفعل اللازم، صارت أماً.

أبا فلان يأبو، على الفعل اللازم، صار أباً ويقول القدماء: ماله اب يأبوه.

تأبّى اباً واستأبى اتخذ له اباً. **وتأبى فلاناً**: اتخذه اباً له.

بَنَوي نسبة الى الابن.

ابو يني في النسبة الى الابوين. "والعم الابويني" من مصطلحات المواريث في الفقه.

أُمومي نسبة الى الأم

أَبوي نسبة الى الأب

بِنتي نسبة الى البنت

بَناتي نسبة الى البنات. يستعملها العوام والتجار للون والطراز الملائم لذوق البنات والفتيات من الملابس ونحوها.

وَلاّدي نسبة عامية الى الاولاد للملابس على غرار بناتي. والاصل القياسي **أولادي**.

نَجَلَه ينجُله : ولده. نادرة. ومن شواهدها القليلة عند القدماء:

انجب ايامَ والديه به

اذ نجلاه ونعم ما نجلا

ومن شتائمهم : قبح الله ناجلَيه اي والديه.

نَسل ينسلِ **وأنسل** يُنسِل: صار له نسل كثير

تناسُلوا يتناسلون: توالدوا وتكاثروا

تناسُل: انتاج النسل. الحفاظ على النوع.

تناسُلي: يراجع في قاموس الطب.

تكاثُر: تناسُل. (مستحدثة) بهذا المعنى وتغلب على التناسل غير البشري. يقال: تكاثُر النبات وتكاثُر الحشرات.....والفعل: تكاثر يتكاثر. بمعنى تناسل يتناسل.

توالدوا: ولد بعضهم بعضاً كتناسلوا

الفصل الثالث

تسميات الزوجين

زوجة للمرأة. ونقل ابن سيدة عن الكسائي أن كلام العرب عليها. وانفردالاصمعي بانكارها. ومن شواهدها في اللسان:

يا صاح بلغ ذوي الزوجات كلهم
ان ليس وصل اذا انحلّت عرى الذّنَبِ

وقول الفرزدق:

وان الذي يسعى يحرّش زوجتي
كساعٍ الى اسد الشرى يستبيلها

زوج للرجل. ج ازواج. ويستعمل زوج لكليهما في حالات مخصوصة تمس الطرفين كما في هذا النص من قانون الزواج السوري للكاثوليك: "عند الافتراق يجب أن يربى الاولاد لدىالزوج البريء واذا كان احد الزوجين غير كاثوليكي فلدى الزوج الكاثوليكي."

الزوجان كلاهما

بَعْل زوج. في القرآن "وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً". ج بعول . وبعل في الساميات القديمة تعني السيد والرب وفي العبرية والسريانية اطلقت على الزوج كالعربية

عقيلة يستعملها المعاصرون اسم تكريم للزوجة يقولون " فلانة عقيلة فلان". وأصل العقيلة يجمع بين السيدة المصونة في المنزل والزوجة الكريمة وسيد القوم من الرجال . ويقتصر استعمالها المعاصر على الزوجة للتكريم. ج عقائل.

قرينة زوجة. ترد غالباً مضافة: قرينتي وقرينة فلان.

حليلة زوجة. قال محمود سامي البارودي يرثي زوجته:

يا دهر فيمَ فجعتني بحليلة
كانت خلاصةَ عُدّتي وعَتادي

ويقال للزوج حليل ومنه المنسوب الى عنترة:

وحليل غانيةٍ تركت مجدّلاً.

والحليلة أكثر تداولاً.

طَلّة كناية قديمة عن الزوجة استعملها الشعراء في الجاهلية وصدر الاسلام. لعل المراد بها الواحدة من الطل وهو الندى. ومن شواهد اللسان:

واني لمحتاج الى موت طلتي
ولكن قرين السوء باقٍ معمّر

وفي الاساس : امرأة طلة اي حسنة نظيفة ومنه طلة الرجل لامرأته.

شاعة زوجة. وردت في سؤال سيف بن ذي يزن لعبد المطلب حين وفد عليه للتهنئة بطرد الاحباش من اليمن سأله: هل لك من شاعة؟ قال اللغويون لانها تشايعه. وليس بقوي. فلعلها من لغات اليمن القديمة. ويمكن تلمس علاقة لها بالكلمة العبريةإشه وتعني المرأة والزوجة.

ضَرّة، بفتح الضاد، الزوجة الاخرى في نظام الزواج الضرائري. ج ضرائر.

حَرَم كناية عن الزوجة يستعملها المصريون مضافة الى اسم الزوج. يقولون: حرم فلان اي زوجته.

مُعزّبة في اساس البلاغة: يقال لامرأة الرجل معزّبته. وانشد يعقوب:

معزّبتي عند القفا بعمودها
يكون نكيري ان اقول ذريني

وسمعتها من الفلاحين العراقيين، يقول احدهم: **مُعَزِّبْتي والمْعَزْبة** في الكناية عن زوجته.

سُرّيّه جارية تعاشر كزوجة. ج سراري. شاعر من العباسي الاول:

ان اولاد السراري
كثرت يا رب فينا

الفصل الرابع

حالات الاولاد

بِكْرُ باء مكسورة، اول مولود للابوين او احدهما.

ثِنْي من يأتي بعد البكر والعراقيون يقولون ثِنو

قِعْدة :آخر الاولاد الذي تقعد بعده المرأة عن الانجاب. وفي (عق) بزر القُعدة.

عِجْزة ، عين مكسورة، المولود لاب مسن. وأنشدوا:

عجزة شيخين يسمى معبدا

ابن حلال ابن شرعي. وهي بنت حلال. وتقال للمدح بالسلوك الحسن.(محدثة)

نَغْل ونَغِل ونغيل:ابن زنا. وهي نغلة. و النَغْل بتسكين الغين هو الدارج في لغة الكلام والكتابة المعاصرة. وبناه الجواهري على المفعولية فقال يهجو ساطع الحصري:

ومنغولٍ من التاتار وغد

تراضع والوغادة في فُواقِ

وقد ظلم التاتار فهم شعب فيهم الصالح و الفاسد.

ابن حرام نغل. (محدثة) ووردت **اولاد الحرام** في شعرعباسي:

هذا لاولاد الخطايا و البغايا والحرام

سَفيح ابن سفاح. وليس هو النغل حصراً لانه قديكون من زوجة لكنها غير شرعية كالجمع بين الاختين او سِفاح المحارم. يقال تزوجت المرأة سِفاحاً اي بلا سُنّة ولا كتاب .لكنه زواج. اما النغل فالمولود خارج العلاقة الزوجية.

لقيط مولود يعثر عليه منبوذاً فيكون مجهول الابوين. ج لقطاء.

وَلَد ملاعنة ولد يولد من زوجة اتهمها زوجها بالخيانة فتلاعنا وانفصلا. وله أحكام في فقه المواريث.

توأم من ولد مع آخر في بطن واحد. يقال فلان توأم فلان، وهما **توأم وتوأمان** وهم **توائم**.

خديج من وما ولد قبل اكتمال نموه في الرحم. وفي حديث الزكاة "في كل ثلاثين بقرة خديج" اي ناقص الخلق في الاصل كما في اللسان ومراده تبيع عبر به عنه لانه كالخديج في صغر اعضائه ونقص قوته. واستعاره مجمع القاهرة للعضو من النبات او الحيوان لم يكتمل خلقه وسيأتي في موضعه من قاموس النبات والحيوان . وتختلف المعاجم في الخديج بين عدم اكتمال الخلقة وعدم اكتمال المدة وما اخترناه هو المفهوم في علوم الاحياء.

يَتْن من ولد معكوساً فخرجت رجلاه قبل رأسه. وهو المنكوس ايضاً. ويسمى في (سط) **مَقْعدي** وفي (عق) **خيّال** وهو الفارس..

حَميل من أُخذت أُمه من دار الحرب وهي حامل به وولدته في دارالاسلام. ويضعه المترجمون اليوم مقابل foetus وهو خطأ صححناه في موضعه من كتاب الانسان من هذا القاموس باستقصاء مفردات الجنين في اصول العربية. والحميل بمدلوله الأصلي يتسع لما هو في حكمه

من مواليد تحملهم الام في بلد وتلدهم في غيره.

فِلْيُون مصطلح في قانون الاحوال الشخصية المسيحي ويراد به الولد الذي يقدمه الرجل للمعمودية فيكون الولد فليونه وهو عرّابه. والبنت فليونة والمرأة عرابتها. (ايطالي) ويُحرم زواج العراب من فليونته والعرابة من فليونها.

مُذرَّع الذي امه اشرف نسباً او أعلى مكانةمن ابيه ومنه قول الشاعر يهجو بني باهلة ويمدح بني حنظلة:

اذا باهلي تحته حنظلية

له ولد منها فذاك المذرَّعُ

هجين عكس المذرع وهو من ابوه اعلى مقاماً من امه. ويقال عادة لمن امه غير عربية وله استعمالات حديثة تراجع في كتاب الانسان من هذا القاموس واخرى في قاموس النبات والحيوان.

رَبوب وربيب ابن الزوجة. والاول غير دارج والثاني يختلط في المعاجم بالراب لكن اكثر النصوص القديمة على الربيب وكونه ابن الزوجة وهكذا هو عند المعاصرين وهم يستعملونه في كناياتهم كقولهم: "الحاكم الفلاني ربيب الاستعمار" ومنه قول الجواهري يرثي زعيماً وطنياً عراقياً:

حربٌ على مستعمر وربيبه

وكان محمدبن ابي بكر ربيب علي بن ابي طالب لان والده مات وهو صغير فتزوج علي امه ورباه عنده فقال عنه: "كان لي حبيباً وكان لي ربيباً" ولم يقل كان لي ربوبا. ويفهم من استعمالات المعاصرين ان الربيب عندهم هو كل من تربى عند أحد وحظي برعايته فصار ربيبه.

هَرَل ، بفتحتين، ابن المرأة من زوجها الاول. وهو القاروط في عامية المحيط. وسمعته في سوريا من ابناء الجيل الاسن.

عِكَبّ الولد المتزوجة امه.

مُكَرْكَس المولود من سلسلة إماء.

يتيم الصغيرالذي مات ابوه. ولا يسمى من فقد أمه يتيماً بل هو العجي (انظر باب رعاية الاطفال) لان اليتيم يتضمن معنى فقدان الرعاية والاعالة وهي عند القدماء للاب ولذا تنقلب في الحيوان فيكون اليتيم من فقد أمه. ويلاحظ الوضع الاجتماعي في أصل التسمية . ومن فقد والديه فهو **اللطيم**.

ملحق بالباب

مفردات وأفعال لها صلة

نَغُل ينغُل نغولة: ولد عن زنا

يَتِم ييتَم ويتُم ييتُم يُتْمًا: صار يتيماً

يتّمه وأيتمه: صيره يتيماً فهو مؤتم. ومؤتم الاشبال من رجال آل ابي طالب قتل لبوة ذات اشبال فلقّب بفعله . المصدر تيتيم كما في قول الفند الزّماني:

بضربٍ فيه تأييم وتيتيم وإرنانُ

عن" تأيم" انظر مفردات الوضع الزوجي في كتاب الزواج.

تيتّم تيتُّماً: يتُم. وهي المتداولة في لغة الكلام.

إلتياط: ان يدعي الرجل ولداً ليس له. وقد **التاطه يلتاطه، واستلاطه**.

تَقَيُّل: شَبَه الابناء بالآباء. **تقيل** اباه: اشبهه.

مولود لِرِشْدَة، بكسر الراء، ابن حلال . ولد شرعي.

مولود لِزِنية : نغل

حق الدم: ثبوت جنسية الاب لولده الشرعي. يضعها المترجمون مقابل JUS SANGUINIS .

الفصل الخامس

رعاية الطفل

- ١ -

التغذية

رضاع ورضاعة، بكسر الراء وفتحها، اغتذاء الطفل من ثدي طبيعي او اصطناعي. وقد **رضَعها يرضِعها ورضِعها يرضَعها رَضْعاً** فهو راضع. **وأرضعته** هي تُرضعه **ارضاعاً**. **ورضّعته** بالتضعيف من الدارج في لغة الكلام. **واسترضع استرضاعاً**: طلب مرضعة للرضيع.

وتراضعا : رضعا معاً وراضعه رضع معه.

مَراضع جمع مَرْضع لموضع الرضاع وهو الثدي. في سورة القَصص: "وحرّمنا عليه المراضع" ومن الأمثال العراقية : "إل ما يسوقه مَرضعه، سَوْق العصا ما ينفعه" يريدون الاصل والمنشأ.

مِرْضعة قنينة الارضاع الاصطناعي (الوسيط) . وهي **الرضّاعة** في العامية. وفي (عق) **ممّة** كأنها حكاية لصوت الطفل اذا تكلم باطباق شفتيه.

بزّازة حلمة الرضّاعة التي يمتص منها الطفل ما في القنينة من حليب ونحوه(سط) فعّالة من البِز وهو الثدي.

لَهّاية حلمة مصنوعة توضع في فم المفطوم لالهائه عن الرضاعة. (عق، سط)فعّالة من اللهو.

فِطام قطع الطفل عن الرضاعة. **وفَطَمته تفطِمه فطماً** فهو **فطيم ومفطوم** وهي **فاطم وفاطمة**. **وانفطم** الطفل: انقطع عن الرضاع. **وأفْطمَ** حان أو اقترب موعد فطامه.

محاياة تغذية الطفل بما به حياته. **وحايّته تُحاييه**: غَذّته.

عجي العجيّ رضيع ماتت امه فأرضع او غذي اصطناعياً. ج عجايا. وفي الحديث: "كنت عجياً ولم اكن يتيماً" والحديث موضوع على الاكثر لانه كان يتيماً ولم يكن عجياً بعكس مضمون الحديث وهذه السيرورة تسمى **معاجاة** وقد **عاجاه** يعاجيه. ومن شواهد الجوهري:

اذا شئتُ ابصرتُ من عَقبهم
يتامى يعاجَون كالاذؤب

وعجوته وعجيته اعجوه عجواً **والعجاوة** بالضم وبالكسر لبن يغذى به العجي. وأصل الاشتقاق مرجحاً عندي من العَجْوة للرُطب الناضج المكبوس ، ويكون في العادة ليناً يصلح لتغذية الصغير والمريض.

لخاء، بالكسر وبالفتح ، غذاء الرضيع عدا الحليب. والتخى الرضيع : اغتذى بطعام لين غير الحليب كالخبز المبلول. **وألْخته تُلخيه**. ولشاعر من بني اسد:

فهن مثلَ الامهات يُلخين
يطعمن احياناً وحيناً يَسقين.

سرهف الطفل وسرهده وسرعفه: احسن

غذاءه ونعّمه. وانشدوا في سرهف:

انك سرهفت غلاماً جَفْرا

وهو مسرهَف ومسرهَد ومسرغف: حسن التغذية، منعَّم. والسرهدة تنظر الى فُرهود وهو الصبي الممتلىء الحَسَن والناعم التار. والفرهدة في بعض اللهجات التنعم وحسن الحال.

تربيب تربية جسم الطفل. وربّبه :غذاه جيداً وأنماه. ويقول العراقيون **مْرَبْرِب** للولد السمين المعافى. وفي اللسان : "المطر يُرَبِّبُ النبات والثرى ويُنميه" . وللجواهري:

هـذا الـنـفـاق تـرَبّـبـه

صـحـف ويُـسـمـنـه كـتـاب

نأنأه احسن تغذيته. **والنأنأة** تفيد الضعف والعجز والليونة. ومنه قول ابي بكر "طوبى لمن مات في النأنأة" وفي نأنأة الاسلام، اي قبل ان يقوى ويشتد ويصبح دولة. واستعمال النأنأة لحسن التغذية يرجع بالذهن الى معنى التدليل والتنعيم

تَسْغيم اجادة تغذية الطفل، كالسرهفة. وقد **سغَّمَتْه**. والتسغيم عام في الانسان والحيوان والنبات.

عُلالة وتعلّة المخصص عن "العين": "المرأة تعلل الصبي (يقصد الرضيع) بشيء من المرق وغيره ليجزأ به عن اللبن". قال(والشعر لجرير):

تـعـلّـل وهـي سـاغـبـة بـنـيـهـا

بـأنـفـاس مـن الـشـبـم الـقـراح

واسم ما تعلله به **العلالة والتَعِلّة**.

شابل صبي شبّ في نعمة وحسن رعاية. وقد **شبَل يشبَل شُبولاً**

حَثْل سوء الرضاع والحال. وقد **أحثلته** امه. **والمُحْثَل** من اسيء رضاعه. مُتَمّم بن نويرة:

وارملـةٍ تـسـعـى بـاشـعـثَ مُحْثَلٍ

كفرخ الحُبارى ريشُه قد تصوّعا

قَرْقَم الطفلَ اساء غذاءه. **والمُقَرْقَم**: الذي لا يشب، سأل الاصمعي صبياً من الاعراب وقد رآه هزيلاً ضئيلاً عن سبب ذلك فقال :" قرقمني العز" يريدأن شعوره بالعزة والكرامة منعه من طلب الطعام عند غير أهله. ويقول العراقيون " قُرْقُمّه" للعجوز الضاوية المنحنية.

زَغْبَل طفل لم ينجع فيه الغذاء فعظم بطنه ودق عنقه. قال:

سمطاً يربّي وُلْدةً زَعابلا

وهذا المنظر مألوف للمعاصرين عن جياع أفريقيا التي ينهبها الغربيون.

جحن المخصص: **السغِل والوغِل والجَحِن** السيء الغذاء. وانشد ثعلب:

كـواحـدة الأُدحـيّ لا مُـشْـمَـعِـلّـة

ولا جَحِنة تحت الثياب جشوبُ

تكملة باشكال الرضاع

مَلْج : تناول الرضيع ثدي امه بأدنى فمه، وقد **ملجه هو وأملجته هي**.

لَهْس: ان يلطع الثدي بلسانه من غير أن يمصه. وقد لَهَسه يلهَسه.

مَكّ: ان يمص الثدي باستقصاء. وقد مكّه وامتكه.

زبيكة: أول رضعة للمولود. وهي **الضَبيك** أيضاً.

زَغَل الطفل أمه يرغَلها زَغْلا: اختلس منها

رضعة. وأرغلته هي: ارضعته. والرَغول شاة ترضع الغنم.

رَغَث الطفلُ رغثاً وارتغث: رضِع. وأرغثته هي: ارضعته. والمرغِث: المرضع. قال رجل من غطفان:

اذا المرغث العرجاء بات يعرُها

على ثديها ذو ودعتين لَهوجُ

امغلته: ارضعته وهي حامل فهي مُمغل ولبنها المَغْل والمغَل، وفي (عق) أمغل الطفل: اصابه اذى في بطنه من رضعة سيئة. ومغلته هي اساءت إرضاعه.

غالت طفلها تَغيله غَيْلاً: ارضعته وهي حامل أوفي لحظة جماع. والغَيْل هو حليبها ذاك. وتنهى العرب عن الغَيل. وفي اساس البلاغة قالت امرأة: ماسقيته غَيْلاً ولا حرمته قَيْلاً" ويقولون: هذا الصبي افسدته الغيلة. واغاله ابوه واغالته امه فهو مُغال: تجامعا وهي حامل أو في حال ارضاعه.

- ٢ -

الحضانة

مَهْد سريرالطفل. وهو الثابت في العادة. وارتجل خياط مرعشلي المَهَزّ للمهد الهزاز والمهز هو الكاروك في(عق) عدا الجنوب حيث تشيع كلمة مهد. واصله المرجح كاروخ فاعول من كرَخ يكرَخ عندهم اي هرول أو مشى مسرعاً على غير انتظام. من الفارسية" كرخ" المفيدة للمشي. والكاروك لا يكون الا هزّازاً. ومنه رد المرأة العراقية على الرجل اذا قال لها انت كبيرة السن: هازّة كاروكك؟ ج مهد مُهود وجمع كاروك كواريك.

قِماط قُماش يلف به الوليد بدل الملابس. ج اقمطة. وقمّطته تقميطاً فهو مقمَّط وقمطته، بالتخفيف، فهو مقموط. والعامية على التضعيف.

حفّاظة خِرْقة تلف حول مقعد الرضيع لحفظ ملابسه من البول والبراز. (محدثة) وحفّظته البسته الحفّاظة.

حَضينة حفاظة(عق) . ج حضاين. فعيلة من الحَضْن.

قَصْرية وعاء مستطيل يثبت في خرق من المهد لفضلات الرضيع.(محيط/ عامية).

قَعّادة وعاء نقال وقد يثبت في كرسي ليجلس عليه الرضيع اذا اراد التبرز (عق).

حِضانه، بالكسر وبالفتح، رعاية الطفل وتدبير شئونه. وتتضمن معنى الولاية عليه ايضاً. وحَضَنته تحضُنه حضناً :رعته وربته.

دار الحِضانة مؤسسة تتولى رعاية الاطفال عند غياب اهلهم في العمل(محدثة).

مربية امرأة تتولى العناية بالطفل نيابة عن امه.

مَرْبى محل الربابة والنشأة. مستحدث في لغة الكلام.

حاضنة مربية

داية حاضنة ، مربية، من الفارسية قديمة التعريب. الفرزدق:

ربيبة دايات ثلاثٍ رَبَيْنها

يلقّمنها من كل سُخْنٍ ومُبْرَدِ

دادة حاضنة. داية. تركية. من المعرب في الاوان العثماني.

تربية يراجع قاموس الثقافة.

- ٣ -

ملاعبته وتسكينه

هَدْهَدة تهزير الطفل بلطف لتنويمه او اسكاته اذا بكى. وهدهدته تهدهده.

تهدين تسكين الطفل وارضاؤه ليهدأ أو ينام.

وهدّنته هي وهَدَن هو هُدوناً. جذره دال على السكون ومنه الهدنة في الحرب

رّبتت الطفل تربّته تربيتاً ضربت بيدها على جنبه بلطف لينام. ويستعملها بعض المعاصرين متعدية بـ على.

ترقيص اختصه مجمع القاهرة بالاطفال. ورقّصته ترقّصه

زَهْزقة ترقيص . **وزهزقته:** رقّصته.

هشّك الطفل رقّصه (مص) لم أقف له على جذر في الفصيح.

ثغثغ الطفل في الشيء: عضّضه قبل أن تنبت اسنانه. المصدر: **ثغثغة**

خَبَع الطفل يخبَع خُبوعاً: بكى حتى انقطع صوته. وفي (عق): **فَحَط** من جذر سامي اقدم. وفي العبرية **فحد** بمعنى الخوف والفزع.

تِلولي، بامالة الواو، تنوم طفلها بترديد كلمات رقيقة مرتلة(عق) فعل شبيه بالفعل الانجليزي lull الذي يفيد التهدئه والتنويم. ويصعب القول باشتقاق العامي منه لان مفردات الطفولة في العامية لا تحمل تأثيرات اجنبية ملموسة لعدم تأثر وسائل الرعاية والحضانة بالاساليب الاوربية. وارجح انها منقولة من فعل مشتق من الليل مثل ألْيَل اي دخل في الليل ولايل تعامل معاملة ليلية.

دُرِّيجة اداة تمشي على عجلات يقبض عليها الطفل ويدفعها ليتعلم المشي.(سط) تصغير درّاجة. وهي **الحَجْلة في(عق)** اشتقاق من حجَل يحجل اذا رفع رجله عند المشي وتريث في الاخرى وهو مشي الطفل في اوله. والدريجة والحجلة تعمل اليوم باشكال وهيئات متنوعة

الكتاب الثاني

الزواج

الباب الأول

مفردات زواج

زواج اقتران الذكر (الزوج) بالانثى (الزوجة). وتعريفه اجتماعياً: "المؤسسة التي يجتمع فيها الزوج والزوجة بارتباط خاص اجتماعي وشرعي لتأسيس عائلة وصيانتها". وبهذا التعريف يخرج من الزواج المساكنة والسفاح (انظرهما تالياً) لكن السفاح قد يدخل ضمنها إذا اقتصر معناه على عدم شرعية العقد في مجتمع دون آخر مثل سفاح القربى.

زِيجة عقد الزواج. وهيئة الزواج. ج زيجات

تزاوُج حصول الزواج بين جماعتين يتزوج بعضهم من بعض

نِكاح زواج

تناكُح تزاوج

بُعولة زواج. واستبعل: تزوج، صار بعلاً أي زوجاً.

تباعُل في المخصص: تباعل القوم تزوج بعضهم في بعض. **وباعل بنوفلان بني فلان: تزوجوا فيهم.**

الباب الثاني

أشكال الزواج

تعدد الزوجات ترجمة حرفية للمصطلح الأجنبي polygamy والمراد زواج الضرائر أي الزواج بأكثر من واحدة.

نِكاح الرَهط تعدد الأزواج. زواج المرأة بأكثر من رجل واحد في وقت واحد. يقابل المصطلح الأجنبي polyandry . ومن تفرعاته نِكاح الرهط الأخوي fraternal p. وهو اشتراك الأخوة في زوجة واحدة. وهو مرحلة متقدمة على نِكاح الرهط الأولي البدائي.

النسبة إلى نكاح الرهط في الانجليزية: polyandric ترجمها المورد إلى عبارة: "ذو علاقة بتعدد الأزواج". والقياس: رهطي، polyandrous وترجمه المورد إلى "متعددة الأزواج في وقت واحد". والقياس: رهطية

ملحوظة: وضع العلايلي ضِمْد والعصري ضماد لنكاح الرهط. والضمد هو اتخاذ المرأة أكثر من صديق فهو يشير إلى تعدد الخلان والأخدان لاتعدد الأزواج

زواج المُتعة، بضم العين وكسرها، زواج موقت.

تفشَّل زواج الأباعد. التزوج من غريبة. **وتفشّل** فلان: تزوج غريبة فهو **مِفشل** وهم مفاشل.

زواج الأقارب التزوج في الأقرباء. ويدخل في مفردات هذه المادة **الاضواء** يقال: **أضوى** الرجل أي وُلد له ولد ضاوٍ لتزوجه من قريبته. ومنه الحديث: "اغتربوا لا تَضْوَوْا" أي تزوجوا الغريبات حتى لا يكون أولادكم ضاوين. وسبب ذلك أن زواج الأقارب قد ينقل الصفات الوراثية السلبية من الجهتين حسب الرأي السائد لدى الوارثيين المعاصرين. ومن مفردات الزواج الأقاربي **ضَعَل** وهو دقة البدن بسبب الزواج من قريبة . ويراد بدقة البدن تعوق النمو. **وضَعِل** يضعَل: دق بدنه من تقارب النسب.

شِغار زواج بلا مهر يكون بأن يتفق رجلان على أن يتزوج كل منهما قريبة الآخر ولا يُد فع لهما مهر. من زيجات الجاهلية. وقد **شاغر** يشاغر **مشاغرة وتشاغرا** هما.

نِكاح المَقت أن يتزوج الابن زوجة أبيه بعد وفاته. من زيجات الجاهلية وأبطله الاسلام. **والمقتي** من يتزوج زوجة أبيه بعد وفاته وهو أيضاً للولد الذي يولد من زواج المقت. والاصطلاح في الآية" / نساء:" ولا تنكحوا ما نكحَ آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشةً ومقتاً وساء سبيلاً " ويقول المفسرون أن ذوي المروءات من الجاهليين هم الذين أطلقوا هذا الاسم على هذا النكاح. ومما يلحق به: **ضَيزَن** وهو المتجرئ على زوجة أبيه. أوس بن حجر:

والفارسية فيهم غير منكرَةٍ

فكلهم لابيه ضَيزَن صَلِفُ

استبضاع مضاجعة الزوجة رجلاً آخر بموافقة

الزوج للحصول على ولد يحمل صفات مطلوبة تتوفر في ذلك الرجل كالفروسية. عادة زاولها بعض الجاهليين ومن بعدهم بعض سكان آسيا الوسطى مع الفرسان العرب للحصول على أبناء يحملون صفات أولئك الفرسان. وسمي هذا **استفحال.** وكلاهما من الزنا المحرم في الاسلام. والاستبضاع والاستفحال ليسا من أبواب النكاح لكنهما يردان في المصادر بوصف نكاح تجوزاً. الاستبضاع استفعال من البُضْع ويرادف زواج وجماع. والاستفحال من الفحولة.

نِكاح البَدَل أن يتبادل الرجلان زوجتيهما. وكان عند بعضهم في الجاهلية فأبطله الاسلام.

إهتِجان اهتُجنت البنت، على المبني للمجهول، افُتضت قبل البلوغ. **واهتَجنت** هي، على المعلوم تزوجت صغيرة فهي **مهتجِنة.** والمصطلح هو **الهاجن** ومنه المثل: "جلَّت الهاجن عن الولد" لأنها غير بالغ فلا تلد. **وأهجنها** وليها. و **أهجنهم** أهلهم: زوجوهم صغاراً، للاناث والذكور. ويستقل تزويج الذكر صغيراً بالفعل: **إلْتَبأ** ابنَه، أي زوجه صغيراً لأجل النسل.

كُورة، بضم الكاف، زواج بالجملة مخفض المهر. (سدن) وفي جذر الكلمة كَوز بالفتح للقطيع الضخم من الابل والقطيع من البقر، وكُور بالضم لبيت الزنابير. والعراقيون يقولون كُورة.

جمع الأختين أن تكون ين الضرائر أختان في وقت واحد. من الزواج المحرم في الاسلام وجمَعَ حاكم الموصل قرواش العقيلي ين أختين فقيل له هذا لا تقره الشريعة فقال: وأي شيء من أفعالنا تقره الشريعة؟

زواج الأكْفاء: عدم تزويج العربية من الأعجمي. كان في الجاهلية وعمل به الأمويون في خلافتهم حتى عمر بن عبد العزيز الذي أبطله. وأقره بعض الفقهاء من أهل السنة وأبطله الخوارج والشيعة والمعتزلة.

مُساكنة: زواج غير شرعي. بلا عقد . (مستحدث) أورده الياس انطون الياس في القاموس العصري مقابل co-habitation وهو من باب السفاح

بيت شرعي مسكن مستقل تحكم به المحكمة الشرعية للزوجة إذا تضررت من مصاحبة أهل الزوج وحدث ما ينغّص الحياة الزوجية. والسكن المستقل من حقوق الزوجة في الشريعة.

عُمْرة زواج الرجل في بيت أهل زوجته واقامته عندهم. ويسميه الأنتروبولوجيون الانجليز matrilocal حرفياً: **سكن أمومي.ويقابله سكن أبوي** patrilocalلاقامة الزوجة مع أهل الزوج. ومن هذا القبيل **سكن خؤولة** للاقامة في بيت خال الزوجة anunculocal من زيجات بعض الأقوام في افريقيا واستراليا.

sororate مصطلح يفيد الزواج من أخت الزوجة المتوفاة. معناه الحرفي: **زواج الأخت** لم تضع له المعاجم المتخصصة مقابلاً عربياً.

levirate أن تتزوج زوجة الأخ المتوفى من أخيه. ويقع ذلك غالباً مع وجود أطفال من الزوج المتوفى لضمان رعايتهم على يد أخيه. وقد كثرت هذه الزيجات في العراق في عقدي الثمانينات والتسعينات بسبب توالي الحروب طيلة هذين العقدين. معناه الحرفي **زواج الأخ** ولم تتضمنه المعاجم المتخصصة .

قَنْجَرة زواج الاختطاف. مصطلح سوداني يقابل المصطلح الأجنبي kidnaponaniage ينظر إلى **القُنجور** للرجل الصغير الرأس الضعيف العقل.

زواج الأكان نسبة إلى معشر أكان من المعاشر البدائية المعاصرة. ويجري فيه جميع الاجراءات من خطوبة وتلبيس ولكن بدون زفاف اذ يبقى الزوجان كل عند اهله وتقوم الزوجة

بزيارة زوجها ليلاً وتعد له الطعام من بيت والديها. ويقوم الزوجان معاً برعاية الأولاد الذين يظلون في حوزة والدي الزوجة أو أخوتها. ويسمي الأنتروبولوجيون هذا الزواج: dualocal حرفياً: سكن ثنائي أو سكن مزدوج.

زواج تروبرياند نسبة إلى جزر تروبرياند. زواج اعتيادي غير أن رعاية الأولاد تكون على أهل الزوجة.

زواج تعاقدي زواج يُنص فيه على الحقوق الجنسية للزوجين، ومدته تحدد في العقد فيبطُل بعد انقضاء الأجل أو يُجدد. فهو شبيه بزواج المُتعة. معروف عند الغربيين في الوقت الحاضر.

زواج التأرجح swinging marriage من الزيجات الغربية في الغرب لا سيما الولايات المتحدة وفيه يتبادل الزوجان العلاقة الجنسية مع زوجين آخرين أو أكثر باتفاقهما

زواج مفتوح من زيجات الغربيين يكون بين اثنين يتفقان على حق كل منهما باقامة علاقة جنسية مع طرف آخر. وهذا كالسابق.

جَنْبَقَة اتفاق كليهما على الزواج رغم اعتراض الأهل وهروبهما إلى مكان آخر ليتزوجا (سدن) توليد من جُنْبقة بالضم للمرأة السيئة السلوك.

عَضْل وتعضيل منع الرجل ابنته أو أخته من الزواج. ويرادفه **العُضْرة** في المصطلح الفقهي وهي محرمة. وفي سورة البقرة "فلا تعضُلوهن أن ينكحن أزواجهن". وفي (عق). **نَهْوة** وهي أن ينهى قريب المرأة عن زواجها من غريب لأنه أحق بزواجها فيتقدم لها فإذا رفضته كان العضل وهو المنع من الزواج بتاتاً. والنهوة فَعْلة من النهي. وهي **الحيار** في البادية ونواحي الشمال الغربي من سورياً فَعال من الحيرة.

سِفاح ومسافحة اقتران زوجين بعقد غير صحيح. يقال: تزوج بالمرأة سفاحاً أي بغير سنة ولا كتاب. وفي "دعائم الاسلام" لأبي حنيفة الاسماعيلي أن الرسول مر ببيت فسمع عزفاً فقال: ما هذا؟ قالوا: يارسول الله نكحَ فلان. فقال: كمل دينه. هذا النكاح لا السفاح ولا يكون نكاح في السر حتى يرى دُخان (كناية عن الطبخ للوليمة) او يسمع حِس دف. وقال: الفرق ما بين النكاح والسفاح ضرب الدف. والغرض هنا أن السفاح يكون في السر لأنه غير شرعي ولذلك اشترط الاعلان عن الزواج لدفع الريبة.

وسِفاح القربى عند الأنثروبولوجيين زواج المحارم، التزوج من الأخت أو الأم أو البنت.

ملحق بالبابين

مفردات وأفعال

عِصْمة في اللسان: "يقال بيده عصمة النكاح أي عقدة النكاح" وينسب لعروة بن الورد:

☆ إذاً لملكتُ عصمة ام وَهْبِ☆

وفي المصطلح الشرعي رباط الزوجة. يقال: فلانة في عصمة زوج وفلانة لا تزال في عصمته أي أنها زوجته الشرعية ولم تَطْلُق منه.

مَسيكة امرأة يتخذها الرجل من غير عقد شرعي. (مولد) وهو من باب السفاح.

تسالفَ الرجلان وتظاءبا تزوجا أختين وهما **ظَأبان وسِلفان وعديلان**. ويقال: **تزوجا بالمظاءبة**.

تقاصُوا تزوج كل منهم أخت الآخر. (مغ) والمعنى في قول العراقيين: **قُصّه بقُصة**، والقُصة هي الناصية.

تسنَّتَ فلانة: تزوجها وهي أكرم منه لكثرة ماله وقلة مالها. قياسه اللفظي من السَنّوت مصطلح عام يشمل الزبد والجبن والعسل ومواد غذائية أخرى.

تسَرى وتسَرر اتخذ له سُرِّية. وهي الجارية تعاشر معاشرة الزوجة حسب نظام الرق.

الباب الثالث

اجراءات الزواج وطقوسه

خُطوبة طلب الرجل يد المرأة (مستحدثة) وفصيحها خِطبة بكسر الخاء، غير مستعمل.

خَطِيبة وخَطيب المخطوبان من الجنسين. محدث أقره مجمع القاهرة.

خاطِب من يتقدم لخطوبة المرأة. وقد تكون الخطوبة له أو لغيره ومثال الأولى قول الحارث بن سَليل الأسدي في خُطوبة: "جئتكَ خاطباً وقد يُنكح الخاطب" ومثال الثانية المثل: "أرسلتُه لي خاطباً فتزوج" وقول العامة "جاء الخَطّابة يخطبون فلانة لفلان" والخطّابة جمع خاطب. والخَطّابة عندهم أيضاً هي المرأة التي تتولى الخطوبة نيابة عن الرجل. وجمع الخاطب بالمعنيين خُطّاب. وفي حديث عدة سبيعة" أنها تجملت للخُطّاب" أي لمن سيأتون ليخطبوها. وهم بين خاطب لنفسه وخاطب لغيره.

وترد **خاطب** في لغة الكلام لمن له خطيبة، وهي **مخطوبة** أي لها خطيب. وهذه من الفصيح.

يقولون: "فلان خاطب" بمعنى عنده خطيبة. و"فلانة مخطوبة" أي عندها خطيب.

. قول الحارث: وقد ينكح الخاطب إذا قرئ على البناء للمجهول فهو من أنكحه: أي زوجه وإذا قرئت على البناء للمعلوم واللزوم أفادت: يتزوج . من قولهم نكحَ فهو ناكح أي تزوج فهو متزوج.

اختطاب عرض المرأة على الرجل من قبل ذويها أو من له علاقة بها. يقال: اختطب القوم فلاناً: دعوة إلى تزوج صاحبتهم.

تَلبيسة تقديم هدية الخطوبة للمخطوبة لتثبيتها رسمياً (سط)

نيشان تلبيسة. (عق) من التركية. ومن أغانيهم:

☆نيشان الخطوبة اليوم جابوا لي☆

عقد القِران، بكسر القاف، اجراء عقد الزواج وهي في (سط) و(مص): **كَتْب الكتاب** من المحدث قديماً وردت عند ابن كثير في "البداية والنهاية" حوادث ٤٥٦ هـ.

إكليل عقد القران عند المسيحيين العرب.

تقديس الخطوبة عند اليهود العرب، وتعتبر ركناً في صحة الزواج وتكون بهدية تقدم لها يداً بيد بحضور شاهدين.

كَتوباه كَتْب الكتاب عند اليهود عموماً. (عبرية) ويأتي بعد التقديس.

عَروس الزوجة في أيام التقائها الأولى بالزوج. وأصلها لكليهما ثم استقلت بالدلالة على

المرأة. وشاعت **عَريس** المولدة للرجل، بالفتح والتخفيف، **وعِرّيس** بالكسر والتشديد في بعض اللهجات. ويقال **عروسان** لكليهما. ويجمع **عَريس** على **عِرسان** وعروس على **عرائس** والأخير قد يشمل الجنسين. والعروس أصيلة في العربية والساميات ومنها أخذت الكلمة الأوروبية eros ومشتقاتها الدالّة على الحب والجنس.

ليلة الحِنّا الليلة التي تتم فيها الجَلوة وتسبق في العادة ليلة الزفاف (عامية) نسبت إلى الحناء لأنها كانت المادة الأساسية في التجميل.

عُرْس مهنة الإملاك والبناء حسب اللسان. وتتضمن: (١) انتقال العروس إلى بيت العريس. ومن هنا جعلها ابن الأعرابي خلاف العُمرة وهي انتقال العريس إلى بيت العروس (انظر زفاف). (٢) الاحتفال بالتقاء الزوجين. ولذا أطلقها القدماء على وليمة الزواج. ويستعير المعاصرون جمعه **أعراس** للمناسبات الحافلة كقولهم: أعراس الوطن وأعراس النصر...

زِفاف، بكسر الزاي وبعض المعاصرين يفتحها، اهداء العروس إلى العريس. وفي تعريف الوسيط: "نقلها من بيت أبويها إلى بيت زوجها". وبهذا المعنى فهو يرادف العرس ويخالف العُمْرة. ولذلك يقولون: **زُفّت** إليه العروس ولايقولون: زفوه إلى العروس. ويستعمل المعاصرون كلاً من العُرس والزِفاف في معنى الالتقاء والاحتفال به. والفعل زف عندهم مشترك للعروسين، فيقولون: زفوه وزفوها وزفوهما. وكثيراً ما يتم الزواج اليوم بالسفر إلى مكان قريب أو بعيد لقضاء **شهر العسل** ويكون الزفاف عندئذ ايصالهما باحتفال إلى مكان اللقاء إن كان قريباً أو مكان السفر إن كان الملتقى بعيداً.

زفّة زفاف. تكثر في العامية. وأوردها الوسيط مصدراً مرادفاً للزفاف. وفي الأمثال البغدادية: "مثل الأطرش بالزفة" يُضرب لمن يجهل أمراً يكتنفه ويحيط به لأن الأطرش لا يسمع شيئاً من الضجيج الهائل الذي تتم به الزفة في المعتاد.

دُخلة، بالفتح وبالضم، دخول العريس على العروس ليلة الزفاف. وليلة الدخلة هي ليلة دخوله عليها. (مولد) ويلفظها العراقيون بتفخيم اللام فتتمايز عن الدخلة بالمعنى العام للدخول.

أعرس:في اللسان: "أعرس فلان اتخذ عُرساً وأعرس بأهله إذا بنى بها وكذلك إذا غَشِيَها." فالإعراس جامع للدخلة والاحتفال بالتقاء العروسين. **وعرّس**: اعرس، عامية قديمة، جاء في اللسان "لا تقل عرّس والعامة تقولها ونص التاج على عاميتها. وهي اليوم في عامية زماننا.

جهّز العروس أعدّ لها جِهّازها. ويقول العوام: **جهّزوا لها** فيعدونها بحرف الجر ويعطيها ذلك تمايزاً عن المعنى العام للتجهيز

عُرسية من يقومون بأعباء العرس ويصاحبون العروسين في انتقالها إلى بيت الزوجية (مولد في المحيط) وهم **الزّفافة** في (عق).

إشبين مرافق العريس والمتولي لأموره (محدثة) عن السرياني.

إشبينة مرافِقة العروس. ويسميها العراقيون **سَرْدوج** من سرده الفارسية وهذه لها عدة معانٍ منها رئيس صحبة اللهو. ومنها ولدوا المعنى العُرسي.

نَكّافة التي ترافق العروس إلى بيت زوجها وتتولى الحديث باسمها. (مغ) من نقّافة الفصيحة وهي الحريصة على السؤال المكثرة منه.

فارِدة عروس تتزوج في غير قريتها أو عشيرتها. فهي كالنزيعة. ويطلق الاسم أيضاً على الزفّافين الذين يذهبون لأخذها من موطنها إلى موطن زوجها (فلسطينية)

ملحق بالباب

-١- ما يُقدَّم للزوجة من حقوق وهدايا

مَهْر المال الذي يخصص للمرأة في عقد الزواج. ج مُهور. ومهر مبلَّت: مضمون وفي المخصص:

☆وما زُوِّجت إلا بمهر مبلَّت☆

سِياق مهر. مأخوذ من قولهم "ساق إليها مهرها سياقاً" حين كان المهر من الابل والغنم ثم اتخذت معنى المهر عموماً. ويستعملها العراقيون بهذا المعنى العام.

صَداق وصِداق مهر. تتردد مع المهر في كتب الفقه وهي في لهجات المغرب.

معجَّل مهر معجَّل أو **عاجل** هو المدفوع فعلاً للزوجة في أول الزواج ومهر **مؤجل أو آجل** وهو جزء من المهر يؤخر دفعه إلى حين المطالبة به. ومن المعتاد أن يُدفع للمرأة بعد الطلاق

بائنة ما يكون مع العروس المسيحية من مالها وجهازها عند الزفاف. ولها أحكام في نظام الزواج عند المسيحيين.

شَبْكة، باء ساكنة، هدية الخطوبة (مص) لعل أصلها أنه حين يخطبها يكون قد شبكها بنفسه. ويقول المصريون في التعبير عن الحب "شبك قلبي".

صُبْحيّة هدية العروس من أهل زوجها صبيحة الزفاف (عق،سط) وهي في (مغ) **تَصبيحة**

نُقوط، بضم النون، هدية العروسين من الأقارب والأصدقاء. **ونقّط** العروس: أعطاها النقوط. فى المحيط عامية وفي الوسيط مولدة.

حُلْوان جزء من المهر كان بعض الجاهليين يأخذونه اذا زوجوا بناتهم. وكانت العرب تعّير من يأخذه. قالت امراة تمدح زوجها:

☆ لا ياخذ الحلوان من بناتنا☆

مُتعة بضم الميم، هدية تعويضية تقدم للمطلقة تكون واجبة حسب الشرع اذا طلقها قبل الدخول بها ، ولم يكن قد سمى لها مهراً، ومستحبة في الحالات الاخرى.

رُضْوة، بضم الراء، مُتعة (سدن) تستعمل فيها مع المصطلح الشرعي مُتعة.

خاتم الخطوبة خاتم على شكل حلقة يلبسه الخطيبان في البِنصِر اليمنى ثم يحولانها بعد الزواج إلى اليسرى يسميه الاكثرون **حَلقْة** ويسميه المصريون **دِبْلة** بكسر الدال. وأصل الدبلة اللقمة الكبيرة والكتلة من الشئ.

-٢-

مفردات وأفعال

خطَب المرأة يخطُبها

كتَب الكتاب **وعقَد القِران**

لبّسْها: فعل التلبيسة لتثبيت الخطوبة رسمياً (سط). وفي(عق) **نيْشَنْها**.

أمهر المرأة يُمهرها: خصص لها المهر وسماه لها.

مأذون موثِّق عقود الزواج والطلاق.

تزوج هو وتزوجت هي ـ **تزوجاً**.

تزوجها وتزوج بها يتزوج وتزوجته هي وتزوجت به. وهذه دارجة عند المعاصرين وتزوج في القوم الفلانيين: تزوج إمرأة منهم.

زوّجوها وزوّجوه تزويجاً. **وتزاوجوا** هم

تزاوجاً تزوج بعضهم من بعض.

نكَحَها ينكَحَها وينكِحها: تزوجها.
وأنكَحه إياها: زوجه بها.

وفي القرآن: وأنكِحوا الأيامى منكم والصالحين من عِبادكم وامائكم: زوجوهم.

ونكَحَت هي: تزوجت فهي **ناكحة وناكح** وهو ناكح: امية ابن أبي الصلت:

لله در أبي علي ايمٍ منهم وناكح.

وتناكحوا: تزاوجوا.

استنكح المرأة: طلب نكاحها. واستنكح في بني فلان: تزوج فيهم.

تبعّلت تبعّلاً: اعتنت بزوجها وتزينت له وأحسنت معاشرته. وفي الحديث: "جهاد المرأة حسن التبعل". قال السيوطي في اللئالئ المصنوعة أنه حديث موضوع. ومفاد التبعل في الحديث هو الزوجية وأداء حقوقها هو حسن التبعل.

مزواج: كثير أو كثيرة الزواج. والمزواج يستدعي المطلاق (انظرها في باب الطلاق)

الباب الرابع

فك الزواج

طَلاق فك العلاقة الزوجية بالفاظ مخصوصة. والطلاق عند المسلمين طلاقان: **رجعي** يجوز فيه رجوع الزوجة إلى الزوج إذا طلقها أولاً وثانياً. **وبائن** إذا طلقها للمرة الثالثة أو في حالات بينتها كتب الفقه. ولا ترجع إليه إلا بعد أن تتزوج زوجاً آخر فيطلقها ويتزوجها عندئذ بعقد جديد.

خُلْع، بضم الخاء، طلاق الزوجة للزوج في الشرع الاسلامي ويكون مقابل تنازلها عن المهر أو دفعها تعويضاً للزوج.

مخالَعة، خُلْع.

بَيْنونة انفصال الزوجة بالطلاق أو المخالعة. ولها أحكام في قوانين الأحوال الشخصية.

مطلَّقة المرأة التي طُلِّقت من زوجها. وهي صفة لازمة تختص بها بعد البينونة. وتستعمل **طالق** عند انتهاء اجراءات الطلاق فيقال: هي الآن طالق. وفي خطابه لها: أنتِ طالق. ج. طوالق.

مطلِّق الزوج الذي انفصل عن زوجته بالطلاق.

نُشوز رفض الزوجة للزوج أو رفض الزوج للزوجة. وتترتب عليه أحكام في القوانين الشرعية. والناشز لأي منهما. وتغلب اليوم على المرأة.

خالِع، المطلِّق والمطلَّقة بخلع.

مِطلاق، رجل كثير الطلاق لا يثبت على زوجة.

نَفَقة، ما تستحقه المطلَّقة من المطلِّق عدا المهر والمُتعة إذا كانت حاملاً أو ذات ولد قاصر، أو في مدة العدة للمطلقة طلاقاً رجعياً. مصطلح قضائي يخص الأحوال الشخصية.

ظِهار، بكسر الظاء، قول الزوج للزوجة في حالة غضب أو خلاف: "أنت علي كظهر أمي" وعندئذ تَحْرُم عليه حتى يقدم كفّارة.

لِعان، بكسر اللام، قضية يتهم فيها الزوج زوجته بالخيانة وليس له شهود فيشهد أربع شهادات بالله أنه صادق والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان كاذباً. وتشهد هي أربع شهادات بالله أنه كاذب وشهادة خامسة إن غضب الله عليها إن كان صادقاً. ويقع بعدها التفريق بينهما. مع اسقاط عقوبة القذف عنه وعقوبة الزنا عنها. وقد **تلاعنا** يتلاعنان ملاعنة.

إيلاء، أن يُقسم الزوج في حالة غضب أو خلاف بأن يهجر زوجته فيتركها مدة إذا تجاوزت الأربعة أشهر فلها مقاضاته بالعودة إلى فراشها أو

تطليقها. من قولهم: آليت ان افعل أوْلا أفعل كذا. أي أقسمت وتعهدت...

ملحق بالباب
مفردات وأفعال

طلَّق زوجته يطلقّها تطليقاً وطلقها تطليقة واحدة وطلُقت تطلُق صارت طالقاً

اختلعت المرأة من زوجها وخلَعها هو: فعل الطلاق فيما يخص المرأة في الشرع الاسلامي.

تَخالعا: اتفقا على الطلاق. **وخالعته** هي طلبت الاختلاع **وخالعها** هو.

بانت تَبين بينونة: طلُقت. وفي أخبار الحجاج أنه أرسل رجلاً ليطلق احدى زوجاته بكلمتين فقال لها: كنت فبِنتِ فقالت: كنا فما حمِدنا و بِنّا فما ندمنا.

المحلّل من مصطلحات الطلاق في الفقه السني ويكون بعد الطلاق ثلاثاً. والشريعة تمنع الرجوع بعد الطلاق الثالث إلا إذا تزوجت المطلقة من آخر ثم طلقها فعندئذ تصح لها العودة إلى زوجها الأول بعقد جديد. وكان هذا تدبيراً لردعهم عن التوسع والاسفاف في الطلاق. وعند بعض أهل السنة أن الطلاق يكون بائناً إذا قال لها بلفظ واحد: "أنت طالق ثلاثاً"، فتحرم عليه ما لم تتزوج من آخر ثم يطلقها. ولحل هذا الاشكال يعقد عليها بعقد شكلي من رجل آخر ثم يطلقها قبل أن يمسها فتحل لزوجها الأصلي. ويُسمى القائم بهذه الحيلة الشرعية محلّل. وفي العراق تسمى الحيلة **تجحيش**. وقد **جحّشها** يجحّشها. ويحدث في حالات أن **المجحّش** يتمسك بالمرأة ويرفض تطليقها، فتصبح زوجته الشرعية لأن العقد تتوفر فيه أركانه المطلوبة ولو أنه يتم باتفاق مُسْبق مع المجحش.

آلى من زوجته **يُؤْلي**: أقسم لا يمسها. وفي القرآن: "للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر.."

نَشَزت عليه ونشز عليها ينشِز وينشُز: رفضته أو رفضها. وأصل النشوز الارتفاع وكأن أحدهما استعلى على صاحبه فكرهه وأراد فراقه.

ظاهَر من امرأته **يُظاهر**: قال لها أنت علي كظهر أمي.

تفاخُت، تطالُق. طلاق جماعي متقابل بين العوائل من عشيرتين. من مصطلحات البوادي المشرقية. ويكون عند وقوع نزاع تتصدع به العلاقة بين العشيرتين. ينظر إلى الفَخْت في احد معانيه وهو القطع فكأنهم أرادوا التقاطع فقالوا تفاخت

مهجورة، امرأة هجرها زوجها فلم يعاشرها ولم يطلقها. تتردد على لسان العامة. وأصل الهجر في القرآن وهو أن يهجرها في منزله إذا نشزت فيترك مضاجعتها للضغط عليها، والمهجورة هي المطرودة من بيتها تعسفاً. وهي كالمعيوفة

الباب الخامس

مفردات الوضع الزوجي

عَذْراء امرأة لم تُفتض. ج عذارى وعذراوات

عُذرة، بضم العين، حالة العذراء، البَكارة.

بِكر، بكسر الباء، عذراء. ج أبكار

بكارة، بالفتح، عُذرة. والغشاء في مثلث عشتار قبل الافتضاض.

بَتول: عذراء. من المفردات الموغلة في القدم. فهي في الأكدية بَتولتو. وفي الأرامية بَتولا. وأخذت في العربية والسريانية معنى العذراء المتطهرة المنقطعة إلى الله ولذلك لقبت بها مريم.

مُحْصَنة ذات زوج، متزوجة، وهو مُحْصَن: ذو زوجة، متزوج. من **الإحصان** ويعني تحصين الانسان عن الزنا بالزواج.

ثَيِّب غير عذراء. ج ثَيِّبات في القرآن: "ثيباتٍ وأبكارا"

مشغولة امرأة مشغولة أي متزوجة أو مخطوبة. وفي خبر زواج شريح سأل أم الفتاة: أفارغة أم مشغولة؟ فقالت بل فارغة. والكلمة في (سدن).

عزب الجذر الدال على عدم الزواج وله اشتقاقات وصياغات مختلفة في المعاجم نثبتها مع التنبيه إلى المستعمل منها والمستجد في العربية الحديثة:

لغير المتزوج: **عَزبَ وعازب وأعزب**. والأخير تقول المعاجم أنه لا يصح أو قليل. وهو كثير في العامية الحديثة. ويستعمل الكتاب عزب وعازب. والعَزّب لكليهما واستعملوا **عازبة** تأنيثاً لعازب. وللمرأة يستعمل العوام عَزَبة و**عَزْبا والأخيرة من عزباء. والجمع لكليهما عُزّاب** ويجمع الكتّاب عازبة **عازبات**

عُزوبة حالة العُزّاب. عدم الزواج. والعُزوبة لمن لم يتزوج أصلاً ولمن تزوج ثم فقد الزوج أو انفصل عنه.

مِعزابة من طالت عزوبته حتى ليست له في الزواج حاجة.

عانس عذراء تأخر زواجها. ج. عوانس.

أيِّم غير المتزوجة. وتعم العَزَبة والعانس والعذراء والأرملة والمطلقة. وأصلها للرجال والنساء ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

لله در أبي علي ... أيِّم منهم وناكح

أي غير المتزوج والمتزوج.

واستعملها القرآن لكليهما جمعاً: "وانكحوا الأيامى منكم.." ويغلب استعمالها على المرأة.

وفي الأساس: "هي أيّم مالها قيّم". وفي حكم الايم **الباهل والباهلة** وهي الايم التي لا ولد لها أي أنها المنقطعة بلا زوج ولا أولاد. وفي قول الكميت:

فتلك امور الناس اضحت كانها
امورُ مضيعٍ آثر النوم، بُهَّلُ

بهل هنا صفة لأمور الناس ومراده: مهمَلة مضيَّعة والابهال الترك والاهمال.

أرملة التي مات زوجها. ج. أرامل. وهي **الراجع** أيضاً ولكنها تخص من ترجع إلى أهلها بعد موت زوجها. هكذا وردت في المعاجم. وتقال للمطلقة التي ترجع إلى أهلها أيضاً. ومن البيّن أن الصفة متوقفة على وجود أهل ترجع إليهم. وبخلافه فهي الأرملة أو المطلقة من غير قيد رجوع.

هجّالة في (مغ): عَزَبة خالية من الرباط العائلي. جذر هجل يفيد الهَوَج والاهمال والحمق والتعرض للرجال..

مُعلَّقة امرأة فقد زوجها وجُهل مكانه فلا هي ذات زوج ولا هي أيّم. وحكمها في الشرع الانتظار مدة معلومة تكون بعدها في حل من الزواج بآخر.

مُغيب ومُغيبة، بضم الميم، امرأة غاب زوجها إلى مكان معلوم على أن يعود من غيبته في وقت ما، معلوم أو غير معلوم. وفي الحديث: "أمهلوا حتى تمتشط الشَعثة وتستحدّ المُغيبة" توجيه بابلاغ الزوجة المغيبة بعودة الزوج حتى تستعد لاستقباله بزينتها التي يحب أن يراها فيها.

لَفوت، بفتح اللام، امرأة لها زوج وولد من غيره.

بَروك، فتح الباء، امرأة تزوجت وولدها بالغ كبير.

مِثفاة امرأة منحوسة يموت من يتزوجها. والمِثفى من تموت زوجاته. وأصلها من تموت له أو لها ثلاثة. من الاثافي وهي ثلاثة وعممت على المنحوسين منهما بصرف النظر عن عدد موتاهما. وقد مات لعاتكة بنت زيد ثلاثة أزواج.

بايرة: بنت يتأخر زواجها ويقل أو ينعدم خطابها (عامية) من البوار وهو الكساد في أحد معانيه. وتختلف عن العانس في أن العانس قد تُطلب وتُخطب ولا تتزوج لسبب منها أو من أهلها أو أي سبب آخر. والبايرة هي **التريكة** في الفصحى.

نزائع المتزوجات في بلاد الغربة فهن ينزَعن إلى أهلهن وبلادهن. عمر بن الخطاب: "يا بني السائب أنكم قد أضويتم فانكحوا في النزائع" أضويتم لزواجكم من القريبات فتفشلوا وتزوجوا الغريبات.

صَرورة وصارورة الممتنع عن الزواج تبتلاً. لكليهما. وفي الحديث: "لا صرورة في الاسلام" نهي عن التبتل والترهب. والصرورة في الشعر المنسوب للنابغة:

فلو انها عرضت لا شمط راهبٍ
عبدَ الاله صرورةٍ متعبِّدِ

ونُجل النابغة عن هذا الشعر المفكك الركيك ولولا شاهده على الصرورة لما رويناه.

حظيّة ومحظيّة المفضلة من بين السراري. وقد تقال للزوجة المفضلة من بين الضرائر. وإلى الأولى يشير صعلوك من القرن الرابع يشكو من الجوع:

نفسي تحن الى الهلامِ
الموت من دون الهُلامِ
هذا لأولاد الخطايا
والبغايا والحرامِ

ربة بيت زوجة تتولى تدبير شئون المنزل والعائلة ولا عمل لها خارج البيت (مستحدثة)

ملحق بالافعال

عَنَست (المرأة) تعنِس وتعنُس وعنِست تعنَس عُنوساً وعِناساً وعَنَّست: طال مكثها في بيت أهلها بعد بلوغها ولم تتزوج. **وعنّسها** أهلها: عضلوها حتى تأخر زواجها. **والعُنوسة** حالة العانس يصوغها المعاصرون على غرار عُزوبة.

ترمّلت المرأة تترمل **ترمّلاً**: صارت أرملة. وهي **مترملة. ورمّلها**: جعلها أرملة. الصياغات الدارجة عند المعاصرين. والمعاجم على رمّلت وأرملت. ونص المحيط على ترمّلت.

آمت المرأة تئيم **وتأيّمت** تأيُّم: أقامت بلا زوج. **وأيّمها**: صيرها أيّماً. ومنه قولهم: "الحرب **مأيمة** للنساء" أي تُفقدهنّ الأزواج.

تَثيّبت المرأة: صارت ثيّباً. وثُيّبت (على المجهول)

تعزّب فلان وتعزبت فلانة: كانا عازبين. تركا الزواج. ويكون ذلك إذا لم يتزوجا أصلاً أو تزوجا وفقدا الزوج أو انفصلا عنه وبقيا بلا زواج.

الباب السادس

صفات المرأة كأم

مِذكار، امرأة تلد الذكور وخلافها **مئناث**. **ومِعقاب** لمن تلد مرة ذكراً ومرة أنثى.

مِقْلات، المرأة التي لا يعيش لها ولد. شاعر جاهلي:

بُغاث الطير اكثرها فراخاً
وام الصقرِ مقلات نزور

مُتِئم،، من ولدت توأماً **ومِتئام** من تلد التوائم.

خَروس، البِكرْ في حملها الأول

وَلود، كثيرة الولادات. امرأة خصبة. فإن كانت تلد سنوياً وتحبل قبل الفطام فهي **مُغِل**.

ضانئ وضانئة ذات أولاد. من الضَنء وهم الأولاد.

مِنجاب، من تلد النجباء

مِحماق، إمرأة تلد الحمقى. وهذه وما قبلها صفة لاحقة بعد أن يكبر أولادها وتظهر عليهم صفات النجابة أو الحماقة. **وأحمقت**: ولدت الحمقى. قال الشاعر في امرأة يمدحها:

☆ لا احمقت لا ولا ازرت بها عُقَمُ ☆

عائط امرأة ينقطع حملها سنين من غير عقم أو لا تحمل أبداً لكنها غير عقيم. **وتعوطت تعوّطاً** لم تحمل بلا عقم. **والعاقر والعقيم** من لا تحمل لعلة فيها.

خَضيرة امرأة لا تكاد تتم حملاً حتى تسقطه. شاعر:

تزوجتَ مِصلاخاً رَقوباً خضيرة
فخذها على نا النعت إن شئت او دعِ

مُسبِع من تلد لسبعة أشهر. وقد أسبعت.

خَصوف التي تلد في موعدها من الشهر التاسع لا تتأخر ولا تتقدم.

ظِئر وظَئور من تعطف على ولد غيرها وترضعه. ج. أظآر وأظؤر. والاسم **ظِئار**.

مُشْبِل التي يموت زوجها ويترك لها أولاداً فتتفرغ لهم وتأبى الزواج.

مُرضِع امرأة لها رضيع تُرضعه بنفسها. **والمُرضعة** من تُرضع ولد غيرها. ومنه مرضعة النبي حليمة السعدية. وترد مرضعة في نصوص أدبية بدلالة مرضع وليست حجة في ذلك لأن النص البلاغي لا يراعي الدقة في المعنى. ويستعملها المعجميون في شروحهم بهذا المعنى كقولهم: استرضع: طلب مرضعة (وليس مرضعاً).

فاطِم من فطمت رضيعها ولم تعد تُرضعه وهي الفاطمة أيضاً.

رَءُوم التي تعطف على ولدها أو غيره و تلازمه. يقال: الأم الرءوم كما يقال الأم الحنون.

ورأم جذر يدل على مُضامّة وقرب وعطف (مقاييس اللغة).

قاعد، إمرأة انقطعت عن الولادة. وفي القرآن:

"والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً..." والآية تشير إلى المرأة التي ناهزت سن اليأس فلم تعد قابلة للزواج والولادة.

فاقد، من مات زوجها أو ولدها أوحميمها.

ثاكل وثَكلى من مات ولدها وتقال للرجل أيضاً لكن اختصت بالمرأة في الاستعمال.

واله ووالهة ثاكل شديدة الحزن على فقيدها.

ملحق بالباب

أفعال ومفردات ذات علاقة

آنثت إيناثاً: وَلَدت أُنثى وأذكرت وَلَدت ذَكَراً. ومن ادعيتهم للحبلى: اذكرت وأيسرت أي أن تلد ذكراً وتتيسر ولادتها..

أشبلت تُشبل إشبالاً: قعدت على أولادها بعد وفاة زوجها ولم تتزوج.

أتأمت تُتم إتآماً ولدت توائم.

ثكِلَت ولَدها تثكَله **ثُكْلا** وثَكَلاً وثُكُلاً: فقدته. **وأثكلت:** لزمها الثُكل. وثكِلتك أمك دعاء بالهلاك. شعر:

☆ ثَكَلِتك امك ما اعتذراك في غدٍ ☆

وأثكلها: افقدها ولدها. (لينتبه مراجع القاموس إلى أن الولد للذكر والأنثى)

أَنْجَبَتْ تُنجب ولدت ولداً نجيباً. قياس افعل غير المتعدي. وعدّاها علي بن الخليل في العباسي الأول:

يا خير من انجبه والد
لِيَهْنِك الفارس ليث النِزالْ

ويستعملها المعاصرون بمعنى وَلَدت على جهة التكريم لها. ويستعملون **إنجاب** لعموم الولادة.

رئمت ولدها ترأمه **رَأْماً** عطفت عليه فهي رائم ورائمة ورؤوم. والدارج رؤوم

ملحوظة: أوصاف المرأة البيولوجية ووظائفها في قاموس الطب.

الكتاب الثالث

الحب والجمال

الباب الأول

مفردات حب

حُب ضد البغض. ومعانيه على الوجه التالي(١) ميل الطبع إلى الشيء الملذ كما في الكليات. ويختص بحب ما هو لذيذ أو مفرح أو ما هو جميل ونحو ذلك (٢). ميل نحو الآخر ناشئ من القرابة كحب الأخ للأخ أو العلاقة الشخصية كحب الصديق للصديق (٣). ميل مبني على الاعجاب كحب شخصية سياسية أو ثقافية أو على الايمان كحب المؤمن لرمزه الديني، أو علاقة احسان كحب المحسن إليه للمحسِن. ومنه قول العراقيين: "أحبك يا نافعي" (٤) . انجذاب وجداني لموضوع علاقة كحب الوالدين وحب الوطن(٥). انجذاب شديد نحو شخص آخر مثل حب الأم لطفلها وحب أحد الجنسين للآخر. والأول ناشيء عن غريزة الأمومة فهو حب راسخ والثاني ناشيء عن غريزة الجنس لكنه يكون عذرياً مجرداً (اهتيامياً) كما يكون جنسياً. وما عدا ذلك فهو الحب بمعناه العام.

وللحب بمعنييه العام والخاص مرادفات نتابعها في الفقرات التالية.

مَحَبّة حب بمعناه العام في الغالب. يقال: "بين فلان وفلانة حب" فيفهم منه ارتباطهما بالعاطفة التي تربط بين الجنسين. ويقال: "بين الأخوين محبة" فيفهم منه ارتباطهما الأخوي. وقد يستعمل الحب والمحبة في مكان بعضهما الآخر لكن الغالب على المحبة أنها عاطفة عادية.

وُدّ: في اللسان عن ابن سِيدة "الود الحب يكون في جميع مداخل الخير" وبمقتضاه يكون الحب للخير والشر والود للخير وحده. والود قلما يراد للعاطفة الشديدة فهو حب معتدل كالمحبة. لكن **الوداد** في جملته الوجدانية اخص من الود كما في قول الصوفي:

سـقـاني شربـةً احـيـا فـؤادي

بـكـاس الحب مـن بـحـر الـوِداد

والوداد يسمي به المعاصرون بناتهم لموسيقاه ودلالته المستحبة.

والمَوَدّة الود والمحبة

مَعَزَّة: مصدر ميمي يستعمله المعاصرون بمعنى يجمع بين المحبة والإكرام وفعله الأصلي **أعزّه** أي أكرمه وأحبه.

هَوى: الحب بمعناه الخاص. وهو المراد في قول رابعة العَدَوية:

احـبـك حـبـين حـبَّ الهوى

وحـبـاً لانـك اهـل لـذاكـا

والهوى أيضاً: ميل النفس إلى الشهوات وهو

المراد بالآية "ونهى النفس عن الهوى" أما قوله: "ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله" فأعم من ذلك إذ المراد به ما يميل إليه الانسان من أمور تحمله على عدم العدل ويدخل فيها مصالحه وشهواته.. **والأهواء** جمع للهوى استعمله السلفيون القدماء لوصف البدع والنزعات الخارجة عن العقائد التقليدية وسيأتي في موضعه من قاموس الثقافة.

عِشْق:فرط الحب. ويحده في الكليات بما هو مقرون بالشهوة. وفي القاموس: "إفراط الحب ويكون في عفاف وفي دعارة" وهو الأصح. ويعده الأطباء المسلمون من الأمراض النفسية. وهاجمه الرازي في "الطب الروحاني" . وسئل ثعلب عن الحب والعشق أيهما أحمد؟ فقال: "الحب، لأن العشق فيه افراط". وفي المخصص عن الزّجّاجي إن العشق مشتق من العَشَقة وهي شجرة تخضّر ثم تصفّر وتذوي. فشبّه بها حال العاشق لأن العشق يمرضه ويُذويه.

شَغَف:حب شديد. مأخوذ من الشّغاف وهو غلاف القلب. فكأن الحب بلغ الشغاف ليصل إلى القلب ويتمكن منه. **والمشغوف** من شغفه الحب. ويعممه المعاصرون على حب الأشياء التي يولع بها الانسان فيقولون فلان مشغوف بالقراءة وفلان مشغوف بالخمر وآخر مشغوف بالسفر... الخ.

لاعج: الهوى المُحرِق. ج. لواعج، وتغلب صيغة الجمع في الشعر. ولَعَجه الحب يلْعَجه لَعْجاً: احرقه.

جَوى:الهوى الباطن الموجِع.

وَلَه:ذهاب العقل من حب أو حزن.

هُيامبجنون الحب والتحير فيه بحيث يذهب العاشق في الأرض لا يدري ما يفعل.

مِقة: حب. والوامق المحب.. من شواهد اللسان:

لن البليةَ من تَمَلُّ حديثَه

فانقع فؤادكَ من حديث الوامقِ

نادر في لغة الكتابة مهمل في لغة الكلام.

غَرام حب ثقيل راكز لا يستطاع الافلات منه. وأصل الغرام العذاب كما في المخصص عن أبي علي الفارسي، لكن القرآن جعل الغرام صفة للعذاب "أن عذابها كان غراماً". فينبغي أن يكون عذاباً ثقيلاً أو راسخاً. والغَرمى: المرأة الثقيلة. فالثِقْل من دلالات الغرام.

دَنَف المرض الشديد. وكثر استعماله لمرض الحب.

شَوْق نزوع النفس إلى الشيء. وعند الصوفية: هَيَجان القلب عند ذكر المحبوب. ويفرق الصوفية بين الشوق **والاشتياق**، فالشوق يسكن باللقاء والاشتياق يتضاعف باللقاء.

صَبابة : رقة الحب والشوق وحرارتهما. **والصب** هو العاشق الرقيق المشتاق . " وديوان الصبابة" مجموعة منتقاة من شعر الحب لابن ابي حَجَلة.

دَلَه وَتدلّه:ذهاب العقل من عشق أو هم ونحوهما

وَجْد:الحزن والحب. وفي هذا البيت :

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد

لقد زادني مسراك وجداً على وجد

يريد الشاعر ان نسيم نجد ذكّره فزاد حزنه على احبته البعيدين. والوجد الصوفي ما يبلغونه في مراتب الحب الالهي مقروناً بشدة السُكْر. **وتواجَد** الصوفي **تواجُداً** أخذته سَكْرة الحب. **والواجد** ذو الوجد. ومنه:

احسن بالواجد من وجده

صبر يعيد النار في زنده

والوجد هنا هو الحزن على فقيد يحبه الواجد.

ملحق بالباب

مفردات وافعال

أحبَّ يُحب فهو **مُحِب**؛وأحبه فهو **محبوب.**

حبيب :فعيل من الحب يغلب على طرفي العلاقة العاطفية. ويقال أيضاً لكل من هو موضوع لحبٍ شديدٍ كالطفل والوطن. ج. أحِبّاء وأحبّة.

حَبَّب إليه الشىء أو الشخصَ: جعله يحبه. فهو محَّبب عنده. سورة الحجرات:"ولكن الله حبَّب إليكم الإيمان".

تَحبَّب إليه: أظهر له المحبة.

تحابُّوا: تبادلوا المحبة. وهم **متحابّون. والتحابّ** تبادل المحبة. وقد يُفك الإدغام في لغة الكلام فيقال **تحابَبُوا.**

أحبِبْ به :ماأَحبّه. تعبير عن الإعجاب بشىء أو شخص محبوب.

حَبّوب وحَبّوبة: محبوب ومحبوبة (عامية). وكذا **حبّاب وحبّابة.**

ودَّه يَودّه: أحبه. **والوَدود** المحب لغيره الكثير الود. **وتوادُّوا تواداً**: تحابُّوا. **وتودَّد** إليه:تحبب. **والاوِدّاء** : المحبون. وترد **ودَّ** بمعنى تمنى كقول القطبِ الجيلي عبد القادر:"وددت لو أن الدنيا في يدي لأُطعِمَها الجياع". وددت بكسر الدال وحكاها الكسائى بالفتح أيضاً.

أعَزه يُعزّه:أحبّه. **والعزيز** عند المعاصرين المحبوب والغالي النفيس. وهو المستفاد من الخطاب في المراسلات:أخي العزيز، والدي العزيز، ولدي العزيز ، صديقي العزيز... ج.أعِزّاء وأعَزة وعِزاز. والجموع الثلاثة مشتركة لهذا المعنى المولد وللمعاني الأخرى التي ترد في القواميس.

يتعزز على:يتدلل (عامية)مولد من أحد معانيه القديمة التى تفيد التعظُّم والتمكن.

هَوِيها يهواها: أحبَّها. وهويَ الشيء يهواه: رغِب فيه وتعلّق به. **واستهواه** الشئ:أعجبه فشغل هواه. واستهواه فلان: أثّرفيه فجعله يتقبل ما يقوله من غير نقاش. **هاواه**:سايره وداراه.

عَشِقها يعشَقها فهو **عاشق** وهم **عُشّاق** وهي **معشوقة**. ولا يقال **عشيقة** عند المعاصرين لأنها تختص عندهم بالمعاشرة غير الشرعية بين رجل وامرأة ومدلولها علاقة جنسية خالصة. وجمعها عشيقات. واستعملها الجواهري بمعنى المعشوقة في قصيدته عن زحلة اللبنانية:

في كل مقهىً عشيقات نزلن على

وادي الغرام وعشاق معاميدُ

وإنما اضطره إليها الوزن فالبيت ليس حجة على خلاف معنى العشيقة عند المعاصرين.

وعشِق على زوجته: أحب أخرى معها

وتعشّق: تكلف العشق.وتعشّقها: عشقها

تيمّه الحب: استعبده. **والمتيّم** من استعبده الحب واستولى عليه. **وتيمته** بحبها. ينبغي أن يكون من تَيْم وهو العبد ومنه تيم الله اسم قبيلة جاهلية ومعناه عبد الله.

وَلَه وولِه: تحير وداخ من حب أو همّ ونحوه. **وتوله** يتولّه أغلب عند المعاصرين كقول سلمى الجيّوسي:

إنما لاتتولّه

فانا قد اتألّه

وللوله مدلولات نفسية تراجع في كتاب النفسيات من قاموس الانسان والمجتمع.

دَلِه يدلَه **وتدلّه** ، والأخير أغلب على

المعاصرين، ذهب قلبه من هم أو حب أو نحوه. ودلّهه الحب تدليهاً فهو مدلَّه: حيّره وأدهشه

هام بها حباً فهو **هائم وهيمان**: اشتد حبه حتى ذهب على وجهه لا يدري ما يفعل. **وهيّمه** جعله هائماً . ابن عربي:

*..وهو لصاحب الحال الذي أفناه الجلال أو هيّمه الجمال"

والمُشتهام: الهائم، الكميت بن زيد

من لقلب متيَّمٍ مُستهام

غيرَ ما صبوةٍ ولا أحلامِ

جمع فيه متيم، ومستهام، وصبوة وهذه ستأتي.

شاقه يَشُوقه شوقاً: هاجه وأثار فيه الشوق إليه. **واشتاق هو الشيء وإلى الشيء اشتياقاً وتشوق إليه. اشتد شوقه إليه. وشوّقه تشويقاً:** أثار فيه الشوق إليه وجعله ينزعُ إليه (التشويق في كتاب الفن من قاموس الثقافة). **وتباريح الشوق:** توهُّجه وهَيَجانه.

دَنِف: مَرِض مرضاً شديداً. **وأدنفه** المرض: اشتد عليه فهو **دَنِف ومُدْنَف**. ابن الفارض:

عَطفاً على رَمَقي وما ابقيتَ لي

من جسميَ الُضنى وقلبي المدنفِ

يريد المدنف بالحب.

شَفّه الحب: أنحله وأوهنه: قال الشاعر:

من لصبٍ شفه سَقَمُهُ

وتلاشى لحمه ودَمُهُ

تعلّقها وتعلّق بها: أحبها. والتعدية بالباء هي الدارجة عند المعاصرين.

هنّدته:أورثته عشقاً بالملاطفة. وحسب ابن دريد كما في المخصص أن اشتقاق اسم هند من التهنيد والصحيح هو العكس فاسم هند أصلي مأخوذ من اسم البلاد وقد سمى به العرب بناتهم لما عرفوه من جماليات الهند وحضارتها كما يترجح عندي. والاحساس بالجمال شديد عند العرب.

يَتحرّق، يقول المعاصرون فلان يتحرق شوقاً إلى كذا تعبيراً عن شدة الشوق والتهابه.

أوحَشه: ضد آنسه،جعله يستوحش. ويريد بها المعاصرون في الغالب استوحش لغيابه. كقول الجواهري يداعب صديقاً:

لقد اوحشتنا حتى كانا

ألفنا فيك مصطَحب الوحوشِ

ويقول المصريون: **وحشتني** .

نَغْمش على قلبي: استهواني وجذبني. (سط) من نَغَش إليه أي مال إليه. والميم زائدة

متبول :من اسقمه الحب. والتَبْل جذر للأذى والمرض والعداوة. وفي (عق) للعبء والثقل. وهو المعنى الأقرب للمتبول. والكلمة مما يرد كثيراً في شعر الغزل عند القدماء من جاهليين واسلاميين ومن مطلع قصيدة كعب بن زهير المشهورة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ

صَبْوة :الميل إلى اللهو وبضمنه النساء. وقد صبا يصبو. دُرَيد بن الصِمّة:

صبا ما صبا حتى علا الشيبُ راسَه

فلما علاه قال للباطل إبعدِ

وأصْبَتْه: جعلته يصبو إليها. من شواهد اللسان:

الى هند صبا قلبي

وهند مثلُها يُصبي

- ٢ -

الحب حسب التصنيف النفساني

حب غَيري: حب من جانب واحد لا يهدف إلى السيطرة على المحبوب بل العناية به وجلب السعادة له. وهو حب الشاعر القديم الذي قال:

ويفرح قلبي ان اراها بنعمةٍ
وإن كان لا يُجدي عليَّ نعيمُها

حب كاذب: حب أناني يجمع في وقت واحد أكثر من محبوب

حب امتلاك: يتميز بحدة العاطفة وشدة القلق فيدفع إلى تمني امتلاك المحبوب. وتصحبه حالات مَرَضية كالقَمَه والأرق. وهذا هو العشق في معناه الذي شرحناه

حب عُذري: حب عفيف انتشر في صدر الاسلام والخلافة الأموية في البادية والحجاز. نسبة إلى بني عُذرة الذين كثر فيهم المحبون من هذا النمط. والحب الغيري داخل في الحب العذري وهو أيضاً مرادف للحب الاهتيامي (الرومانسي) الذي عرفته أوربا في القرن الثامن عشر.

حب جنسي: حب بقصد المضاجعة. وهو الحب المرادف في الانجليزية المعاصرة للجنس حيث يقال: make love ويترجم : يمارس الحب. والترجمة ملتبسة لأن الحب في العربية لا يشترط الجنس حصراً. وترجمتها الصحيحة: يمارس الجنس

الباب الثاني

الغزل

غَزَل، بفتحتين، تختلف المعاجم في تعريفه. ففي لسان العرب: حديث الفتيان والفتيات. وفيه عن ابن سِيدة: اللهو مع النساء. وفي القاموس: محادثة النساء. وفي الوسيط: محادثة المرأة والتودد إليها. وفي المنجد: يحادث النساء ويُفيض بذكرهن. ووضعه العصري مقابل FLIRTATION وشرحه باللهو مع النساء. وأورد: شعر غزلي مقابل EROTIC POETRY ومُغازل النساء مقابل PHILANDERER والانجليزي من PHILO اليوناني بمعنى الحب. ويختلط في EROTIC معاني الحب والشهوة والجنس فتخصيصه بالغزل ليس دقيقاً. ويستعمل المترجمون اليوم **ايروسي** (انظر مادة عروس في كتاب الزواج). تلخيصاً لهذه التعريفات ولاستعمالات الكلمة في العصرين الاسلامي والحديث نقول:

الغَزَل: حديث الحب بين الرجل والمرأة. **وشعر الغزل**: شعر الحب الذي يتحدث عن صفات المحبوب الجسدية والأخلاقية وعن عواطف الشاعر أو معاناته في حبه. **والغَزَليات** قصائد الغزل. ولا يقال: شعر المغازلة أو غازلها الشاعر لأن المغازلة هي الحديث العادي المباشر بين المحب والمحبوب بل يقال **تغزل** بها أي أسمعها الغزل أو كتبه عنها والأخير هو الغالب **والغِزِل** هو معتاد الغزل. بِشارة الخوري (الأخطل الصغير):

وكان بالقرب منها كوكب غَزِلُ

يصغي فلما رآها سبح الله

وراح يُقسم ان لابات ليلته

إلا على شفتيها لاثماً فاها

ويوضح البيت الثاني أن هذا الكوكب الغزِل هو في الحقيقة **المغازل الذي** وضعه العصري مقابل PHILANDERER وليس هو الشاعر الغزِل. والشاعر الغزِل هو الشاعر الرومانسي الاهتيامي ويميّز بذلك عن الشاعر الماجن الذي يكتب **الأدب المكشوف والرَفَث وشعر المجون. والغَزَل** يميل إلى المعنى الأول وإن كان بعض المعاصرين يستعمل **الغزل الصريح**.

تشبيب: في لسان العرب: "تشبيب الشعر ترقيقه بذكر النساء وهو من تشبيب النار وتأريثها". فالتشبيب مخصوص بالغزل الشعري. وشبّب بها:

قال فيها الغزل. وهو يتشبب: يتغزل بالشعر، يقول شعراً غزلياً.

نسيب: شعر الغزل الرقيق. ونَسَب بها ينسُب وينسِب: قال فيها شعراً عاطفياً رقيقاً.

مباغمة في اللسان : باغم فلان المرأة مباغمة اذا غازلها بكلامه. قال الاخطل:

حَشُوا المطايا فولونا مناكبهم

وفي الخدور اذا باغمتها صُوَرُ

والبُغام في الاصل صوت مرخم مُنعم مبهم ومنه بغام الظبية وبغام الطفل وهو لَغاه قبل ان ينطق.

ملحق بالباب

مفردات تتكرر في الغزل

وَصْل مواصلة الحبيبة لمحبها. نحو:

أتتْ وحجابُ الموت بيني وبينها

وجادت بوصلٍ حيث لا ينفع الوصلُ

وقد فهم الشاعر الوصل هنا بالوصال الجسدي. أما هي ففهمته بالوصال الروحي

هَجْر وهِجران: مقاطعة الحبيبة للمحب . والهجر عند المسيحيين العرب انفصال من غير طلاق.

عاذل وعَذول: الذي يلوم العاشق على عشقه. والعَذْل بسكون الذال وفتحها هو اللوم.

وكثر وروده في الغزليات وفي الاغاني المعاصرة كقول محمد عبد الوهاب امير الغناء المعاصر :

والقمر طالل علينا

والعذول غايب عن عينينا

ج. عُذّال والعواذل للنساء واستعملها فريد الاطرش ، زميل محمد عبدالوهاب ، للجميع في اغنيته " ياعواذل فلفلوا"

وُشاة المشاغبون على المحبين. هكذا ترد في الغزليات. ولها معانٍ أصلية تجدها في كتاب الأخلاق.

شَجَن حُزن. يكثر في الغزل ويجمع فيها على شجون و أشجان كقول الشاعر

هلا اخذتَ لهذا اليوم أهبته

من قبلِ ان تُصبح الأشواق اشجانا؟

سُلُوّ وسُلْوان نسيان الحبيب والشفاء من حبه. والسُلوان أيضاً دواء إذا شربه العاشق شفاه من عشقه وهو **المفرِّح** عند الأطباء وقد سلا عنها وسلاها يسلو. **والسَلْوة** كل ما يُسلّي

والسُلوانة خَرَزة كانوا يصبون عليها ماء المطر ويسقونها العاشق ليسلو. يقال: سلوت وسليت ومنه قول رُؤْبة:

لو أشرب السلوانَ ما سَلْيتُ

وأسلاه وسلاّه: جعله يسلو وينسى. وللتسلية معنى يرد في موضعه من المعجم. **وانسَلى** عنه الهم: انكشف.

تَوْرة، الفتاة ترسل بين العشاق.

الباب الثالث

الجمال ومرادفاته

جَمال ضد القبح والدمامة. المفردة الأساسية في هذا الباب. يحده فلاسفة العرب بأنه: "صفة تُلحظ في الأشياء وتبعث في النفس سروراً ورضا". والجمال صفة للأشياء والأحياء والمجردات. وهو جميل وهي جميلة.

حُسْن، بالضم ويكسره العامة، جمال. ويجتمع فيه معنيان: كونه ملائماً للمزاج والطبع وكونه صفة كمال. واستعير لذلك للجودة. فيقال: حُسنُ العمل وحسن السلوك وعمل حسن وسلوك حسن، والأخلاق الحسنة. شائع عند القدماء وعوام المعاصرين نادر عند الكتاب الذين تجنبوه لشيوعه في العامية. على أنهم يقولون حسن العمل وحسن السلوك وحسن الاداء وقلما يستعملونه مرادفاً للجمال.

بَهاء يقال للحُسن المَهيب المالئ للعين. ومنه اشتقاق المباهاة والتباهي زنة مفاعلة وتفاعل من البهاء وكأن المُباهي والمتباهي يعرض ما عنده من بهاء ليفاخر به غيره.

وَضَاءة الحُسن مع ألقٍ ونظافة. (يُنظر للوضوء ويعني غسل بعض الأطراف والوجه) وهي وضيئة وهو وضيئ.

وَسامة أثر الحسن في الحسناء. وجذره وسم ووشم وهو أثر الكي. يقال وسمه بميسم كفر أوايمان أي ثبته عليه كما يُثَبِّت اثر الوسم. واستقل الوسيم بمعنى الجميل الثابت الجمال كأنه قد وُسم به وسماً

نَضارة البريق والرونق والبهجة. وهي نضْرة ونضيرة وناضرة والمنظر نضْر ونضير وناضر

مَلاحة، بفتح الميم، الحسن. وهي مليحة وهن مِلاح. ويقول العراقيون "مَمْلوحة" لمن يستملحون وجهها من غير أن توصف بجمال فائق. وهو الدلالة الأصلية للملاحة.

صَباحة الجمال مع إشراق. وهي صبيحة وهو صبيح.

طَلالة، الأصمعي "الطلالة الحسن والماء". ويقع فيه معنى الجمال العذب. ولهذه الصفة علاقة بالطل وهو النسغ الجاري في الأغصان والمطر الخفيف أو الندى. وهي طليلة. وطلال من أسمائهم

طلاوة الحسن والبهجة: وفي البيت التالي جمع الشاعر ثلاثة مرادفات للجمال وهو في امرأة سوداء:

وزاد بك الحسنُ البديعُ طلاوةً

كأنك في وجه المَلاحة خالُ

والبديع هو المُحدَث العجيب الذي بلغ الغاية في بابه. وأعطته العامية المعاصرة معنى الجميل والجيّد واشتقوا منه بَداعة للحسن والجودة الفائقة.

وسموا أولادهم بديع وبديعة، ويتردد معنى الاسم بين البديع من أسماء الله الحسنى والبديع بالمعنى اللغوي. والأخير هو الأكثر لأنهم لا يسمون عبد البديع. الخال يأتي لاحقاً.

الطلاوة مثلثة الطاء. والطلي للكلام فيه طلاوة واللون الطلي والشعر الطلي عند المعاصرين ما فيه طلاوة.

بهجة الحسن والنضارة ممزوجاً بما يثير الفرح والشعور بالسعادة.

بَضاضة رقة البَشَرة مع نضارة وامتلاء، بصرف النظر عن لونها. وهي بَضّة وجسدها بضّ. أحمد شوقي:

كعذارى اخفين في الماء بضاً

سابحات به وابدين بضا

والبَضْباضة: الرَخْصة الجسد الممتلئة البدن الصافية اللون (الوسيط)

رَشاقه جمال القد ولطفه واتساقه

فِتنة أصل الفتنة صهر المعدن في النار لاختباره. ومنه سمي الصائغ فتّان. ووُلِّدت منها معانٍ كثيرة وردت في القرآن. وفي اللسان: "يقال فَتَن الرجل بالمرأة وافتتَن. وأهل الحجاز يقولون: فتنته المرأة إذا ولّهته وأحبها وأهل نجد يقولون: **أفتنته**." وتوسع المعاصرون في **فاتنة وفتّانة** للحسناء التي تخلب الألباب بحسنها. واستعملوا الفتنة أيضاً بمعنى الحسن الخلاب.

وقد **فتنته** بحسنها تفتنه فهو **مفتون** بها. **وافتتن** هو **افتتاناً وفُتِن** فِتنة.

وقرينة الفتنة بالنساء هي الابتلاء بهن وكأنه خضع لاختبار الجمال الخلاب فلم ينجح فيه فصار مفتوناً به. ومن معاني المفتون المجنون. وفتنته المرأة إذا وضعته موضع الاختبار بحسنها.

غَنْدَرة جمال مع دلال ونعومة (عامية) من **غُنْدر** **وغُندور الفصيحة**، وهو صفة الغلام الناعم وخصصتها العامية بالمرأة فقالوا **غَندورة** بفتح الغين على عادتهم في زنة" فعلول". ومن الأغاني اللبنانية:

حلوة حلوة وغندورة

ملحق بالباب

أفعال ومفردات تتعلق بالجمال

جَملُت فلانة تجملُ وجمُل الشيء يجمُل صارت جميلة وصار **جميلاً**. وتجمع جميلة على **جمائل** ويميل المعاصرون إلى **جميلات** وجمع الجميل جملاء. وللجمال اشتقاقات أخرى ترد في مواضعها.

حَسُن وحَسَن الشيء يحسُن وحسُنت فلانة صار **حَسَناً** وهي حَسَنة. **والحسناء** صفة استقلت عن الموصوف للمرأة التي تتمتع بحسن فائق وجمعها حِسان وحسناوات. **ومحاسن** المرأة عناصر الحسن فيها ويقال كذلك محاسن الشيء جمع لا واحد له "والمحاسن والمساوئ" كتاب للبيهقي في الأدب والتاريخ.

وسُمَت فلانة فهي وسيمة والجمع وِسام. والمعاصرون يميلون إلى **وسيمات**.

نضَر ونضُر ينضُر ونضِر ينضَر (الوجه والشجر والنبات وغيره) صار **نضْراً**، كان ذا رونق وألق. **ونضَّره** جعله نضراً

مَلُح وجهها يملُح: حسُن واستُملح.

بَهيت تبهى وبهت تبهو فهي بهية وهن بهايا وبهيات وهو بهي وهم أبهياء. والباهي: البهي من مفردات ألف ليلة وفي لهجات المغرب العربي وهم يقولون في جواب السؤال عن الحال: **باهي.. أو باهي و زين**.

حَلا يحلو فهو **حُلْو** وهي **حُلوة**. وحَليت تَحلى. وفي الخطبة الشقشقية لعلي:

"ولكنهم حَليت الدنيا في أعينهم". والصيغتان موزعتان على اللهجات بعضها تقول حَلَت وبعضها حَليت.. **واحلولى**: حلا. والحُلْو: الحَسَن المستطاب.

وميزه الأقدمون عن الجميل فقال خالد بن صفوان لامرأة قالت له إنك لجميل: كيف تقولين هذا وأنا أصلع آدم (شديد السمرة) قصير؟ ولكن قولي إنك لحلو. وفي القاموس: الحلو من يُستخف ويُستحلى من رجل وامرأة. ومن عبثيات أبي نواس:

يقول والناطف في كفه

من يشتري الحلوَ من الحلوِ

الناطف: حلوى.

وَضُأت تَوْضُؤ فهي وضيئة.

بهُج الشيء والوجه يبهُج بهاجة فهو بهيج وهي بهيجة ومبهاج: حَسن ونضُر وفي سورة الحج "وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج". أي من كل صنف حسن رائق. **وتباهج** الورد: تضاحك. **والمباهجة**: المباهاة. **وبهَّج الشيء**: حسّنه وجمّله. **والتبهيج**: التحسين

رشُقت ترشُق فهي رشيقة.

بضَّ البدن يبَض ويبَض صار بضاً. وبضَّت هي.

تغندرت فلانة تتغندر: تدللت أوتأنقت (عامية)

خد أشجح: سهل لين غير منتفخ وطويل في اعتدال. **والسَجاحة** صفته. وسجاحِ كحذامِ نبية بني تميم.

رَهيدة: شابة لينة ناعمة.

ترّ الجسد تَرارةً: امتلأ وتروى عظمه فهو تار. شاعر عن محبوبته:

وتصبح بالغداة أترّ شيء

وفي (عق) وجه يترّ: يتلألأ. وجذر تار في السرياني يفيد الامتلاء والليونة والرطوبة.

أخّاذ: يقول المعاصرون جمال أخّاذ أي فاتن جذاب.

غَريّ: في المخصص: "كل حَسنٍ غريٌّ، والغَريان بناءان حسنان في الكوفة" والغري من أسماء مدينة النجف في العراق وكانت من أعمال الكوفة وسميت بالغري على تسمية البناءين اللذين كانا فيها وهما للمناذرة.

جَسَد: في القاموس: "الجسد جسم الانسان." وينزع استعماله المعاصر إلى تخصيصه بجسم المرأة. وللكاتب اللبناني جورج حنا كتاب "المرأة جسد وروح".

الخال والشامة: كلاهما نكته سوداء في البدن خِلْقةً. وميَّز بينهما في اللسان فقال: "يقال لما لاشخص له شامة وماله شخص فهو الخال." وتعرَّف الشامة بأنها علامة في البدن مخالفة لسائر لونه. وفي حديث لابن عساكر "أصلحوا لباسكم وأصلحوا رِحالكم حتى تكونوا شامة بين الناس". والشامة والخال لاتتمايزان عند المعاصرين وهما موزعتان على اللهجات فبعضها يقول شامة وبعضها خال وكلاهما للنكتة التي تخالف سائر البدن بارزة أم لا وهي من سمات الحسن. ج. خال خِيلان وجمع شامة شامات. وصاحبة الخال **خيلاء** وصاحبة الشامة **شيماء**.

وَمْشة: الخال الأبيض.

وَحمة بقعة مخالفة لسائر البدن تكون أكبر من الشامة. شائعة في العامية ولم تذكرها المعاجم ووضعها العصري والمورد والمعجم الطبي الموحد مقابل BIRTHMARK وشرحها العصري: أثر الوِحام في الولد، والمورد: علامة خَلقية على الجسد. ووجودها في معظم اللهجات الحديثة يدل على وجودها في لغة الكلام القديمة ولم يقيدها المعجميون.

الباب الرابع

القبح ومرادفاته

قُبح خاصية في الشيء أو الشخص تؤذي النظر وتبعث على النفور من المرئي. وهو **قبيح** وهي **قبيحة**. ج. قِباح. **والقَباحة** القُبح إلا أنها مالت إلى الاختصاص بالاخلاق والسلوك. قبُح يقبُح صار قبيحاً واستقبحه عده قبيحاً

دَمامة، القبح ويغلب على الأحياء دون الأشياء. هو **دميم** وهي دميمة. ج. دِمام ودمائم. والمعاصرون يميلون إلى الجمع السالم فيهما: دميمون ودميمات.

بَشاعة، الكراهة والخشونة والقبح. في اللسان كلام **بشِع**: خشن كريه ورجل بشِع المنظر إذا كان دميماً ورجل بشِع النفس أي خبيث النفس (يريد بالرجل الانسان) وبَشِعَ الوجهُ إذا كان عابساً باسراً وثوب بشع: خشن". وعند المعاصرين: وجه بشع: كريه دميم ومثله عمل بشع ومنظر بشع. وقد بَشِع يبشَع. **واستبشعه** عده بَشِعاً

سَماجة، القبح والكراهة. **والسَمِج والسميج** الكريه غير المستملح وهي سَمِجة. والسماجة عامة في الأحياء والأشياء وأصحاب السماجات من فئات المرفهين عن أرباب الدولة في العصر العباسي سموا بذلك لقيامهم بحركات مستهجنة أو سخيفة لامتاع سادتهم. وقد سمُج يسمُج. واستسمجه عده سمِجاً.

جَهامة وجُهومة، صفة تختص بالوجه العبوس الغليظ المتجمع من غير اتساق. ويستعمل العراقيون جهامة بمعنى شكل الوجه قبيحاً أو جميلاً. فيقولون فلان حلو الجهامة. ومنه قول المغني السياسي الساخر عزيز علي في تقاعس الحكام عن نصرة فلسطين:

والنواطير النشامى
ذولا حلوين الجهامة
نايمين شلون نومه

وهو جَهْم وجهيم. وجُهم يجهُم: صار عابس الوجه كريهه.

شَناعة، شدة القبح. وهو **شنيع** وهي شنيعة. وشنُع يشنعُ: صار شنيعاً واستعيرت لمعانٍ تأتي في مواضعها من القواميس.

كريه، من معاني الكريه: القبيح، الذي يكرهه من ينظر إليه. وفعله كرُه يكرُه، لازم على زنة فعُل. وإذا أريد الكريه بمعنى البغيض قيل كرِه يكرَه فهو كاره والشيء مكروه وكريه.

الباب الخامس

صفات الجمال في المرأة

الفصل الأول

صفات عامة

غيداء وغادة: فتاة ناعمة ناعسة متثنية ليناً. تكثر في الشعر وفي تسميات المعاصرين لبناتهم. ج. غيد. **والغَيَد** صفتها. **وتغايدت** في مشيتها: تمايلت وتثنت.

خريدة العذراء والحيية المتحفظة. ج خُرّد. أحمد شوقي يجمعها مع الصفة السابقة:

☆ فداء ليلى الليالي الخُرّد الغيدُ ☆

والخَرَد والتخرد صفتها. أوس بن حجر:

ولم تلهها تلك التكاليف إنها

كما شئت من اكرومةٍ وتخُّرِدِ

وفي (عق) استخرد فلان فلان: استزلم عليه واستضعفه كما لو أنه خريدة.

خَوْد شابة ناعمة . ج خُود. وتخوّد الغصن: تثنى وماس.

رَخصَة: ناعمة لينة.

مُخَصَّرة: الدقيقة الضامرة. وكَشح مُخصَّر: دقيق.

غرّاء: الغراء: الحسنة البيضاء. وقال الأصمعي قلت لأعرابية ما الغراء فقالت: التي بين حاجبيها بَلَج وفي جبهتها اتساع تتباعد قُصتها معه عن حاجبيها فيكون بينها نفنف (فضاء)

عَيْطَل: طويلة العنق والجسد مع حُسْن.

وثيرة: سمينة ممتلئة.

هضيم وهضماء: هيفاء لطيفة الكشح. وبطن هضيم وأهضم. والصفة هي الهَضَم.

سنيعة: جميلة لينة العظام لطيفة المفاصل كاملة الخلقة. جذر سنع يفيد الطول والرفعة والوفرة والحسن. وفي (نجد) سنّعه: رقّاه ورفه عنه وأحسن إليه.

مِكسال: البطيئة الحركة ترفاً ودلالاً. مِفعال من الكسل

وهنانة: مكسال. فعلانة من الوهن.

خَفوت، في اللسان عن الليث: "الخفوت التي تأخذها العين مادامت وحدها فتقبلها فإذا صارت بين النساء غمزتها." يريد أنها تبدو جميلة حين تكون وحدها فإذا صارت بين حِسان ظهرت عيوبها.

منمنمة لطيفة الأعضاء صغيرتها. (من عامية المحيط) اسم مفعول من النمنم وهو صغار الخرز اللطيفة الملونة

ممشوقة: طويلة جميلة القَوام مع رقة ونحافة غير مخلة.

ممسودة: مطوية الخَلق. والمَسْد فتل الحبل جيداً. وفي مفردات الراغب. امرأة ممسودة مطوية الخلق كالحبل الممسود وفي التاج: بطن ممسود: لين لطيف مستوي لاقبح منه.

مَسمورة: نحيفة معصوبة البدن.

مَزمورة ومَزمارة: الفتاة الناعمة الرجراجة.

عُطبول الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة الجيد. عمر بن ابي ربيعة:

ان من اعجب العجائب عندي

قتلَ بيضاء حرة عطبولِ

شَطْبة، في الأساس: لها قد كالشطبة وهي السعفة الخضراء. وجارية شطبة إذا كانت تارّة.

والشطبة في العامية التي لها قدٌّ طويل ممشوق كالشطبة.

رُعبوب شطبة تارة أو بيضاء ممتلئة الجسد. ج رعابيب. حميد بن ثور:

رعابيبُ بيض لا قصارٌ زعانف

ولا قمعات حسنهن قريبُ

جيداء: طويلة العنق في حسن: نسبة إلى الجيد، مرادف للعنق كثير الورود في الشعر. **والجيِّد** صفتها.

جَعْدة: ذات شعر جعد. وجعدة من أسمائهن.

جسد سبط يقال امرأة سبطة الخَلْق: رخصة لينة. وجسد سبط: حسن القد والاستواء. من المنسوب لامرئ القيس:

فجاءت به سَبْطَ العظام كانما

عمامته بين الرجال لواء

يشير إلى رجل، والصفة مشتركة لهما. والعرب تجعل استواء خلقة الرجل من كماليات السؤدد والمكانة

فرعاء: كثيرة شعر الرأس طويلة فروعه. يقال: لابد للقرعاء من حسد الفرعاء.

لَفّاء: اللفَفَ فخامة الفخذين، وامتلاء ما بينهما وهو في النساء نعت وفي الرجال عيب.

عجزاء سمينة العجيزة.

ممكورة: يقال ممكورة الساقين لذات الساقين الممتلئتين المستديرتين.

وممكورة الخلْق للمدمجة الخِلقة مع امتلاء وسمن. شعر:

ممكورة الخلق ما طالت وما قَصُرت

عجزاء لفاء في احشائها هَضَمُ

عجزاء، لفاء، هَضَم: راجع ما قبلها.

معكِنة وعكناء: ذات عُكن (طيات) مستحسنة في بطنها.

مجدولة: ساق مجدولة أي مُحكمة الطي منسقة. وامرأة مجدولة: لطيفة القصب محكمة الفتل

مُهَفْهَفة: ضامرة البطن دقيقة الخصر.

رَداح: ثقيلة الأرداف تامة الخلقة.

غيفاء: غيداء لانت جوانبها ومال عنقها لكن من غير نعاس. وجذر **غيف** يفيد النعومة والترف والتثني. والغاف شجر حلو الثمار.

وَرْكاء: ضخمة الوركين

الفصل الثاني

صفات الأنوف

أقنى الأنف الأقنى هو الشكل السائد لأنوف العرق النورمندي. ووجد عند العرب والمصدر القنا وهو ارتفاع في أعلاه واحديداب في وسطه مع دقة الأرنبة وضيق المنخرين.

ذَلْفاء الذَلَف قصر الأنف وانبطاحه مع استواء وصغر في الأرنبة. ومن الأحاديث الموضوعة: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً صغار الأعين ذُلف الآنف" والاشارة إلى يأجوج ومأجوج. وهذه صفة عيون أهل الصين وأنوفهم. والذلفاء من اسمائهن.

خنساء: ذلفاء إلا أن أنفها أقصر مع ارتفاع قليل في الأرنبة. وسموا خنساء كما سموا ذلفاء.

شماء: الشَمَم ارتفاع القصبة وحسنها واستواء اعلاها مع إشراف قليل في الأرنبة. ويستحسن العرب هذه الصفة في الرجال فالاشم أكثر تداولاً من الشماء ويستعار للسمو والرفعة والأنفة. حسان بن ثابت:

بيض الوجوه كريمة احسابهم
شم الأنوف من الطراز الأول.

أنُوف، طيبة رائحة الأنف

الفصل الثالث

جماليات العيون

عَيناء: واسعة العينين حسناؤهما مع اتساع في السواد. ج عِين ومنها الحور العين لنساء الجنة.

نَجلاء: واسعة العينين. والنَجَل صفتها.

وَطفاء: كثيفة شعر الحاجبين مع طول واسترخاء في الاهداب. **والوطَفَ** صفتها.

غَطفاء: طويلة الأهداب مع التوائها . وصفتها **الغَطَف**

كحلاء: الكَحَل أن يعلو منابت الأهداب سواد طبيعي. **وكحِلَت** تكحَل

حوراء الحَوَرَ غلبة سواد العين على بياضها والحور في الظباء والمها دون البشرِ ويشبه الشعراء به عيون حبيباتهم. وقد حَوِرت تحْور.

بَرَج، احداق البياض بالسواد كله. وبرِجت عينها تبرج. شعر:

كحلاء في برجٍ صفراء في عجٍ

كانها فضة قد مسها ذهب.

زَجَج الدقة في الحاجبين مع طول وتقوس. وهي **زجّاء** والحاجب **أزجّ. وزججّت** حاجبها.

قال:

إذا ما الغانيات برزن يوماً

وزججن الحواجب والعيونا

وازدج الحاجب: تم إلى دُنابى العين.

بَلجَ: نقاوة ما بين الحاجبين وتباعدهما. وبلِجت تبلَج فهي بلجاء. والبلج الاشراق ومنه انبلاج الصبح وتبلجه. ومن الرجز في المديح:

ابلج بين حاجبيه نُوره

والحق أبلج: أي واضح بيِّن.

ناعسة عيون ناعسة وطَرْف ناعس: فيها فتور مستحسن. أحمد شوقي:

يا ناعس الطرف لاذقت الهوى ابداً

والنعاس فتور في الحواس ينشأ عن الحاجة إلى النوم واستعداد الجسم له. وصاحبه نعسان وهي نعسى ونعسانة على المعنى الأصلي. وأكثر المستعار يرد على ناعس وناعسة.

صفات أخرى للعيون في كتاب الانسان.

الفصل الرابع

جماليات المرأة بحسب الفم

ثَغْر، الفم، والأسنان ومقدم الأسنان. والثغر للفرجة في الجبل وللمدينة الساحلية ذات المرفأ. والثُغْرة للفرجة والنقرة. ويستعملها المعاصرون للفتحة والمنفذ فاللفظ أولى بالفم منه بالأسنان. على أن الفعل المشتق منه يفيد دلالات تتعلق بالأسنان. وستأتي في موضعها من قاموس الطب. والثغر في الغزل دون الكلام العادي ويرد بمعنى الفم والأسنان كما في قول رضا الهندي (معاصر):

امفلج ثغرك أم جوهر؟

ورحيق رضا بك أم سُكّر؟

والتفليج للأسنان.

لَمى: سمرة في الشفة مع قلة احمرار. وصاحبتها لمياء. وقد يعبر به عن الشفة نفسها كما في قول محمد سعيد الحبوبي ـ أوائل القرن العشرين:

ايها الساقي ومن خمر اللَمى

نشوتي فاذهب ببنت العنبِ

لعساء: اللَعَس واللُعْسة سواد خفيف مستحسن في الشفة. ذو الرمة:

لمياء في شفتيها حُوّة لَعَسُ

وفي اللِثات وفي انيابها شنب

حُوّة لون أسود مشرب بحمرة كمُيتية. ولقد جاء ذو الرمة بالمنفّر إذ صور حبيبته ذات أنياب وإنما أراد أسنانها فرآها لا تستقيم مع موسيقى البيت. وموسيقى الصورة أولى من موسيقى العبارة.

ويتقارب تعريف اللمى واللَعس في المعاجم وقد رادفها ذو الرمة في الشاهد مع حوة. وفي اللسان:

فيها لمىً من لُغسة الأَدعاجِ

فجعل اللَمى من اللَعَس.

ظمياء صفة مشتركة للشفاه والعيون. في الشفاه سمرة مع ذبول مستملح وفي العيون رقة الجفنين.

رَشوف: طيبة الفم. وتزوج أعرابي فقيل له كيف رأيتها؟ فقال: وجدتها رصوفاً رَشوفاً أَنوفاً. الرصوف الضيقة العضو

رَتَل: اتساق الأسنان واستواؤها وبياضها. وثغر رَتْل:

ومبدٍ رتْلٍ كان النحل عسّل فيه، بارد

فَلَج: تفرق الأسنان، وانفراجها. وهي صفة مستحسنة في الاسنان ولا يراد بها وقوع مسافات بيّنة من سن لأخرى إنما عدم تراكبها وارتصاصها بحيث يدخل بعضها في بعضها، فالفلج هو انتظامها في صفها من غير تشتت ولا تراكب.

ظَلْم، بفتح الظاء، بريق الأسنان الشديدةالبياض الذي يظهر كأنه الماء الرقراق. ابن الفارض:

عليك بها صرفاً فإن شئت مزجها

فعدلك عن ظَلم الحبيب هو الظُلم

يريد مزجها بهذا الماء الوهمي الذي يترقرق في أسنانها.

الفصل الخامس

جماليات الوجه

وجه طلق: ضاحك مشرق

وجه أسجح وخد أسجح: سهل منسوق معتدل الطول غير نحيف ولا منتفخ. ذو الرُمة

ووجه (اووخد) كمراة الغريبة اسجح

والسّجاحة تقال للرفق والعفو ومنه قولهم: "قد ملكت فأسجح"

خد أسيل: أملس مستوي

غمّازة: دارة تحدث في الخد عند الابتسام. في (المحيط) عامية وفي (الوسيط) مولدة.

وجه مكلثَم: جيد الاستدارة ناتئ الجبهة قليلاً فاتته سهولة الخد ولم تلزمه جهومة. وصفت ألفت إذلبي في "حكاية جدي" وجه فتاة بأنه "مستدير مكلثم".

أسارير: خطوط وإطار الجبهة والوجه ومحاسنهما يقال بَرقت أساريره أو أساريرها وتهللت أساريره أو أساريرها، تعبيراً عن الفرح بشيء.

قَسِمات: الفتح والكسر معاً في الوسيط، ملامح الوجه. من شواهده قديماً:

كأن دنانيراً على قسماتهم

يصفها بالحسن وكأنها الدنانير الذهبية

وللشيخ باقر الشبيبي من المعاصرين:

هذا الذي يبدو على قسماتي

اثر الغرام فما يقول وشاتي

ووجه مقسَّم: أعطي كل قسم منه نصيبه من الحسن فهو متناسق. قال الشاعر:

ويومَ تُوافينا بوجه مقَسّمِ

ملحق بالأبواب السابقة

مفردات ترد في الشعر الغزلي

تَرائب: موضع القلادة من الصدر. من معلقة امرئ القيس:

ترائبها مصقولة كالسَجَنجَل (المراة)

ومن اراجيز الحرب للمسيَّب بن نَجَبَة الفزاري:

قد علمت ميالة الذوائبِ

واضحة الخدين والترائبِ

نَهْد: تعبير جمالي عن الثدي يرد في الشعر دون الثدي المستعمل كمصطلح أساسي للعضو. ج نهود. **والناهد والناهدة** المتلئة النهد البارزته وهو من محاسن الثدى ونَهَد ثديها ارتفع وبرز.

مُقْلة، يختلف فيها اللغويون واختارها الوسيط مرادفاً للعين. ج مُقَل. وترد في الشعر وورود العين أكثر، وللجواهري:

إن وجه الدجى انيتا تجلّى

عن صَباحٍ من مقلتيكِ اطلّا

مَبْسِم الثَغْر وللمقلة تعريف طبي يرد في موضعه.

شَفايف جمع عامي للشفة. ورد في ألف ليلة ويكثر في الأغاني المعاصرة.

بَنان: الأصابع أو أطرافها. ويرد في الشعر عند التغزل بجمال الأصبع كقول الشاعر:

خطرات النسيم تجرح خديه

ولمس الحرير يُدمي بَنانه

ويقول عبد العزيز بن عبد الله إن البنانة تطلق في المغرب على الموز تشبيهاً له بالأصبع لتقوسها (نحو تفصيح العامية). وهو إسم الموز في الانجليزية وأرجعه قاموس وبستر إلى أصل افريقي من غير أن يحدد في أي لغة افريقية.

لِيت، بكسر اللام، صفحة العنق التي يتذبذب القرط فوقها. الجواهري:

اليّ اليّ بجيدٍ وليت

كأنّ عروقهما النافرات

خطوط من الكلم الساحرات

لَبّة: ما بين النحر وأعلى الصدر أو هي النحر نفسه. ابن زيدون:

والروض عن مائه الفضي مبتسم

كما فككت عن اللَبّات اطواقا

الباب السادس

صفات القبح والدمامة عند المرأة

شوهاء قبيحة غير منسوقة الشكل (الجذر شوه واشتقاقاته يراجع في كتاب الانسان)

مقّاء طويلة مع دقة في البدن وهو أمق. والمَقَق حالتهما.

خرِثاء: ضخمة الخاصرتين مسترخية اللحم.

عَشّة: دقيقة عظام اليدين والرجلين. وهو عَش. وأنشد ابن الأعرابي:

تضحك مني ان راتني عشا

عُكبُرة: جافية الخِلْقة.

فِرشاح: كبيرة سمجة.

حَبْناء: ضخمة البطن خِلقةً أو من داء. والحبَنَ صفتها. والمغيرة بن حبناء شاعر.

خَثْواء: في القاموس: الخَثْوة أسفل البطن إذا كان مسترخياً. والخثواء وصف للمرأة دون الرجل.

رَسْحاء: هزيلة الأرداف. في حكاية أبي القاسم البغدادي:

"رسحاء كأنها الضفدع كأنما لحسها من خلفها الذيب"

حَمَش وحُموشة: دقة الساقين. ومنه قول الشاعر يهجو امرأة:

شوهاءُ خِلقتها في وجهها نَمَشٌ

في عينها عمشٌ في ساقها حَمَش

وفي حديث المهدي مع الخيزران: هاتها على حَمَش في ساقيها. وقال الشاعر يذكر البراغيث:

وحُمش القوائم حُدب الظهور

طَرَقن بليلٍ فارقنني

صاوية هزيلة يابسة البدن وهي **المصويّة** في (عق). وقد صَوت تَصوي

لَخْناء: اللخن قبح رائحة الفرج والأرفاغ وهي لخناء و "يا ابن اللخناء" شتيمة رائجة عند القدماء.

طُرْطُبّة ذات الثدي الضخم المسترخي.

ضهياء: امرأة لم تنمُ أعضاؤها التناسلية وثدياها ولا يأتيها الطَمَث.

دَمْصاء: الدَمَص رقة الحاجب من مؤخرته وكثافته من مقدمته.

قَمَلية قصيرة جداً

دَرّامة ودَروم: القصيرة القبيحة المشية:

من البيض لا ذرامة قملية

إذا خرجت في يوم عيد تُواربه

حَضُون: من أحد ثدييها أكبر من الآخر. وفي المخصص: التي ذهبت احدى حلمتيها.

دِرْدِحة: التي طولها وعرضها سواء. ج درادح. أبو وَجْزة:

وإذ هي كالبَكر الهِجان إذا مشت

ابى لا يماشيها القصار الدرادحُ

مَمصوصة: مهزولة من داء. وهي المهلوسة أيضاً وكلاهما من الفصيح العامي.

مُتَخَرْخِزة: في المخصص: تخرخرت المرأة كانت سمينة ثم هُزِلت.

صفات شتى

مِجبال: غليظة الخِلقة

وجناء: ضخمة الوجنتين

ثَهْمَد: البدينة الضخمة

فوهاء: واسعة الفم. وهو أفوه

ثَجَل: استرخاء البطن وتضخمه.

سَوَل: استرخاء البطن تحت السرة. وهي سولاء

الباب السابع

صفات نفسية وأخلاقية للمرأة

نَوار: المرأة المتحفظة التي تنفر من الريبة. والنوار اسم زوجة الفرزدق التي طلقها ثم ندم على طلاقها فقال:

ندمت ندامة الكُسَعيِّ لما

غدت مني مطلَّقةً نوار

رزَان: رزينة في مجلسها، ذات عقل وعفاف ووقار.

عَروب: المرأة المتحببة لزوجها

بَرْزَة: امرأة مهيبة قوية الشخصية تبرز للرجال وتشارك في الحياة العامة ولا تحتجب حجاب الشابة.

بهنانة: امرأة طيبة النفس والرائحة لينة في حركتها ومنطقها تضحك ضحكاً خفيفاً: من شواهد لسان العرب:

يا رُبَّ بهنانةٍ مخبَّاة

تفترُّ عن ناصع من البَرَد.

شَخْشاح: المرأة المضاهية للرجل بقوتها.

مسترجلة: متشبهة بالرجال. (عق) واسترجلت تسترجل. والفصيح ترجلت.

عَطيف: امرأة مطواع بسيطة عديمة الكبر.

فَرْفورة: الفتاة المرحة النشيطة المغناج (سط) والفرفرة كلمة جامعة لمعاني الطيش وخفة الحركة والخُرق.

لَعوب امرأة حسنة الدل. وعند المعاصرين: لبقة خفيفة تلعب على الرجال.

لاعة تعرّفها المعاجم بتعريفين: امرأة حديدة الفؤاد قوية، وامرأة تغازل الرجال ولا تمكنهم منها. وبالجمع بين التعريفين فهي امرأة تلعب على الرجال وتتقصد العبث بهم ولا يقدرون عليها لأنها قوية منيعة.

شَموع: امرأة مزاحة حلوة الحديث. المتنبي:

لحاها الله إلا ماضييها

زَمانَ اللهو والخَوْدَ الشَّموعا

طامح وطمّاحة: زوجة جانحة تتطلع إلى رجل آخر. من الفصيح العامي. **وطمَحت** تطمَح عليه: تركته وذهبت إلى أهلها أو نشزت عليه لتطلعها إلى آخر. وفي العامية **طمحته** متعدياً بنفسه (انظر مطروفة أدناه)

غانية: المرأة التي تستغني بحسنها عن الزينة. وعند المعاصرين هي المتبرجة وغير المتحفظة

سافر وسافرة مكشوفة الوجه. ذو الرمة

ولو أن لقمان الحكيم تعرضت

لعينيه مي سافراً كان يبرق

ويقتصر المعاصرون على سافرة. ويعممونها على حاسرة الرأس مكشوفة الوجه، ضد محجَّبة وهي من تستر شعرها وجسدها وقد تكون مكشوفة الوجه. والحكم الشرعي في الحجاب هو كشف الوجه وستر الرأس والجسد ومن تفعل ذلك فهي المحجبة. أما السافرة فمن تكشف عن رأسها. ويقول العامة **مُخلَّعة** لمن لا تحتشم في ملابسها فتظهر أجزاء واسعة من بدنها أو أطرافها.

خَلوب: خداعة للرجال

مطروفة: لا تثبت على رجل، طمّاحة. الحُطيئة:

وما كنتُ مثل الهالكي وعِرسه
بغى الودَّ من مطروفة العين طامحِ

خريع: المرأة المتهتكة. وفي الأساس: "هو خليع بيّن الخلاعة وامرأته خريع بيّنة الخَراعة".

غاوية: مترفة تحب التزين والتأنق. (عامية) وهو غاوي. وأصله للممعن في الضلال المنهمك فيه

ضَنوط: المرأة تتخذ صديقين. **والضَنط** فعلها. وأصل الضنط الضيق والزحام. وهذه من مصطلحات الجاهليين وكانوا يسمحون للمرأة غير المتزوجة أن تتخذ لها صديقاً واحداً على سبيل المعاشرة اللاجنسية في الغالب. ويرادف الضنط **الضَمْد** وهو أن تتخذ المرأة أكثر من صديق أو أن تتخذ صديقاً وهي ذات زوج. والمعنى الأول هو المراد في قول أبي ذؤيب:

تريدين كيما تضمِديني وخالداً
وهل يُجمع السيفان ويحك في غِمدِ؟

هَرنانة: امرأة كثيرة التضجر والبكاء (مغ) توليد من هَرَّ أي حنَّ وأنَّ وبكى بكاء يشبه الحنين. والراء زائدة

مِنفاص: الكثير والكثيرة الضحك.

عفير: بخيلة لا تهدي لأحد شيئاً .الكميت:

وإذا الخرد اغبررن من المحل
وصارت مِهداؤهن عفيرا

المهداء ضد العفير.

فارك: ضد عَروب. التي لا تحب زوجها. الشريف الرضي:

فصبرت حتى نلتهن ولم اقل
جَزَعاً دواء الفارك التطليق.

دَزدَب: امرأة تذهب وتجيء بالليل. والدردبة عَدْو الخائف المتلفت.

عَسوس: امرأة لا تبالي أن تدنو من الرجال.

هَلوك: الساقطة من النساء. الجواهري:

امسان الله والدنيا هلوك
ابت إلا التلون والوِقاعا

جَهواء: قليلة الحشمة لا تتستر.

عَنقَفير: سليطة اللسان وقحة داهية. وهي من الكلمات التي يدل لفظها على معناها.

مَثعاء: قبيحة المشية. والمَثع مشية قبيحة للنساء.

عِنفِص: امرأة بذيئة سيئة الأدب. قال:

لعمرك ما ليلى بورهاء عِنفصٍ
ولا عَشَةٍ خلخالها يتقعقع

هَيْنَغ في المعاجم: الملاعبة الضحاكة والفاجرة والتي تخفي سرها. والأول والثاني في هذا الرجز.

قولاً كتحديث الهَلوك الهينغِ

سلفعة وسَلْفَع: الصخابة البذيئة السيئة الخلق. وفي الحديث: شر نسائكم السلفعة. وفي التفسير عن ابن عباس في قوله: "فجاءته احداهما تمشي على استحياء" قال: ليست بسلفع.

جُنبُقة: المرأة السيئة الخُلُق. وفي المخصص: جُنبُقثة.

حَزَنْبَل: المرأة الحمقاء والعجوز المتهدمة.

وَزهاء: حمقاء.

شَلَقة: امرأة جريئة لعوب (مص).

خضراء الدِمَن: المرأة الحسناء في منبت السوء. من مفردات الحديث النبوي في قوله: "اياكم وخضراء الدمن" وأصله النبات ينمو في المزابل كنىّ بها عن المرأة الحسناء خَلْقاً القبيحة خُلُقاً.

حوس: امرأة تحاوس الرجال تخالطهم. والحَوْس جذر من دلالاته الجرأة والتوغل. وحاس يحوس جاس يجوس

شرشوحة المرأة الوقحة العديمة الحياء (سط).

الباب الثامن

حالات للرجل في علاقته بالمرأة

رنّاء الذي يديم النظر إلى النساء. من رنا يرنو: أدام النظر إلى الشيء ساكن الطرف. وفي (عق) يقال: **غويناوي**. ويقال **عينه مالحة** وهذه وردت في "البخلاء" للجاحظ عن بخيل يحذر جليسه من التحرش بطعامه فيقول له: "اخاف أن تكون عينك مالحة".

زير النساء: من يكثر مخالطة النساء وزيارتهن.

زُكاكة رجل ضعيف الشخصية تستحقره النساء ولا يهبنه.

نَظْلي رخو يشبه المرأة في نعومته ورقته. (مص) عن التركية بلفظه ومعناه. ويطلق في التركية أيضاً على المرأة المغناج ومنه الاسم التركي **نازْلين** للنساء وسمي به بعض العرب من الجيل الماضي بناتهم.

نَسْونة التشبه بالنساء (مص).

تأنّث يتأنث تشبه بالانثى ولان ولم يشتد.

انخناث تكسر ولين وتثن في الرجل. وقد انخنث وتخنث.

متصابي الكهل أو الشيخ المتشبه بالشباب في التأنق وملاحقة النساء. تكثر عند المعاصرين. وتصابى تكلف الصبا

خَيذَع من لا يوثق بحبه.

مُفرَّك رجل غير محظوظ عند النساء. والفروك والفارك مرت في فصل صفات المرأة.

ملحق بالباب

صفات جمال وقبح في الرجل

مَنْظَراني حسن المنظر

وضّاح أبيض الوجه بسّام.

طرير ذو رواء وهيئة حسنة. العباس بن مرداس:

ويعجبك الطرير فتبتليه
فيخلف ظنك الرجل الطريرُ

أحوري الأبيض الناعم، وهي أحورية.

شتيم غليظ الخِلْقة كريه الوجه. والشتامة صفته:

وهزنن مني ان راين مويهناً
تبدو عليه شتامة المملوك

ويدل البيت أن الشتامة صفة المتعوب الذي يكد ويكدح حتى يتغير وجهه من الكد والكدح.

وقد مر في الأبواب السابقة ما هو مشترك من الصفات بينهما. أما الصفات الجسدية والأخلاقية ففي مواضعها من كتاب الانسان وكتاب الأخلاق.

الباب التاسع

الزينة والتزيين

الفصل الأول

مفردات الزينة ومصطلحاتها

تزيّنت المرأة وازينت تزّيناً: تجملت. **والزينة** ما تتزين به. ويقول العوام عن الذهب: "زينة وخزينة". **وزيّنت** نفسها وزيّنها غيرها **تزييناً**. **وزانها** يزينها **زَيْناً**. **وازدان** الشيء حسُن وجمُل. **والزيان** كل ما يُتزين به. **والزّين** كل ما يزين واستعمله المتأخرون لمعنى الجيد وسيأتي في موضعه. **والمزّين** الحلاق؛: ومن يزين النساء ويصفف شعرهن وهي مزّينة (مولد)

زوّقت نفسها **وتزّوقت**: تزيّنت والاسم **زَواق وفي (عق) زُواقة.**

تبرّجت تبرجاً أظهرت زينتها للرجال. من **البَرَج** جذر دال على الحسن وهو من صفات العين (انظر الباب الخامس). ويقابله

الترقُّش للرجل وهو عند بعض اللغويين كالتبرج للنساء، التزين بزينة ظاهرة والمبالغة في تجميل المظهر. **ويترقش** هو كما تتبرج هي.

تطوّست تزينت وبالغت في الزينة. تفعُّل من الطاووس. **والمطوَّس** كل شيء جميل.

تجمّلت تتجمل تزيّنت. وفي حديث عدة سُبيعة أنها "تجملت للخُطّاب" وكان ذلك بعد أن وضعت فاعتُبرت عدتها منقضية. وجمّلتها تجملها **والتجميل** التزين. **وجراحة التجميل** فرع من الطب الجراحي لتجميل الأعضاء المشوهة أو التي أدركها الكِبَر.

مُبَهْرجَة امرأة مبهرجة: مسرفة في زينتها (محدثة عن الوسيط) والبهرجة عند المعاصرين تقال للمبالغة في المظاهر والزخرفة. والبهرجة معرب قديماً عن الفارسي بمعانٍ بعيدة عن هذا! المعنى مالم نلمس قرينة بين الغش والتزييف وهو احد معانيها وبين التزيين.

حفّ حفّت المرأة وجهها تَحِفّه **حفّا وحِفافاً:** إذا أزالت ماعليه من شعر. **وحففته** بالغت في حفه وتزيينه. والحفّافة في (عق) مزينة النساء التي تحف لهن وجوههن ونحوها. **والحفافة** بالتخفيف هي عملها.

تطريف قص الأظافر وتجميل اليد. (الوسيط) وفي اللسان: طرّفت الجارية (الفتاة) بنانها إذا خضّبت أطراف أصابعها بالحناء وهي مطرّفة. والتطريف بمعناه في الوسيط من اصطلاحات المجمع.

تكحّلت تكحّلا واكتحلت اكتحالاً وكَحلت جفنيها: زينتهما بالكُحْل وهو مسحوق رمادي اللون يؤخذ رئيسياً من الإثمد. وفي قول

الشاعر: "ليسِ التكحل في العينين كالكَحَل" تفريق بين الكُحْل التجميلي (التكحل) والكُحْل الطبيعي (الكَحَل). وهناك فرق بين التكحل والاكتحال فالأول تكلّفه والثاني يختلط بمفهوم الذاتي. ولذا يقال في المستعار: لم تكتحل عيني بالنوم ولا يقال: لم تتكحل. **والمكحلة** علبة الكحل أصلها كمُنخُل ويلفظها المعاصرون كَمرحلة. **والميل** بكسر الميم عود معدني رفيع يؤخذ به المسحوق من المكحلة لتكحيل الجفنِ وهو المِرودَ أيضاً. **والقَفَدانة** سدادة المكحلة. **وكُحْلَه مايعة** كحل سائل عند نساء زماننا.

تزجيج الحاجبين: ترقيقهما وتطويلهما.

أنيق الأنيق الحَسَن المعجب من شيء أو شخص. وتأنق في الأمر: تجوّد وجاء بالمعجب منه. **والتأنق والأناقة** عند المعاصرين في الملابس والهيئة والطعام والأثاث وسائر المقتنيات. والتأنق في العمل: إتقانه وإحكامه. وقد **أنِقت** تأنَق فهي أنيقة **وتأنقت** تتأنق عند المعاصرين: تجملت ولبست ثياباً جميلة ترضي الذوق وتسر النظر فهي متأنقة.

رُموش تطلقه المعاصرات على انتصاب الأهداب خلقة أو صنعة. والرموش الاصطناعية تستعمل للتعويض عن قصر الأهداب ودلالتها في الجمع دون المفرد. والرَمْش في العامية هو الحركة المضطربة للجفن عند النظر أو الكلام. والرَمَش في الأصل احمرار الأجفان وتفتل الأهداب مع سيلان لكن المعاجم نصت على مِرماش لمن يحرك عينيه كثيراً عند النظر أو الكلام. ومن مجمل هذه الدلالات للجذر تكون القرينة التي ولدت بها المعاصرات معنى الرموش

تفليج تفريق الأسنان المتراصة لجعلها مفلَّجة.

وَشْر تحزيز الأسنان وتحديد أطرافها.

قاشرة المرأة التي تقشر وجهها بالأدوية ليصفو لونها. وفي الحديث: "لُعنت القاشرة والمقشورة" ولعن فاعلات الزينة على اختلافها يكثر في الحديث ولعله من الموضوعات.

نُونة، في الأصل: نقرة في ذقن الصبي وأطلقت في (عق) على الطرة الحمراء في وسط الناصية فويق الأنف مما تتزين به نساء الهنود واستعارتها منهن نساء بعض العرب في العصور المتأخرة.

وَشْم زينة تقليدية تتشكل في خطوط وطُرَر ونقاط خضراء أو خضراء مزرقّة وتكون بعملية قاسية حيث تغرز ابرة في الجلد أو يشرط بها ويذر النيلج على المكان فيخضر أثره حسب المطلوب. **ووشَمت** ذراعها، أو غيره، وشماً **واستوشمت**: طلبت أن توشَم. والواشمة من تقوم بعملية الوشم.

لَغط وعَلْط وعُلْطة خط الوشم في الخدود. ويكثر عند نساء الحبشة والسودان. ج ألْعاط وأعلاط.

مَفاتن مفاتن المرأة: ما يفتن الرجال من محاسنها وجمالياتها. (مستحدث)

مَعاري معاري المرأة: ما يظهر منها كالوجه واليدين والرجلين. ويقال أيضاً مَحاسر من حسر أي انكشف.

خَشْل الخَشْل هي الأسورة والخلاخيل فيما نقله اللسان عن ابن برى حاكياً عن علي بن حمزة وهو ما كان منها أجوف غير مُصْمَت. وهذا هو معناها في (عق) وتلفظ فيها بكسر الخاء. ويلجأ متعلموهم إلى مخشَّلات فراراً من لفظ العامة ولو أنه الصحيح. **وخشّلها فهي مخشَّلة** حلاّها بالخشْل.

تضمير طريقة لتخفيف الوزن استعملها العرب للخيل لجعلها ضامرة. ويستعمل المعاصرون تنحيف للانسان.

الفصل الثاني

زينة الشعر

تصفيف تصفيف الشعر: ترتيبه باشكال وأوضاع مناسبة. (مستحدث) **وصفّفت** شعرها تصفّفه. والتصفيف هو **الترجيل** عند القدماء. وكانت لعبد الملك بن مروان مرجُلة **ترجّل** شعره اسمها حُسَينة. **والمصفّف** من يصفف الشعر، والمادة التي تستعمل لتصفيفه. يقال في الاعلانات: "مصفف الشعر المدهش الدهن الفلاني".

تسريح تسريح الشعر: حَلُّه وارساله أو ترجيله وتخليص بعضه من بعض بالمشط. **وسرّحت** شعرها تسرّحه. والتسريحة مستحدثة لهيئة التسريح أو التصفيف. سعدي يوسف:

نتعرى على حافة المائدة
غير اني اسرّح شعرك
اني اسرّح شعرك
دوائره وارتباكاته.. واحتمالات تسريحة
في دمشق.

ترطيل الشعر تلبينه بالادهان وتمشيطه.

مَشْط: **مَشَطت** شعرها تمشُطه: سرّحته بالمشط. والدارج عند المعاصرين: **مشّطته** تمشيطاً. **والماشطة** والمَشّاطة: مزينة الشعر ومسرّحته. وآل الماشطة أسرة دينية في العراق. **والمَشْطة** واحدة المَشط، اسم المرة منه، يقال: مَشَطت شعرها مشطة واحدة.

إرفاه المواظبة على تدهين الشعر وترتيبه. والارفاه عام في الأخذ بأسباب الرفاهية والفعل أرفَهَ زنة أفعل اللازم الذي يفيد اكتساب الشيء وحصوله للنفس.

تحبيك، تكسير الشعرِ وتجعيده. **والحبيكة** الطريق من خصل الشعر المحبّك

نُصول ذهاب خضاب الشعر. وقد نَصَل ينُصل وينصّل، يقال: نصَل الشعر: زال لون خضابه ونصل اللون أو الخضاب: زال.

تجعيد تجعيد الشعر تحويله من سبط إلى جعد. **وجعّدته تجعّده فهو مجعّد.**

عَقْص الشعر: لويه وإدخال أطرافه في أصوله لتجعل منه مثل الرمانة أو الكرة. وقد **عقَصته** تعقِصه.

استرسل الشعر: صار سبطاً وتدلى. ويقال أيضاً: **انسدل وتسدل. وسَدَلته** هي أرْخته وأرسلته من غير أن تضم جانبيه.

بِكْله، بالكسر، الزي والهيئة كما في هذا الرجز القديم:

لست إذن لِزَغْبلة
إن لم اغير بكلتي

والجميل البكيل: المتنوق في ملبسه ومشيه. والبُكلة بالضم في (عق) تسريحة عريضة للشعر يرتفع بها من مقدمه إلى أعلاه. وهي بالفتح في (سط) ومنها قول الشاعر الشعبي الاردني عمر الفرّا:

سلام ارسل لمنديل القصب ألازرق
لسن الذهب يتلالا

ولـبـكـلـة سـيـد الـمـفـرق

ضَفيرة خصلة شعر تُضفر على حدة. وقد يُضفر الشعر كله ويرسل إلى الوراء أو تعمل منه ضفيرتان أو عدة ضفائر. وضفَرت شعرها تضِفره ضَفْراً.

قصيبة الخصلة من الشعر تلوى لكي تترجل وترسل ولاتُضفر. وهي في (عق) والبوادي المشرقية بمعنى الضفيرة دون زيادة أو نقص في المعنى. ج قصائب.

جديلة ضفيرة. مولدة حديثاً يستعملها الكتاب وهي في عامية بلاد الشام أيضاً ونص (المحيط) على عاميتها. ومن أغانيهم ما يبدأ بخطاب.

يابو الجدايل

غديرة، في اللسان: الغدائر الذوائب. وعن الليث: كل عقيصة غديرة. والغديرتان الذؤابتان اللتان تسقطان على الصدر. وفي القاموس الذؤابة. وفي الوسيط: الذؤابة المضفورة من شعر النساء. فالغديرة إذن هي الضفيرة إنما بأشكال وأوضاع مخصوصة.

ذؤابة، في الأساس: هي الشعر المنسدل من وسط الرأس إلى الظهر. وهو المعنيّ في قول المتنبي:

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها

في لـيـلـةٍ فـارت لـيالي اربـعـا.

والذؤابة في غير الأساس هي شعر مقدم الرأس وشعر في أعلى ناصية الحصان. واستعمالاتها المجازية تفيد العلو والظهور والمقدّمية. لكن شروح المعاجم للغديرة (انظر ما قبله) ترادفها مع الذؤابة في معناها في الأساس وعند المتنبي.

خُصلة المجموعة من الشعر. ج. خُصَل.

غُسْنة الخصلة من العرف والناصية والذوائب. وفي جذر غسن ما يفيد الجمال والشباب.

سَبيبة الخُصلة ج سبائب

قُصّة شعر الناصية المقصوص من مقدمه بمحاذاة الناصية. وهي الناصية أيضاً. وهذا المعنى في (عق) و(مغ) وفي الأساس: أخذ بقُصته أي بناصيته.

قُذْلة عامية منقولة من القَذال وهو جماع مؤخر الرأس، ويراد بها عكسه: شعر مقدمه المقصوص من جانبيه مع ترك خصلة صغيرة متدلية في الوسط. من أهازيج الأعراس في فلسطين:

إنت غواك بِقذلتك واحنا غوانا سيوفنا

فَرْق الخط الفاصل بين صفين أو خُصلتين من شعر الرأس. **وفَرَقت** شعرها بالمشط تفرُقه وتفرِقه فهو مفروق عملت له فرقاً وهو من أشكال التصفيف.

سباسيب سباسيب الشعر: أطرافه المنسدلة. وتسبسب: انسدل واسترسل (من عامية المحيط)

مَيش تلوين خُصَل من الشعر بلون خفيف مخالف للونه. والشعر مُميَّش. **وميّشته** زينته بالميش. عامي وأصل الميش الخلط ومنه خلط الصوف بالشعر

نِقريس وردة اصطناعية أو ما في شبه الوردة يزين بها الشعر. ج نقاريس ومن شواهد اللسان:

فـحُـلِّـيتِ مـن خـزٍ وبـزٍ وقـرمـزٍ

ومن صنعة الدنيا عليكِ النقاريسُ

مِشْبَك أداة يشبك بها الشعر. وقد تتخذ لمحض الزينة وهي على أشكال متنوعة منها دبابيس ومنها قفايص مستطيلة أو مستديرة ولها تسميات كثيرة محلية نحو: ماشة، مِلقط، حبّاسة، شكّالة.

قفيص أداة يُقفص بها الشعر إذا أريد اسداله أو عقصه كما تقفص به الضفيرة لمنع انفراطها.

شرايط جمع عامي للشريط تستعمل هكذا

لأشرطة الشعر المختلفة. والجموع في العربية تقبل الاختلاف في دلالاتها باختلاف الصيغ.

طَوْق قوس ملون ومزخرف يطوق به الرأس من وسطه للزينة وتسبيط الشعر. والطوق أيضاً حلية من معدن نفيس يُطوق به العنق. ويكون دائرة مغلقة حول العنق.،الأول مستحدث والثاني هو ما عناه ابن زيدون بقوله:

كما فككت عن اللبات اطواقاً

شامبو (باء باريس) محلول لزج مكثف لغسل الشعر. هندية الأصل بمعنى يدلك ويكبس واستعملها الأوربيون لهذا المحلول.

مجفِّفة شعر : أداة كهربائية تنفث هواء حاراً لتجفيف الشعر بعد غَسله

حِلاقة حَلْق الشعر: ازالته. وبهذا المعنى يقال لحلق اللحية والشارب وحلق شعر الرأس إذا أريد به ازالته تماماً. والحلاقة بالمعنى المحدث هي إلى جانب معناها الأصلي تقال لقص الشعر وترتيبه حسب المطلوب. وهذا هو المعنى المراد في المصطلح الانجليزي **hairdressing** وسمي الحلاّق في العصر العباسي الأوسط **مزّين** لأن عمله زاد على محض الازالة للشعر إلى تزينيه. والمزيِّن في لغة الكلام المعاصرة إلى جانب الحلاق. وزيَّن فلان أي حلق. وحلَق شعره يحلِقه حَلْقاً وصاحب المهنة هو الحلاّق والحلاّقة. ويكتب على محلات الحلاقة: حلاقة رجالية أو حلاقة نسائية

الفصل الثالث

مواد وأدوات الزينة

غُسْل وغَسول ما يُغسل به. وقد يقصد بالغَسول في الوقت الحاضر أي محلول كيمياوي طبي تُغسل به البشرة أو تُرطب مقابل الانجليزية lotion .

دُهن يطلق على زيوت يدهن بها الشعر أو الوجه أو البشرة عموماً. ويَدَّهِن عند القدماء يُروّي شعره بالدهن لترطيبه وتليينه. وتميل كلمة دهن اليوم إلى التخصص بدهن الشعر وتستعمل للبشرة المادة الأوربية المسماة كْريم وكْريمة. وأصلها في الانجليزية القشرة وأطلقت على القشدة ثم على هذه المادة التزينية. ودهنت شعرها تدهُنه دَهناً.

بَوْدْرة، بإمالة الواو، من powder الأوربية المحورة بدورها عن بارود العربية، للمسحوق المعطر الذي يدلك به الوجه وأي جزء من الجسم للتنعيم والتعطير وهي المسماة في العصر الاسلامي ذريرة، فعيلة من ذَر الشيء يذُره.

حُمْرة أحمر الشفاه والخدود. (مستحدثة) وقلم الحُمْرة قلم تحمر به المرأة شفتيها.

مَشكرة علبة تحتوي على مادة لزجة ملوّنة تستعمل لاظهار جمال الأهداب. من الايطالية.

مَكّي مواد الزينة (عامية) نسبة إلى مكة وكانت ترد منها مواد كهذه وغيرها لكونها مركزاً تجارياً علاوة على كونها مركزاً دينياً. ومن أمثالهم في (سط): "لولا علبة المكي كانت الحلة تبكّي" يشيرون إلى غير الجميلة التي تستعين بالمكي لتجميل نفسها.

إسْبيداج مسحوق أبيض ناصع من رماد الرصاص (كربونات الرصاص القاعدية) تزين به نساء الريف والبادية وجوههن ويسمى عندهم **سِبْداج**. والكلمة من المعرب قديماً عن الفارسية وهي فيها سْبيتاج (باء باريس وجيم قاهرية)

دَيرَم، بامالة الياء، لحاء شجر الدارم تحمّر به نساء الريف والبادية شفاههن.

بخّاخ الرشاش والمرذاذ. عامية مقابل الأجنبي spray . ويستعمل لبخ شتى السوائل لأغراض مختلفة منها للمواد التي يتطلبها التصفيف ورش العطر. من الفعل بخ بمعنى رش وهو مقتطع من بخّر يبخّر.

مِشط، بضم الميم و بكسرها، أداة تمشيط الشعر. ج أمشاط.

وقد مرت في الفصول السابقة مواد وأدوات استدعاها السياق لتوضع هناك

الفصل الرابع

التعطر والتعطير

تعطُّر استعمال العطر. **وتعطرت** هي تتعطر فهي **متعطرة وعطّرها** غيرها يعطّرها فهي **معطَّرة.** **والعَطِرة المِطِرة** عند القدماء التي تعتاد العطر، والمطرة التي تعتاد السواك لتنظيف أسنانها. ومن أقوالهم: "خير النساء الخَفِرة العَطِرة المَطِرة". **والمعطار:** الكثير التعطر من الرجال والنساء. والمعطار أيضاً للعطِر الفواح. الجواهري:

والأرض بالدم ترتوي عن بِغنةٍ
وتمجُّه عن روضةٍ معطارِ

وعَطِرت فهي عَطِرة: تطيبت فصارت طيبة الرائحة. والعاطر عند الموالدين هو العطِر وعند اللغويين محب العطر.

تَطَيَّبت تعطرت، استعملت **الطِيب** وهو العطر.

عاتكة التي تكثر من التعطر حتى تحمر بشرتها منه. وقد عَتَك بها الطيب يعتِك **عُتوكاً:** لَصِق. والعاتكة ترد في أسمائهن أكثر مما في صفاتهن. ومدلول التسمية صفاؤها وحمرتها.

تضُمخ تلطيخ الجسد بالعطور. وضَمَّخت جسدها تُضمخه وتضمخت بالعطر

تلغَمت بالعطر: وضعته في ملاغمها وهي ما حول الفم من الجهتين الذي يبلغه اللسان.

ملحوظة: أصناف العطور وأدواتها واستعمالاتها تراجع في كتاب التزيين والتحلية من قاموس الحياة والحضارة.

الفصل الخامس

تسميات من يمملون الزينة

سَلْتاء امرأة لا تستعمل الخضاب أي لا تزين يديها ونحوهما بالحناء وغيرها.

مَرهْاء التي تهمل الكحل. وفي الحديث أنه لَعَن السلتاء والمرهاء. والحديث قد يصح لأن الشرع الاسلامي يحث على النظافة والتزين والتعطر.

عِثْوَلّ الأشعث المهمل غسل شعره وحَلْقه ودَهْنه (الإفصاح)

حفّانة امرأة لا تتنظف ولا تتزين. (سدن). ومن كلامهم: حفّانة راسها انفسخ" فعّانة من حفَّ رأسها اذا بعد عهده بالغسيل والدهن.

قَرْثَع من تكحل إحدى عينيها وتهمل الأخرى وتلبس القميص مقلوباً

مِتفال امرأة لا تتعطر حتى تظهر منها رائحة كريهة - وأصل التفْل البصاق و الزَبَد، والثُفْل بالثاء ما يترسب من شوائب وأكدار في قعر الأوعية.

دَفْراء كريهة الرائحة وهو أدفر. والذَفَر بالذال رائحة الأبط المنتن ويحوله العامة إلى الزاي ويسمونها زفرا بالامالة وهو زَفِر.

بخراء كريهة رائحة الفم وغيره. وهو أبخر.

رَغْبَل ورَغْبلة امرأة تلبس الخلقان ولا ذوق لها في اختيار الملابس. ويقول العوام: **مرعبلة**.

جَنْفا المرأة العسراء والتي تلبس الثوب بالعكس (سدن) من الجنف وهو الميل والاعوجاج.

المحتويات

الإهداء ٥
مفتتح ٧
فواتح لغوية ٩
في الجاهلية ١٣
خلاصات اولية ١٥
وضع المراة الجاهلية ١٦
دورها في الحياة والتاريخ ٢٣
زنوبيا ٢٤
سَجاح ٢٧
في الإسلام ٢٩
خلاصات أولية ٣١
المرأة بعد الجاهلية: تضيق الحرية واتساع الحقوق ٣١
القيمومة مظهر اعلى للجنسوية الإسلامية ٣٥
العدة ٣٨

مظاهر جنسوية أخرى ٣٩

حقوق مكتسبة ٤٠

تقلص عدد الزوجات . توريث المراة . حق الزواج وحق الجنس . الحق في اختيار الزوج . ضد الجنسوية الجاهلية . بشرنة الانثى . حق الطلاق.

احكام وقضايا ٥٠

اشكالات حول المراة . تحديد النسل . شروط في العقد . توسع الشيعة في احكام الجنس / جنسانية الإسلام وجنسانية الغرب . الحجاب . حكم المضيفة

أسماء نسوية ٦٤

ابن رشد والمراة ٧٠

الزوجة النموذجية عند العربي النموذجي ٧٢

خلاصة ٧٤

ذكورية الإسلام والبوليصية والغربيين . دراسة مقارنة

نصوص ومواقف ٨٤

الزرقاء في صفين . حديث السفيرة سودة مع معاوية . خارصية . هند وابنها . ام خالد القسري المسيحية . خلوة مع صديق . احتراماً لأنوثتها . غريبة مع عنين . الصابرة والشاكر . مباراة في الهجاء . سلمى بنت القراطيسي تتغزل بنفسها . اكرم امراة واحزم واذكى . الحرة الصليحية

المراة في الصين ٩٥

تجربة تحرر تقوم على الفصل بين شيوعية النساء وشيوعية الأموال

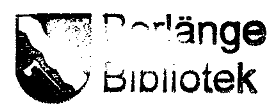
قاموس المراة ١١١

كتب للمؤلف

١ ـ ننظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي (دراسة في ثورة الشيرازي الفلسفية)
٢ ـ المستطرف الجديد (منتخبات من تراث الإسلام)
٣ ـ المستطرف الصيني (متخبات من تراث الصين مع دراسة)
٤ ـ كتاب التاو (في الفلسفة الصينية)
٥ ـ فصول من تاريخ الإسلام السياسي (مجموعة دراسات في التاريخ السياسي للإسلام)
٦ ـ من قاموس التراث
٧ ـ شخصيات غير قلقة في الإسلام

قيد الاصدار

القاموس الأول في سلسلة المعجم العربي المعاصر (قاموس الإنسان والمجتمع).



هذا الكتاب

دراسة لحياة المرأة العربية في الجاهلية ثم في الإسلام روعيت فيها المقارنة في أوضاع المرأة وما طرأ عليها من تطورات مابين العصرين الجاهلي والإسلامي وعلى امتداد العصر الاسلامي. وتضمنت إلى ذلك مقارنات مع الموقف من المرأة في الحضارات الاخرى ومنها حضارة الغربيين القديمة والحديثة. ولاستكمال المقارنة أضيف إلى الفصول فصل عن المرأة في الصين لتقديم غرار لتحرر المرأة تحقق على يد الشيوعيين الصينيين بتجربتهم المتميزة في البناء الشيوعي.

وأُلحق بالكتاب قاموس للمرأة مستل من مخطوطات المعجم العربي المعاصر وهو مشروع المؤلف لتطوير المعجمية العربية للمساهمة في حل مشكلات التعبير اللغوي القائمة الآن.

تميزت الدراسة بالصراحة والموضوعية على النهج المعتاد للمؤلف الذي يكتب لارضاء الحقيقة وحدها.

الناشر